الأدب الإسلامي

٣١

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية - المجلد الثامن - العدد الواحد والثلاثون - ١٤٢٢هـ

نحو أدب إسلامي مقارن

رؤية في التصور الإسلامي للأدب

قدرى طوقان داعية الحضارة الإسلامية

باكثير .. وريادة الشعر الحديث

منشورات

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١- من الشعر الإسلامي الحديث - لشعراء الرابطة.
٢- نظرات في الأدب - أبو الحسن الندوي.
٣- ديوان رياحين الجنة عمر بهاء الدين الأميري.
٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث - إعداد د. عبد الباسط بدر.
٥- النص الأدبي للأطفال د. سعد أبو الرضا.
٦- ديوان البوسنة والهرسك - مختارات من شعراء الرابطة.
٧- لن أموت سدى «رواية» - جهاد الرجبي (الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية).
٨- ديوان «يا إلهي» محمد التهامي.
٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د. عودة الله القيسي.
١٠- ديوان «مدائن الفجر» - د. صابر عبد الدايم.
١١- العائدة - سلام أحمد إدريسو «الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية».
١٢- «محكمة الأبرياء» مسرحية شعرية - د. غازي مختار طليمات.
١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني - د. حلمي القاعود.
١٤- ديوان حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري - د. جابر قميحة.
١٥- في ظلال الرضا - شعر أحمد محمود مبارك.
١٦- في النقد التطبيقي - د. عماد الدين خليل.

سلسلة أدب الأطفال :

١- غرد يا شبل الإسلام - محمود مفلح.
٢- قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.
٣- تغريد البلابل - يحيى الحاج يحيى.
٤- حكاية فيل مغرور - د. حسين علي محمد.
٥- أشجار الشارع أخواتي «شعر للأطفال»... أحمد فضل شبلول.
٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب - فوزي خضر.

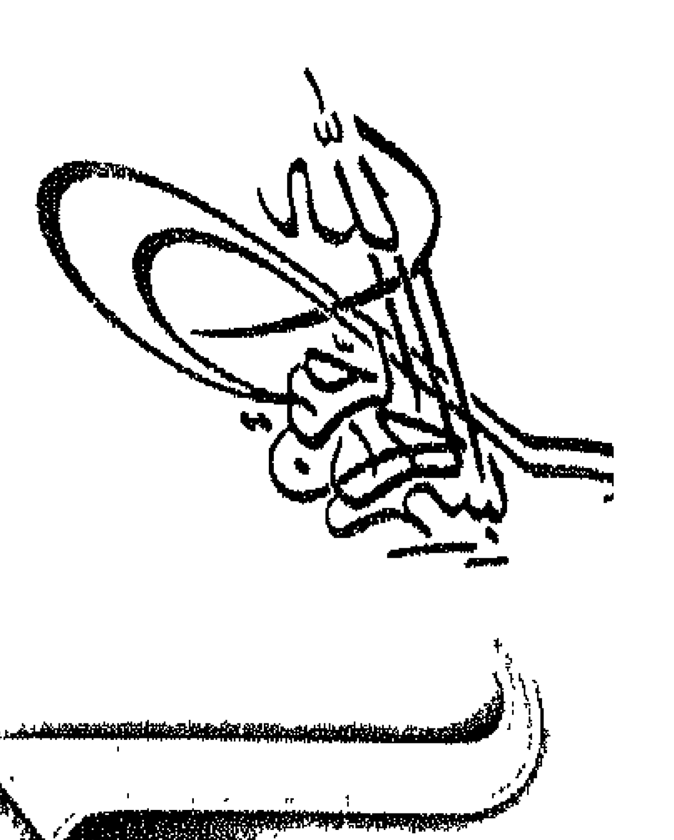
تحت الطبع :

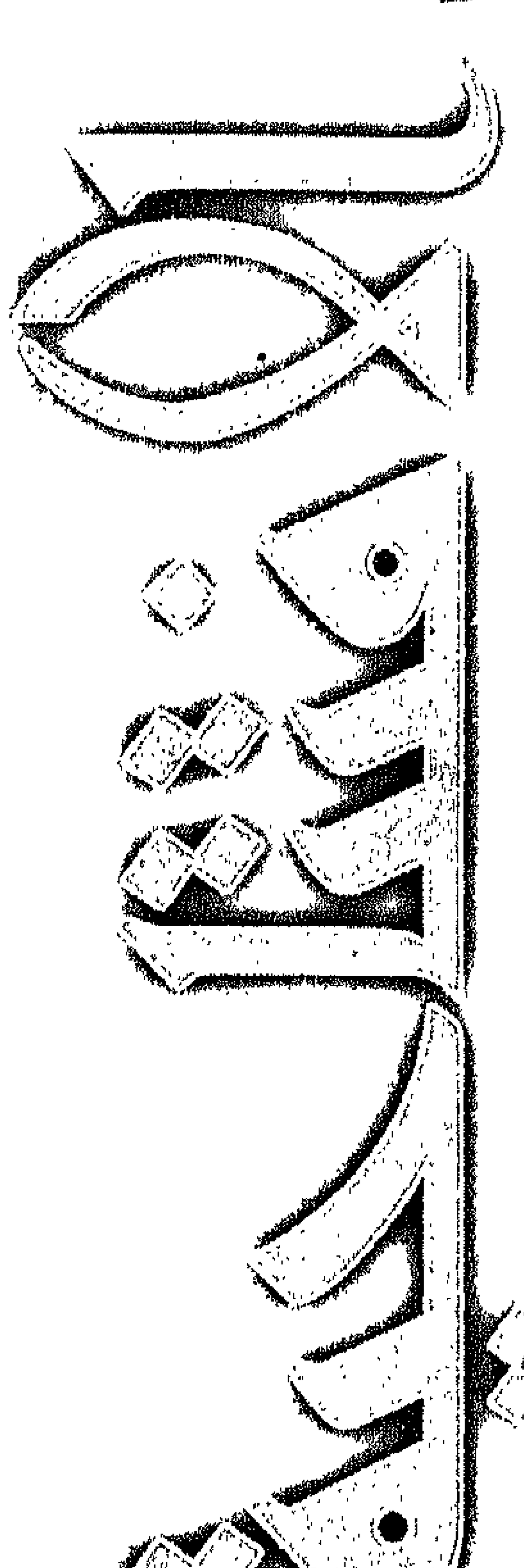
١- الشيخ أبو الحسن الندوي: دراسات وبحوث.
٢- د. محمد مصطفى هدارة: دراسات وبحوث.
٣- معسكر الأرامل (رواية) مترجمة عن الأفغانية تأليف مرال معروف. ترجمة د. ماجدة مخلوف.
٤- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر - حليمة بنت سويد الحمد.
٥- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».
٦- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة فنية». محمد رشدي عبيد.
٧- باقة ياسمين «مجموعة قصصية للأطفال من الأدب التركي» تأليف علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.

عنوان الموقع في الإنترنت
web page adress: www. Adabislami. org
العنوان في البريد الإلكتروني
E-mail: Info @ Adab Islami. org

معتمدو توزيع مجلة الأدب الإسلامي :

- السعودية: جدة - الشركة السعودية للتوزيع هاتف ٦٥٣٠٩٠٩ - فاكس ٦٥٢١١٤٦
  - الرياض - هاتف ٤٧٧٩٤٤٤ - فاكس ٤٧٧٩٠٣٠
  - الدمام - هاتف ٨٤١٣٢٣٩ - فاكس ٨٤١٣١٤٨
- الإمارات العربية المتحدة - دبي - دار الحكمة - هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ص. ب: ٢٠٠٧
- الكويت: شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات - هاتف ٤٨٤١٠٤٥ - فاكس ٤٨١٦٨٨٤
- البحرين: المنامة - مؤسسة الأيام للصحافة والتوزيع - هاتف ٧٢٥١١١ - فاكس ٧٢٢٧٦٣
- قطر: الدوحة - مكتبة الإشراق - هاتف وفاكس ٤٤٤٧٨١١
- مصر: القاهرة - دار أخبار اليوم - هاتف ٥٧٨٢٦٠٠ - ٥٧٨٢٥٢٠
- الأردن: عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢
- اليمن: صنعاء - دار القلم للنشر والتوزيع والإعلان هاتف ٢٧٢٥٦٣ - فاكس ٢٧٢٥٦٢
- المغرب: الدار البيضاء - الشركة العربية الإفريقية - هاتف ٢٢٤٦٢٠٠ - فاكس ٢٢٤٩٢١٤





مسيرة المجلة

إنها لفرحة غامرة أن تتجاوز مجلة الأدب الإسلامي الثلاثين عدداً، وأن تتغلب على العقبات المادية والفنية طوال سبع سنوات من عمرها المديد إن شاء الله تعالى.

وكل ذلك يقضي منا أن نحمد الله حمداً يكافئ نعمه وإحسانه، ثم يقتضي منا أن نشكر قراء المجلة الذين لا حياة للمجلة إلا بإقبالهم عليها، وحرصهم على التزود بها، ونخص المشتركين منهم لصبرهم على تأخر بعض الأعداد أمام ما أشرنا إليه من العقبات الفنية، إذ كانت جملة من الأعداد تُحرّر في الرياض، وتخرج في القاهرة، وتطبع في بيروت.. إلى أن استقر الأمر على تحريرها وإخراجها في الرياض ثم طبعها في القاهرة، وتوزيعها على أنحاء العالم العربي والإسلامي.

وإنه لحريٌّ بنا بعد العدد الثلاثين أن نلقي نظرة شاملة على مسيرة المجلة كيف بدأت؟ وإلام انتهت؟! وكيف كانت تحبو كالطفل إلى أن شبت عن الطوق، وتجاوزت سن الرشد إلى أن بلغت أشدها، واستوت شجرة يانعة وارفة الظلال تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ولعل من ثمرات هذه النظرة الشاملة أنها تدلنا على إيجابيات المجلة لنزيد فيها، كما تهدينا إلى سلبياتها حتى نحاول تجنبها، ومن هنا اتجهت هيئة التحرير إلى أن تشرك قراءها الغيورين عليها في الإسهام بتقويم مسيرة مجلتهم، ويسرت لهم ذلك من خلال استبانة مرافقة تضمنت محاور وفقرات متنوعة ، يمكن لمن شاء أن يجيب عنها أو يتجاوزها إلى موافاتنا بكل ما يتراءى له من نقدات بناءة، سوف تجد صدراً رحباً وتفهماً إيجابياً وعزماً على الأخذ بما تراه هيئة تحرير المجلة مفيداً وممكناً في حدود وسعها وسعيها نحو الأفضل.

وإذا كان لنا من رجاء نقدمه إلى قراء المجلة فهو أن يزيدوا من التفافهم حولها، ومن إسهامهم في تحريرها. وفي أن يعزم القارئ منهم على الاشتراك في المجلة، ويعزم المشترك على كسب مشترك آخر، وما من شك في أن تحقيق هذا الرجاء هو السبيل الوحيد الذي يكفل استمرار المجلة في مسيرتها إلى الأمام.

رئيس التحرير



الأدب الإسلامي

المجلد الثامن
العدد الواحد والثلاثون
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مجلة فصلية تصدر عن :
رابطة الأدب الإسلامي العالمية

علي أحمد باكثير

عبدالله بن خميس

د. حسن الأمراني

د. احمد حنطور

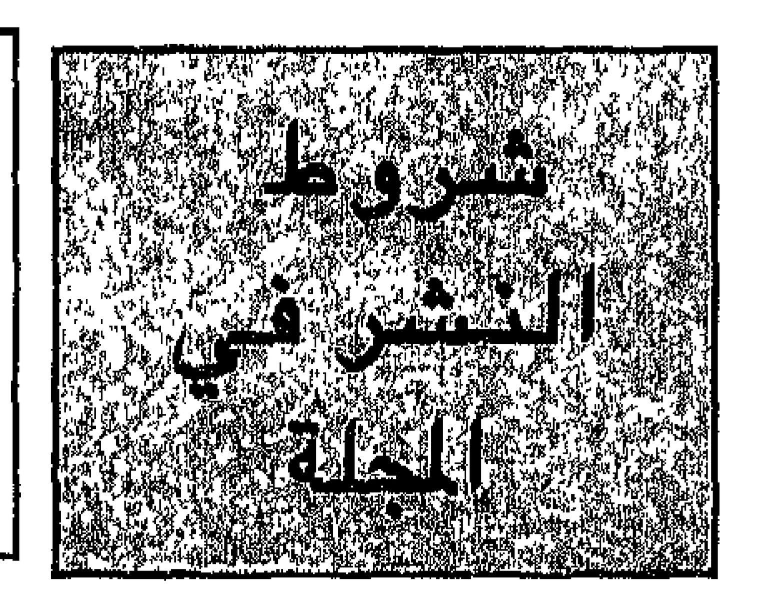
د. عبدالكريم المشهداني

انتفاضة السكين !!

المراسلات والإعلانات :
السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤
web pagaddress: www.adadlslami.org
E-ail: Info@adabislami.org

فهرس العدد ٣١

الموضوع	الكاتب	الصفحة
الافتتاحية : مسيرة المجلة	رئيس التحرير	١
المقالات والبحوث		
- نحو أدب إسلامي مقارن	د . أحمد محمد حنطور	٤
- قدري حافظ طوقان : داعية الحضارة الإسلامية	د . محمدرجب البيومي	١٨
-الأدب الإسلامي يمثل هويتنا الإسلامية	سهيلة زين العابدين حماد	٢٦
- نحو معجم إسلامي عربي للأطفال	عبد التواب يوسف	٣٢
- يقين الرؤية في حدائق الصوت (دراسة نقدية)	محمد عبد الباسط زيدان	٣٦
-الأدب الإسلامي والدور الحضاري	د . عبد العزيز إدريس الخطابي	٣٨
- شبهات في شعرمحمود درويش	د . غازي مختار طليمات	٤٦
-إقبال شاعر الإسلام	عبد السلام صبحي الجراية	٥٠
- الإبحار في ماء الوضوء (دراسة نقدية)	د.عبد القادر علي با عيسى	٥٢
-أمير الشعراء البنغاليين : السيد إسماعيل حسين الشيرازي	أ. ق . م . عبد القادر	٥٦
- رؤية في التصور الإسلامي للأدب	إبراهيم نويري	٦٢
- لن أموت سدى (دراسة نقدية)	سمير أحمد الشريف	٧٨
الإبـــداع		
- حلم الفجر - شعر.	محمد فريد الرياحي	١٦
-انتفاضة السكين - شعر.	عبد الكريم المشهداني	٢٥
- غربة - شعر.	رسمية العيباني	٣٠
- رحمة - شعر.	أحمد محمد النقيب	٣١
- انطلاقة - قصة.	رأفت الشرقاوي	٣١
- مواكب النور - شعر.	مصطفى عكرمة	٣٥
- السفر إلى زمن العودة - قصة.	محمد عبيد محمد	٤٠
- المنفى - شعر.	د . حسن الأمراني	٤٩
- فخر النساء - شعر.	نوال مهنى	٥١
- خمس وأربعون ثانية قصة للكاتب التركي فرمان قره جام.	ترجمة علي نار	٥٥
- زائر غير مرغوب فيه - قصة.	محمد يوسف التاجي	٥٨
- دار الأحبة - شعر.	د . محمد حكمت وليد	٦٥
- بقايا الذاكرة المحنطة - قصة.	بدر الدين بريبش	٦٦
- جبل عرفات يخرج عن صمته - شعر.	أحمد حسبو	٧١
- دفتر الأحوال - قصة.	حسني سيد لبيب	٧٢
- بلد الظافرين - شعر.	محسن عبد المعطي	٨٠
- صباح أبي نويصر - قصة.	ثويني محمد آل عليوي	٨١
- محاورة الشيخوخة ، للشاعر الأماريفي با مغار موحا	ترجمة بوا جلا بن الحسن	٨٤
-أيام يضيئها الإسلام - مسرحية	سميح سرحان	٨٦
- مناجاة - شعر	د . يوسف نوفل	٩١
الأبواب الثابتة		
■ **لقاء العدد** : مع .. عبد الله بن خميس	حوار عبد الله الحيدري	٤٢
■ **من تراث الشعر** : وصف الحمى	أبو الطيب المتنبي	٦٠
■ **من تراث النثر** : وصية جامعة للأطباء وطلبة العلم	عبد اللطيف البغدادي	٦١
■ **من ثمرات المطابع** : درة الأقصى.	د . جابر قميحة	٦٨
■ **من مكتبة الأدب الإسلامي** :		
- شاعرات معاصرات : تأليف حسني جرار	عرض كمال عفانة	٨٢
- الرواية الإسلامية المعاصرة ، تأليف د . حلمي القاعود	عرض بدر بدير حسن	٨٣
■ **ردود ومناقشات**		
- لماذا يتجاهل د . يوسف عز الدين ريادة با كثير للشعر الحديث؟	عبد الله الطنطاوي	٩٢
■ **الرسائل الجامعية** :		
- كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ	سامر محمد البارودي	٩٤
- الأقلام الواعدة	د . حسين علي محمد	٩٦
■ **أخبار الأدب الإسلامي**	شمس الدين درمش	١٠٠
■ **بريد الأدب الإسلامي**		١١٠
■ **الورقة الأخيرة** :		
- في النقد الإسلامي	د . عبده زايد	١١٢



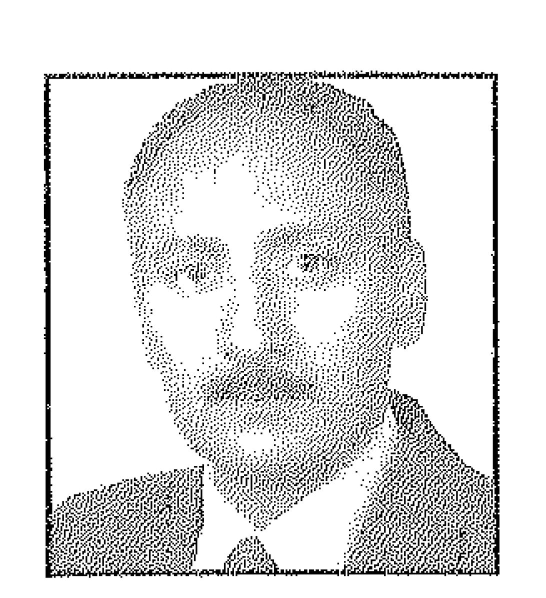
- تستبعد المجلة ما سبق نشره.
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

الاشـــتـــراكـــات :

- **للأفراد في البلاد العربية : ما يعادل ١٥ دولاراً.**
- **خارج البلاد العربية : ٢٥ دولاراً.**
- **للمؤسسات والدوائر الحكومية : ٣٠ دولاراً.**

أسـعـار بـيـع المجلة : دول الخليج : ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها - الأردن دينار واحد - مصر ٣ جنيهات - سورية ٥٠ ليرة - لبنان ٢٥٠٠ ليرة ، المغرب العربي ١٠ دراهم مغربية أو ما يعادلها - اليمن ١٥٠ ريالاً - السودان ٢٥٠٠جنيه - الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

نحو أدب إسلامي مقارن



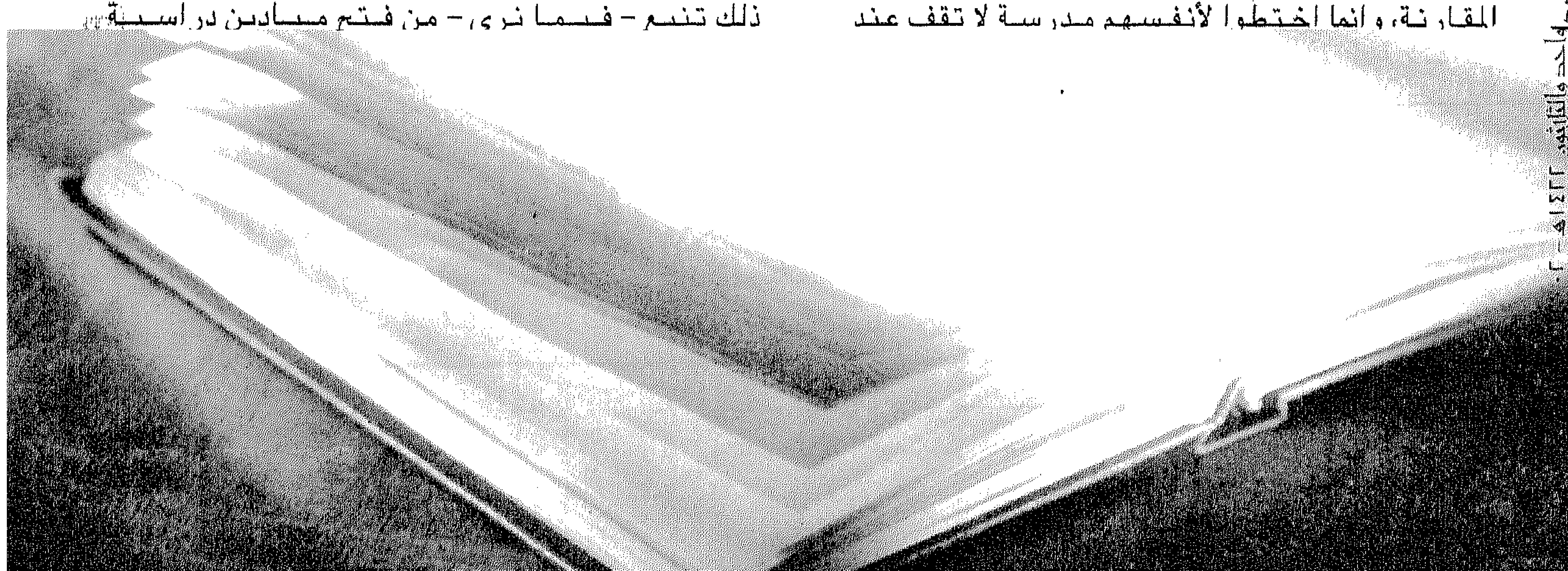
د. أحمد حنطور
مصر

كـان لنشأة الأدب المقارن وتطوره في ظل البيئة الأوربية دور كبير في أن تترك الدراسة الأوربية له بصمات واضحة المعالم بالغة التأثر في منحى الدراسات المقارنة واهتمامات الدرس المقارن في الأدب العربي، ومن ثم جاءت مناهج الدراسة لدينا تلتقي مع منحى الأوربيين في التناول، وموضوعات المقارنة صدى لاهتماماتهم في الأدب الغربي المقارن، حتى أضحت الأجناس الأدبية والنماذج البشرية والمذاهب الفنية في الآداب الأوربية تحتل مكان الصدارة في دراستنا للأدب المقارن، وقد يأتي القول بأن هذا فعل الريادة في المرودين تعليلا لذلك، ولكن هذا لا يدفع عنا حرج الاستنامة في التلقي والتفريط في حق العلم.

ذلك أننا نخطئ كثيراً في حق أنفسنا حين يقف دور الدراسات العربية عند التعريب والنقل، فليس هذا من دأب التواصل الحقيقي للحضارة بين الشعوب الذي تنشده كل أمة، ولا من مصلحة الأهداف القومية من وراء الدراسة المقارنة، وإنما واجب الحفاظ على الهوية وتدعيم الثقافة الوطنية، واتخاذ دور فاعل في مسيرة الحياة الأدبية يهتف بنا أن نسبر غور هذه الدراسات والوقوف على ضوابط المنهج وأبعاد الموضوعات والتيار الفكري الذي ينتظمها لا للنقل، وإنما لاستنباط ما يوائم طبيعة الأدب العربي والإسلامي، ويدلل على دوره المؤثر في مسيرة الحياة الأدبية. فكثير من الأجناس الأدبية الأوربية لم تبلغ حد الظاهرة في أدبنا العربي، والحضارة الأوربية بعد كبوتها في العصور الوسطى عندما توجهت إلى الحضارة العربية لتنهل من معينها لم تقف عند مجرد النقل، وإنما بنت عليها وولدت منها بعض فنونها وأجناسها الأدبية المعاصرة. والدارسون الأمريكيون لم يبيحوا لأنفسهم اقتفاء أثر المدرسة الفرنسية في المقارنة، وإنما اختطوا لأنفسهم مدرسة لا تقف عند شرط التأثير والتأثر، ولا تهمل دور النقد في حكمه الجمالي على الأعمال الأدبية المتشابهة.

ولعل ذلك كله يلقي مزيداً من التبعة على جيل الرواد من دارسي الأدب المقارن، والذين تمثل دورهم في النقل والتقليد لا التطور والتجديد، ويستنهض همم الأجيال اللاحقة للبحث عن ذاتها وسط الركام، والاهتمام بقضاياها عند المقارنة مع الآداب الأجنبية، وبخاصة أمام ظهور تيار العولمة الذي يسعى إلى السيطرة الغربية على الآداب العالمية تحت شعار إنسانية الأدب.

وقد وجدنا في هذا السبيل جهودا تمثلت في كثير من كتب الدكتور حسين مجيب المصري التي ألفها في المقارنة بين الآداب الإسلامية الأربعة: العربية والفارسية والتركية والأوردية، وفي كتاب الأدب المقارن للدكتور طه ندا، وفي الأدب المقارن للدكتور محمد عبدالسلام كفاني، والأدب المقارن للدكتور محمد السعيد جمال الدين، وغيرهم من المتخصصين في دراسة اللغات الشرقية وآدابها. ومحاولاتهم في ذلك تنبع – فيما نرى – من فتح ميادين دراسية



لكتاباتهم الإسلامية، ومن ثم وجدناهم يعنون بدراسة آداب البلاد الإسلامية على التعميم في المصطلح، ويهتمون بتناول موضوعات علم اللغة المقارن.

وقريب من هذا المنحى ما وجدناه في كتاب مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن للدكتور الطاهر أحمد مكي، فقد ذهب إلى تتبع نقط التلاقي بين الآداب الإسلامية ذات اللغات والمذاهب المختلفة، والتي تصلح مجالاتها للأدب المقارن، دون أن يعنى بمدى الالتزام في هذه الموضوعات بالتصور الإسلامي في المعالجة، فجاء مرة أخرى مقارنا بين آداب البلاد الإسلامية في الموضوعات المشتركة أو المختلفة بين هذه الآداب.

ونحن نعتقد بضرورة الوقوف في دراسة العناصر عند حد الوفاء بإثبات التأثير والتأثر، والتعرف على دورها في تحقيق السمات المشتركة بين الآداب، ومراعاة جانب التصور الإسلامي في الأعمال الأدبية عند القيام بالمقارنة بينها، ومن ثم لا مناص في هذا المدخل من تحديد مفهوم الأدب الإسلامي وبيان طبيعة المقارنة فيه. فالأدب الإسلامي لدى كثير من الدارسين هو: التعبير الفني الهادف عن الكون والحياة والإنسان من خلال التصور الإسلامي، أو هو الذي يرسم الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود(١). وهو بهذا المفهوم يتسع ليشمل شتى الموضوعات والصور التي تزخر بها الحياة، وتتنوع أشكاله لتحيط بسائر الأجناس والأشكال الأدبية شريطة الحفاظ على قيم الإسلام الثابتة فيما يدعو إليه، وتتمثل طبيعة المقارنة فيه - باختصار - في تقديمه على أنه أدب إسلامي مقارن لا على أنه مقارنة بين آداب البلاد الإسلامية، وفرق كبير بلاشك يبدو في الاهتمام والمعالجة على أي من المفهومين السابقين.

ويزداد الأمر بيانا إذا علمنا أن البحث في أدب البلاد الإسلامية يدور حول شتى ما تنتجه هذه البلاد من أعمال أدبية دون تركيز على المنظور الإسلامي فيها، ومن ثم فهي تشمل ما يدخل في الأدب الإسلامي، أو ينتمي إلى غيره مقارنا بما يوجد في ساحة البلدان الأخرى من ألوان واهتمامات أدبية، وفي الأدب الإسلامي المقارن يدور البحث حول الموضوعات ذات الصبغة الإسلامية وكيفية معالجتها مع اختلاف الأدباء وامتداد الأقطار، وهذا الفرق يقتضينا الإتيان بشيء من التفصيل والتحديد معا لمفهوم الأدب الإسلامي من وجهة نظر هذه الدراسة، وهي وجهة تلتقي مع طبيعة الأدب وتنبع من داخله دون أن تكون صدى لمواقف تفرض عليه من خارجه، ودون أن تذهل عن رسالة الفن الأدبي الجميل.

وما نراه في مفهوم الأدب الإسلامي أنه يطلق ويراد به: كل ما صدر من قول فني عن أديب مسلم أو ينتمي إلى الإسلام أو تمثل مبادئ الإسلام في أدبه حين إنشائه، مادام ملتقيا في الجميع مع تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، فالصدق الفني لا الواقعي هو المحك في دراسة الآداب، ولاشك أن أصل الفطرة الإنسانية الصافية التي خلق الله الناس عليها يكمن في كل شاعر، ويسمح له بهذا التمثل لو أراد، وفي سيرة الشاعر ما يكشف عن استعداده في هذا الجانب، وذلك مثل معرفتنا بتأثر الشاعر الألماني جوته في «الديوان الشرقي» بالتراث الديني في نتاج كبار أدباء الفرس الإسلاميين.

حظيت الآداب الإسلامية بوشائج قوية من الاتصال والانسجام والتفاعل قديماً وحديثاً.

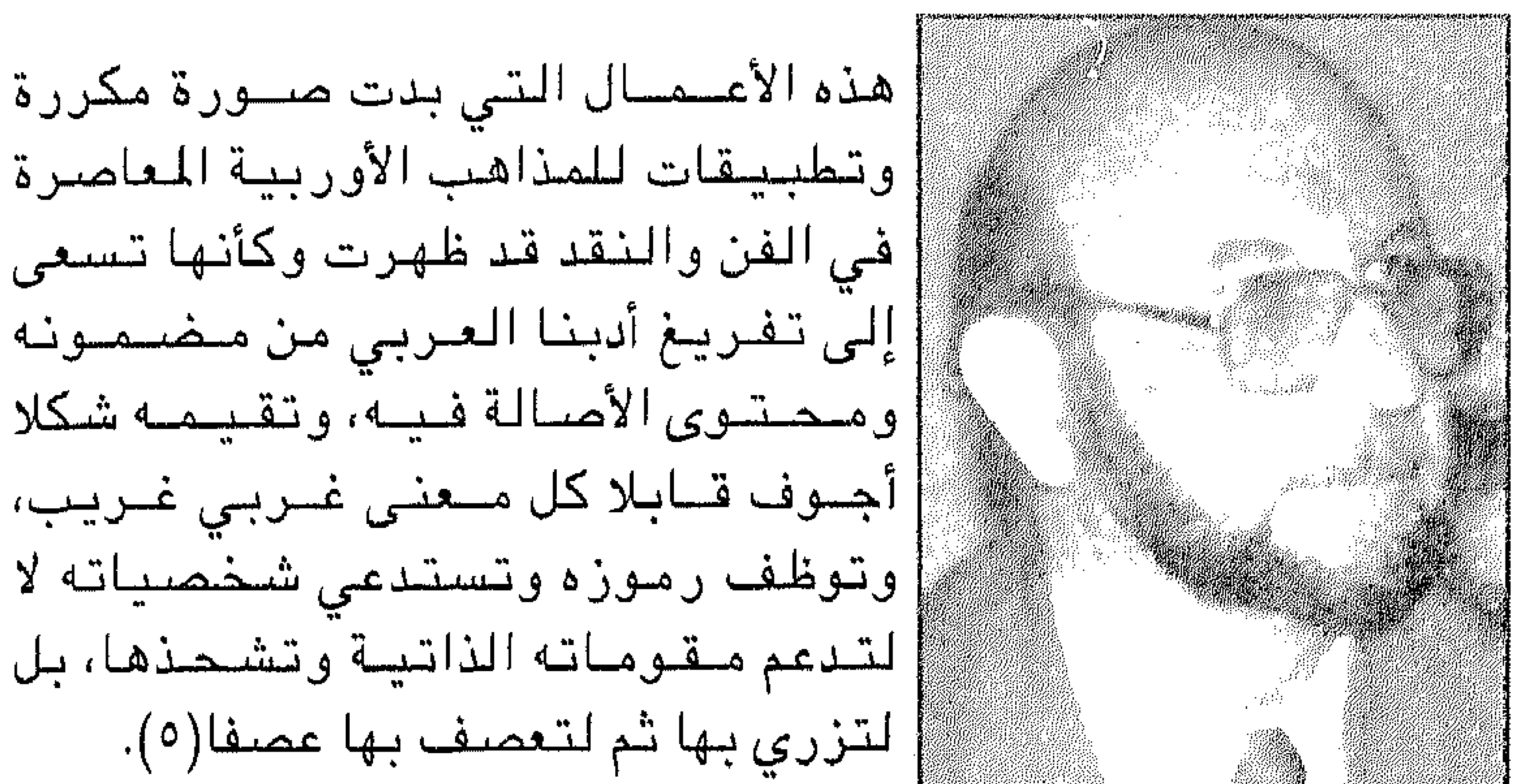
ومن ثم فنحن لا نعد - كهؤلاء الذين يتوسعون في المفهوم - كل أدب خلقي أدبا إسلاميا، مثل شعراء الحكمة في العصر الجاهلي، ودعوة سقراط إلى الحق والخير والفضيلة، لأنه ليس ثمة تأثر أو قصد على الإطلاق إلى مبادئ الإسلام في صياغة أعمالهم الأدبية، كما يدخل معنا بعض الأعمال التي نحّاها أهل التضييق في المفهوم الذين يرون ضرورة صدور هذا الأدب عن الأديب المسلم الملتزم بتصورات الإسلام وتطبيقاته العملية في الأقوال والأفعال، وذلك على الرغم من عدم اصطدامها مع قواعد المنهج الإسلامي لاجتهاد أصحابها المسلمين في المواءمة بين التصور الإسلامي وأخذ عناصر الإبداع لهم، وتوجه المتمثلين لمبادئه إلى الإفادة من قيم الإسلام في صياغة هذه الأعمال(٢).

ولاشك أن التنظير لدرس - أي درس - يقتضي ضرورة تحديد المفاهيم وتقنين الرؤى في ضوابط منهجية مقررة حتى تتضح معالم النظرية وجدواها، وحتى يجد التطبيق عليها طريقا واضحة ممهدة لا يتيه معها الدارس في دروب الصعاب، وتتوزع به السبل فيعود من رحلة البحث بلا حصاد، ومن ثم يأتي تحديد الدعوة إلى أدب إسلامي مقارن في نقاط تساعد على تجلية ما ندعو إليه، وتجيب عما يتعلق بواقع هذه الدراسة من تساؤلات.

أ - البواعث والأهداف:

حين نطالع مكونات الدرس الأدبي المقارن في المؤلفات العربية نجد أنها تدور في فلك المناهج

الأوروبية وتعنى - أكثر ما تعنى - بما يتردد فيها من اهتمامات وموضوعات، ولاشك أن هذا المنحى في الدراسات العربية المقارنة يفيد بالضرورة الآداب الأجنبية ويتواءم معها قبل غيرها، وفي المردود المحلي فإنه ينهض بإعطاء فكرة عن واقع هذه الآداب، ويبقى الأدب العربي الإسلامي قانعا بدور التبعية في المنهج والمحدودية في الفائدة. فإذا أدركنا تلك الحقيقة ونظرنا إلى ما يتحقق من أهداف في ظل دراسة مقارنة تنبع من وادينا وتكون لآدابنا فيها حق الصدارة في الاهتمام وقفنا على طبيعة البواعث والأهداف التي تحمل على حتمية قيام تلك الدراسة.



د.عبدالباسط بدر

فمن تلك البواعث: أن دراسة الأدب المقارن تهدف إلى إثراء الآداب القومية، والتعرف على خصائصها المميزة، والوصول إلى النبع الذي تمتاح منه(٣). ودراستنا للأدب المقارن في الإطار السابق تنحصر فائدتها في بعض الجوانب التي تتعلق بالمنهج، أما الاهتمام بدراسة الموضوعات بين الآداب الأجنبية فهو لا يصل إلى الغاية في تحقيق هذه الأهداف، وذلك أن هذه الموضوعات بعيدة عن البيئة العربية الإسلامية، بل إن منها - الملحمة بمعناها الأوربي - ما يكاد يكون وقفا على بيئاتهم، ومن ثم فمن الواجب أن نضع نصب أعيننا أثر هذا الاختلاف في التاريخ والبيئة، والدوافع والأهداف، ودوره في إضعاف مدى الفائدة بين هذه الآداب وأدبنا الإسلامي، ومن ثم لا تخدم الشخصية القومية بالقدر الذي تمنحه الآداب ذات البيئات المتشابهة.

ومنها: أننا نجد المقارنة مع هذه الآداب - تبعا لما سبق - تقوم في بعض نماذجها على لون من الاعتساف، وتوصيف الظواهر والأعمال الأدبية قسرا متابعة لواقع الآداب الأجنبية، وليس أدل على ذلك من إرجاع تأثر شوقي في نظم القصة على لسان الحيوان - بناء على شرط اختلاف اللغة - إلى لافونتين وإهمال دور التراث العربي في ذلك، وإرجاع رؤى محمود حسن إسماعيل الشعرية إلى المذهب السريالي، وربط تأملاته الباحثة بالفلسفة الوجودية(٤).

وفضلا عن عدم الموضوعية في ذلك فقد ترك هذا الاتجاه آثارا سلبية على القيم الفنية الموروثة للشعر العربي - محور الأدب الإسلامي - في اللغة والموسيقى وتشكيل الصور الشعرية، بل واستمداد المعاني والموضوعات من الآداب الغربية، ومن أسف أن هذه الأعمال التي بدت صورة مكررة وتطبيقات للمذاهب الأوربية المعاصرة في الفن والنقد قد ظهرت وكأنها تسعى إلى تفريغ أدبنا العربي من مضمونه ومحتوى الأصالة فيه، وتقيمه شكلا أجوف قابلا كل معنى غربي غريب، وتوظف رموزه وتستدعي شخصياته لا لتدعم مقوماته الذاتية وتشحذها، بل لتزري بها ثم لتعصف بها عصفا(٥).

ومنها: وفي مقابل الاختلاف السابق نجد الآداب الإسلامية حظيت بوشائج قوية من الاتصال والانسجام والتفاعل قديما وحديثاً. وذلك يدفعنا إلى النظر في آداب شعوبنا الإسلامية التي أدى ذلك الاتصال بينها إلى الامتزاج الوثيق بين فنونها، والتأمل في نتائج هذا الامتزاج وانعكاسه على طبيعة هذه الآداب في ضوء ما يتطلبه منهج الدرس المقارن ومبادئه التي نقف عليها عند التعرف على المنحى والإطار.

وقد أشار أحد الباحثين إلى طبيعة الامتزاج ودوره في جعل الأدب المقارن أصلح ما يكون للأخذ به وتطبيقه على دراسة الآداب الإسلامية، في نظرة تجمع بين فهم الواقع وما يتصل بطبيعة دراسته من بواعث ويتطلبه من أهداف، في قوله: «إن هذه الآداب الإسلامية متداخلة متكاملة كأوضح ما يكون التداخل والتكامل وإلى الحد الذي يجعل من بعضها امتدادا أو تتمة لبعض، ولا غرو فقد كانت في ظل الإسلام نشأتها، مما جعل حتما من الحتم أن تستمد من كتاب الله المبين وحديث رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وتعبر بلغة الضاد أو تستعير منها وتستعين بها للتعبير، ولذلك ملحوظ الأثر في الفارسية والتركية اللتين تضمنتا ما لا يحصى كثرة من الألفاظ والعبارات العربية، ومن حيث كان اللفظ قالبا للمعنى موصول الصلة به، انسربت المعاني وما ترتب عليها في شتى جوانب التراث العربي إلى تراث الفرس والترك بعد الإسلام، مما أفضى ضرورة إلى انعقاد الرابطة الوثقى بين تلك الآداب الإسلامية الثلاثة، وعلى نحو يستحيل فيه بت الصلة بينها في تصورنا لها على ما ينبغي أن يكون ذلك التصور، وإلا كان علمنا بالجزء من دون الكل، وهذا عيب حبذا الالتفات إليه كيما نبرأ منه، ونقص أولى بنا أن نذكره ليذكرنا بالأكمل الأفضل (٦).

ومنها: ضرورة التوجه إلى معرفة الذات قبل الاهتمام بمعرفة الآخرين، فالأدب الإسلامي يشكل

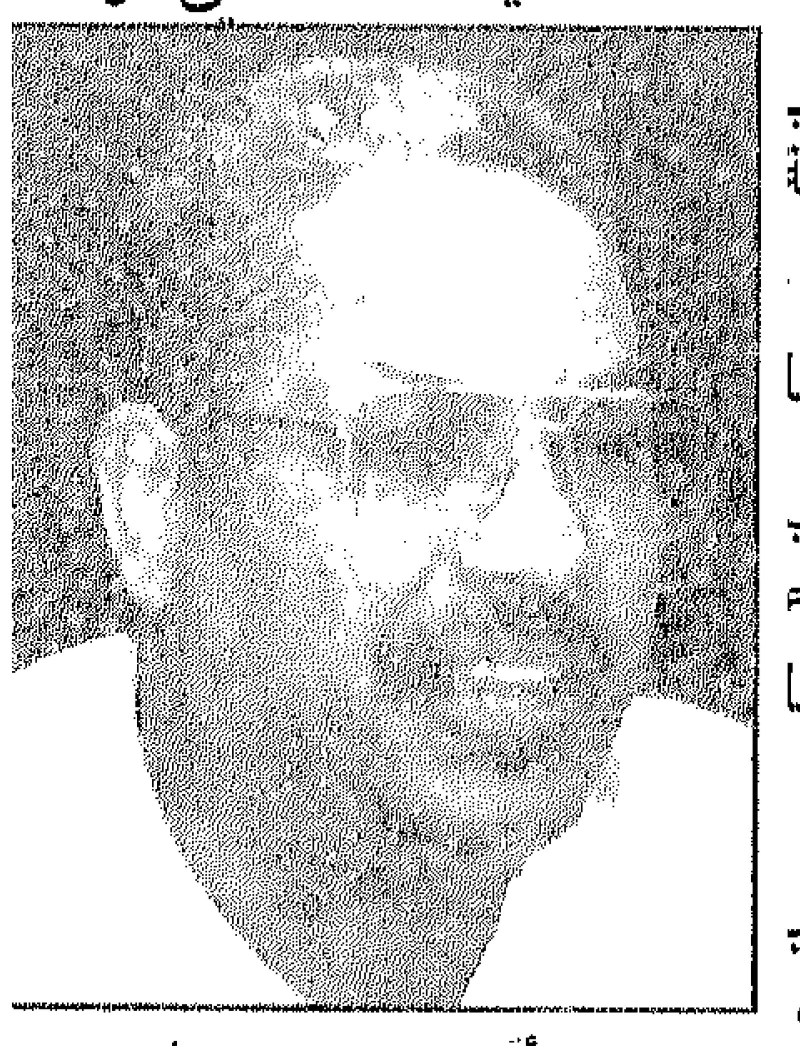
وحدة أدبية متمازجة، وإذا كنا نريد التعرف على أبعاد ثرائه، وطبيعة تفاعله مع غيره من الآداب، فمن الواجب معرفة هذا الأدب أولا: شخصيته، وامتداده، والعوامل المؤثرة فيه، ومسيرته، وامتزاجه بغيره من الآداب، فبهذه المعرفة يمكن الوقوف على ما يتوافق أو يغيب عن الساحة الأدبية لدينا من أجناس وظواهر وأشكال فنية، والتثبت من حقيقة الدعاوي التي وسمت آدابنا بميسم الضعف ورددناها في غيبة الوعي بحقيقة الذات في تسليم وإخبات، ذلك أن الدراسة المقارنة يتسع المجال فيها لرد المسبب إلى السبب، وترتيب النتيجة على المقدمة، وتبين الفروع وكيفية انشعابهاعن أصولها، وإدراك مظاهر التشابه والتخالف والاتفاق، وذلك كله مفض إلى التحليل والتعليل وتبين الندية والضدية والتقارب والتباعد، ولكن بعد الغوص في حقائق شتى تتعلق بالتاريخ واللغة والآداب وتطور الحال على امتداد الزمان ويلزم منه قياس المجهول على المعلوم مما يكشف الغامض مما جهل، ويزيد من تجلي صفات ما علم، كما أن مقابلة شيء بشيء هي الوسيلة الفضلى إلى تعرف أخص ما لهما جميعا من صفات». (٧).

ومنها: تجنب ذلك الأثر السيئ الذي أتى به التغريب في المنهج والدراسة، والاحتذاء والنقل دون تبصر، حيث أضحت كثير من الدراسات المقارنة لدينا لا تعدو أن تكون عملا من أعمال الترجمة والاقتباس، وإذا كان لتلقي القوافل الأولى من دارسي الأدب المقارن علومهم في الجامعات الأوربية أثر كبير في هذا التوجه (٨)، فمن الواجب على الأجيال اللاحقة تقويم المسار بما لا يقطع الصلة بمدارس الفن ولا يطغى على الأصالة الذاتية لدراساتنا الأدبية. ومن أوضح المثل لذلك الأثر كتاب «نماذج بشرية» للدكتور محمد مندور، فقد سطا فيه على كتاب النماذج العالمية في الأدب الفرنسي والعالمي، للكاتب الفرنسي جان كالفين، والنموذج الوحيد الذي أضافه الدكتور مندور هو إبراهيم الكاتب للمازني، أما البقية فمأخوذة كلها من المؤلف الفرنسي، نماذج وموضوعات ونصوصا ومنهجا(٩).

ب - الأهمية والفائدة:

ولهذا الاتجاه في دراسة الأدب المقارن أهميته البالغة وفائدته الكبيرة، وهي ترجع في بعضها إلى الفائدة العامة التي تجنيها الآداب القومية من دراسة الأدب المقارن، وترجع في بعضها الآخر إلى ما يعود على الأدب الإسلامي في مواجهة غيره على وجه الخصوص.

وأولى تلك الفوائد تكمن في تلبية البواعث الخاصة بدراسة الأدب المقارن ودوره في خدمة آداب الشعوب المحلية، سواء فيما يتعلق بالتخلص من التبعية في الدراسات المقارنة للغربيين، أو الوقوف على منهج دراسي يتواءم مع اللغة القومية ويحافظ على هويتها الأدبية، أو إثراء الآداب القومية والتعرف على الدخيل والأصيل من خصائصها الأدبية، أو إظهار الروابط بينها وبين غيرها من الآداب والتعرف على مكانتها في مسيرة الأدب والفن، أو الخروج بها من دائرة المحلية إلى العالمية، وتلك مهام عامة تتحقق فائدتها في دراسة الأدب الإسلامي المقارن، من حيث كونه لونا من الدراسات المقارنة يرنو إلى ما نتطلع إليه، وتنعكس آثارها عليه في النواحي المتقدمة.

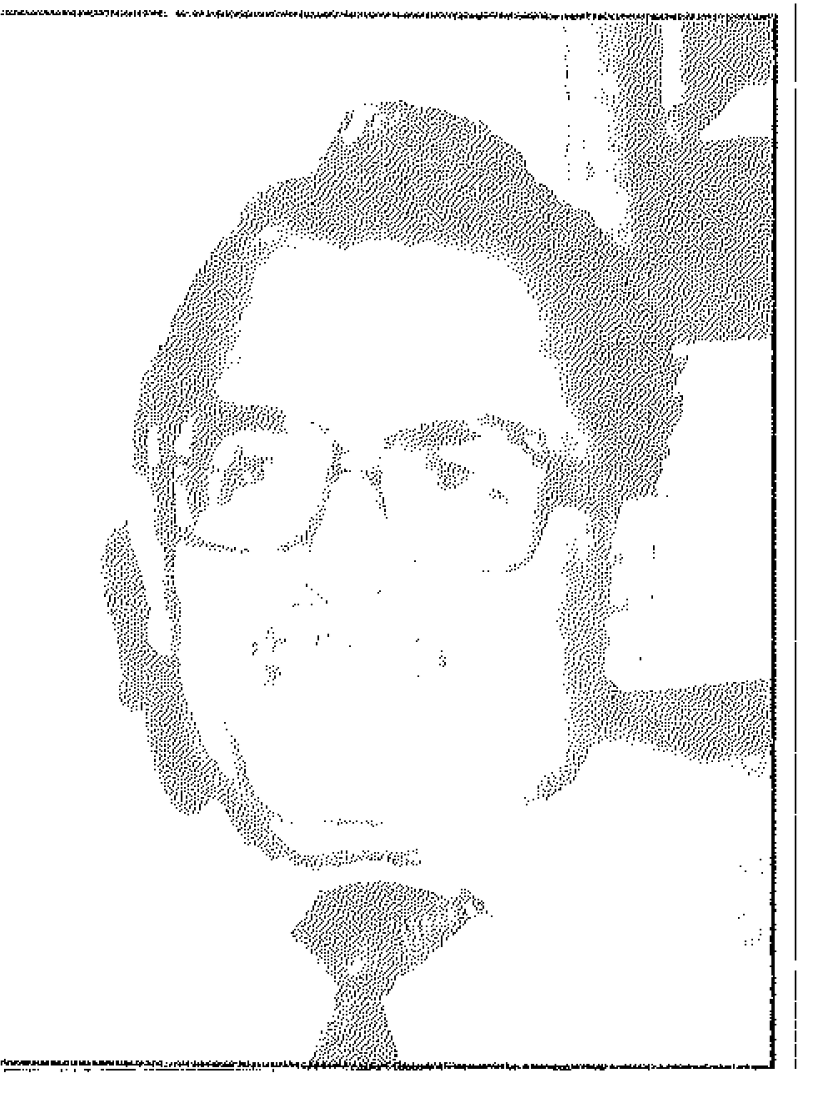


د. أحمد محمد علي

وفي الأدب الإسلامي المقارن تتجلى بعض الحقائق البالغة القيمة، ونكتفي بالإشارة إلى ما يتعلق بالواقع والخصائص الأدبية، فمن ناحية واقع المقارنة يبدو تأثير الأدب العربي في غيره أجلى وأوضح، وفي الأدب المقارن مع الآداب الأجنبية بصورته الحالية يبدو الأدب العربي والإسلامي واقعا تحت تأثير غيره بصورة كبيرة، وذلك المظهر الأخير طالما اغترّ به الدارسون وسلبوا آدابهم ما منحتها من خصائص ومن مقومات كان لها أثرها البالغ في تاريخ الآداب. ومن ناحية الخصائص توقفنا المقارنة على ما يتحلى به الأدب الإسلامي من قيم خلقية، ورسالة إنسانية، وإمكانات تعبيرية، وصور أدبية خالدة كانت عوامل سيرورته وتأثيره في غيره من الآداب، أو بعبارة أخرى تمنحنا التعرف على أثر الخصائص الإسلامية في الأدب في الآداب العالمية.

وإذا كانت الفرنسيون يرون أن الأدب المقارن هو السبيل الدائم إلى التقريب بين الآداب الخمسة الكبرى في أوربا الحديثة فإن الأدب الإسلامي المقارن ينهض بهذا التقريب في آداب أمتنا ويتخطاه إلى الحياة الإسلامية العامة، ذلك أن تراثنا في الأدب الإسلامي لا يقف عند حد الأدب العربي فقط، بل يمتد إلى آداب أخرى مثل الأدب الفارسي والتركي والأوردي والسواحلي والإندونيسي والألباني. وهذا التوزع بين الآداب من شأنه أن يوجه النظر إلى معالم

هذه المنظومة المتكاملة من الآداب، والنظر في دور التواصل بينها في إيجاد ما يمكن أن يسمى التنوع في وحدة، والذي حفل به تراثنا الإسلامي في هذا الميدان، والبحث في تلك العوامل التي أضعفت وسائل الاتصال بين شعوب هذه الآداب في العصر الحديث حتى غابت عن ذاكرتنا الأقليات المسلمة شرقا وغربا، ولم نكد نشعر بها إلا وهي تعاني من سكرات الموت وضربات الفناء. ولعل الأدب الإسلامي المقارن تنهض قوافله في القيام بتلك المهمة في الأدب والحياة، ويثمر دوره في رأب الصدع وتوحيد ما تفرق وعلاج تلك القطيعة التي أوجدتها الصراعات المصطنعة والخلافات التي دست بين المجتمعات الإسلامية وأتت أكلها فرقة وتمزقا في البيئة الإسلامية، وثقة واتباعا لمن يضمرون لها الكيد ويغزون وجودها المادي والحضاري بكل سبيل. وكم كان للدراسات الإنسانية بقدرتها على تخطي الحدود والسدود من قدرة على إبطال دور هذه الصراعات في الفرقة والشتات، وما واقع عصر الدول والإمارات في الأدب العربي والإسلامي عنا ببعيد.


د. نجيب الكيلاني

والأدب الإسلامي المقارن يخدم الدراسات المقارنة في الإطار العام ويشيع في ساحتها قدرا من التوازن المنشود في الاهتمام بالآداب العالمية على قدر سواء، ويفيد منها ويفيدها بما انتهى إليه من نتائج وحقائق في ميدان الدراسات الأدبية، فليس سبيله التقوقع أو التحزب أو الاجترار كما سيأتي بيانه، ومن ثم فهو بهذا التعاون - لا المواجهة - يقدم ما انتهى إليه في ميدان دراسة هذه الفئة المتجانسة مع غيرها من الآداب، وينظر فيما انتهت إليه الدراسة بين المجموعات الأدبية الأخرى، وليجد الدارس في النهاية الطريق ممهدا أمامه في دراسته لتاريخ الأدب العام أو الأدب العالمي.

وفي الأدب الإسلامي المقارن يمكن الوقوف على أثر العوامل البيئية في تلون الموضوع الواحد لدى الشعوب الإسلامية، فمع الروح الإسلامية السارية في الموضوع، وتشابه المعالجة في البيئات الإسلامية فإن أحدا لا يستطيع أن ينكر تلك الإضافات التي تبثها البيئات المختلفة في الموضوع وتطبعه بطابعها الخاص. وبالوقوف على تلك الخصائص البيئية والعامة في الفنون الأدبية المختلفة فإن الأدب الإسلامي المقارن يقدم لنا منظومة نقدية وتاريخية متتابعة الحلقات تصل بين فنون القول المتنوعة في الأدب الإسلامي وتساعد في تقديم صورة متكاملة عن الأدب الإسلامي على امتداد بيئاته وتعدد لغاته، ويمكن التأمل فيها من التعمق في البحث عن العلاقة بين النظرية والتطبيق في الأدب الإسلامي، ومدى التزام البيئات في ارتباطها بالموقف والأصل الذي صدرت عنه تلك الفنون، والعوامل التي تحدد مكانها من هذاالالتزام.

جـ- الأسس والميادين:

وتتمثل تلك النقطة في الوقوف على الأسس التي تسعفنا في قيام دراسة منهجية مقارنة للآداب الإسلامية، والميادين التي تتطرق إليها تلك الدراسة، ومدى التقاء ذلك مع قواعد المنهج العام واهتمامات المدارس المختلفة، وعند التأمل نجد أن الآداب الإسلامية أوفر حظا من غيرها في النواحي المتقدمة.

فمن أسس تلك المقارنة وضوح سبل الاتصال والانتقال للأجناس الأدبية والتيارات الفنية والموضوعات الإبداعية في الآداب الإسلامية لمن أراد الوقوف عليها، فعندما انتشر الإسلام خارج الأقطار العربية، ودخلت فيه شعوب أخرى، وتأثرت به آدابها، نبتت لهذه الآداب أجنحة جديدة، أعطته بعدا إنسانيا عالميا، فقد ظهر في الأدب الفارسي منذ القرن الثالث الهجري تيار إسلامي استفاد من الأدب العربي شعره ونثره، واستفاد من القرآن والسنة، وحمل قضايا إسلامية كثيرة، وأصبح تيارا موازيا للتيار الإسلامي في الأدب العربي، وربما يتفوق عليه في بعض القضايا والفنون.

وما لبث الأدب التركي أن استفاد من الأدب الفارسي والعربي، ونهل مما نهل منه الأدبان المذكوران من المعاني القرآنية، فامتد الأدب الإسلامي إلى لغات أخرى وشعوب أخرى. وعندما تشكلت اللغة الأوردية وظهرت فيها الأعمال الأدبية كانت الآثار الإسلامية جزءا من نسيج هذه الأعمال . ومازالت الآداب الفارسية والتركية والأوردية تحمل تيارا إسلاميا واضحا حتى يومنا هذا (١٠).

ومنها: وضوح التشابه في الظواهر والتيارات والموضوعات على نحو يدل على عمق الروابط الفكرية والصلات الأدبية بين الآداب الإسلامية. وقد كشفت الدراسات المقارنة بين آداب العالم الإسلامي عن نوع فريد من التفاعل بينها لا نشهده في غيرها، وهو

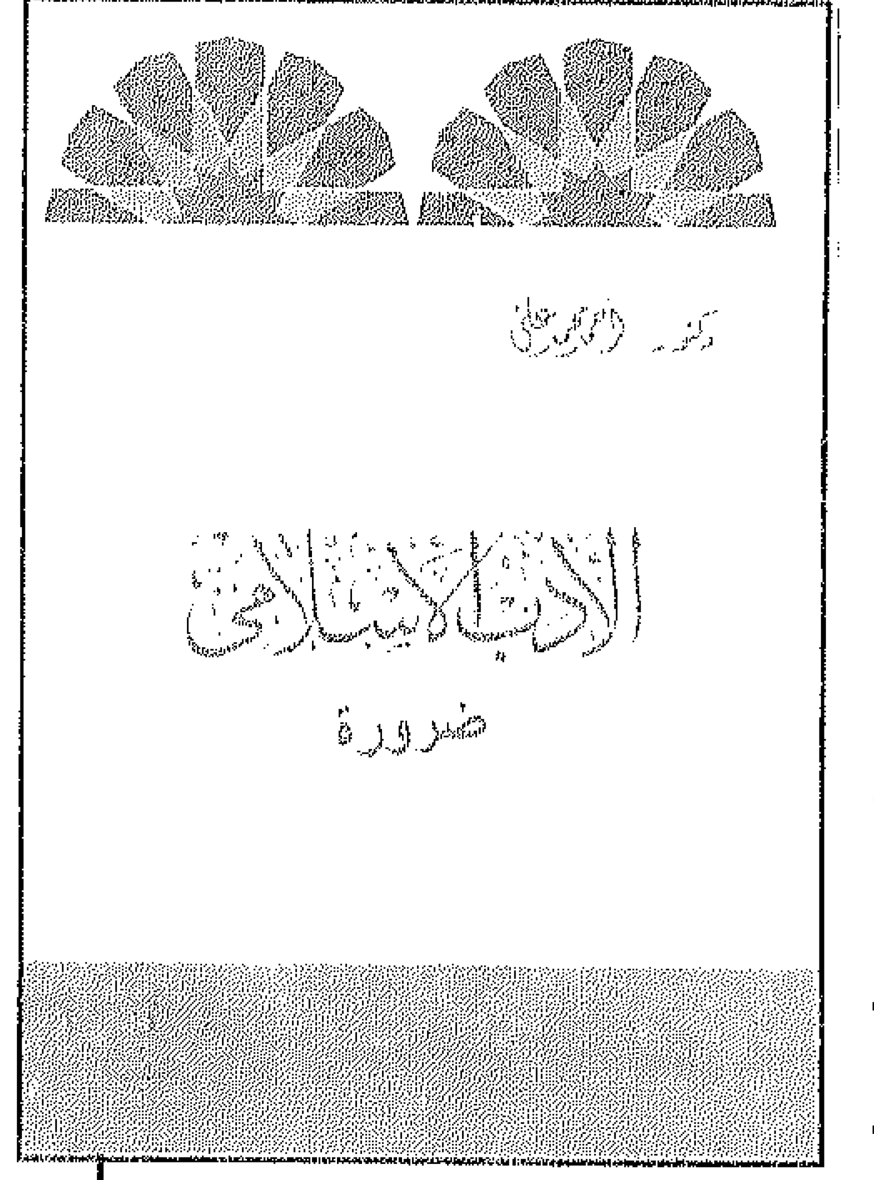
دوران الموضوعات بين الآداب الإسلامية دورات كاملة لتعود إلى الأدب الذي بدأت منه، ولكن في صيغة جديدة تجمع بين التراث والمعاصرة.

والنظر لهذه الآداب في إطار المقارنة العامة يجلي هذه الحقيقة «فحين يظهر موضوع من الموضوعات في أدب ما كمجنون ليلى في الأدب العربي القديم يتلقفه الأدب الفارسي فيحتضنه زمنا، ويطبعه بطابعه الوجداني الخاص، ويعطيه أبعادا فنية، وقيما جمالية إضافية، ثم ينتقل الموضوع إلى الأدب التركي، وهو محمل بمؤثرات عربية وفارسية، ثم يرجع مرة أخرى إلى الأدب العربي في العصر الحديث، وقد تشبع بالطابعين الفارسي والتركي، وفي كل مرة ينتقل فيها الموضوع إلى أدب من هذه الآداب يصاغ بشكل جديد، ويتلقى إضافة جديدة»(١١). ويبقى دور المقارنة الخاصة بين أعمال الأدب الإسلامي المتعددة في تأكيد هذه الحقيقة.

ومنها: أن الآداب الإسلامية على الرغم من تشابهها في الاتجاه والاهتمامات إلا أن بين نتاجها الأدبي من الفروق والاختلافات ما يجعلها تتنوع في وحدة - كما مر بنا - ويقف بنا أمام ميدان خصب من المقارنة التي ترصد المشابهات والمتباينات وما يحيط بها من تساؤلات. وفضلا عن الاختلافات البدهية مثل اختلاف اللغة، والبيئات التي احتضنت هذه الآداب، وثقافة العصور التي تتابع ظهور الآثار الأدبية فيها، فإن هناك بصمات ذاتية لا تخفى لروح الأمم صاحبة الآثار وطريقة تفكيرها، وعبقريتها في المعالجة، مما يجعلها - في النهاية - تحظى بمقارنات فنية تجمع بين المتعة والفائدة.

وميدان هذه المقارنات واسع يمتد ليشمل مجالات المقارنة المختلفة، حفيل يغنى بكثير من الموضوعات التي تندرج تحت هذه المجالات. فمن تلك الميادين دراسة الشخصيات التاريخية والنماذج الإنسانية، وفي مقدمتها شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت محورا لكثير من أدباء العربية - شعرا ونثرا - في القديم والحديث، وفي الصدارة من الحديث عظماء الإنسانية لدى الكتاب الغربيين، وتناول الشعراء الروس له صلى الله عليه وسلم في أشعارهم مثل بوشكين وليرمونتوف(١٢)، وشخصية سلمان الفارسي في الأدب العربي والفارسي والتركي، وشخصية الحسين في الأدب العربي والفارسي والتركي والأوردي والسواحلي والألباني (١٣).

ومنها: تصوير حضارة شعب في إبداع شعب آخر، ومن المؤلفات ذات المضمون الإسلامي التي نهضت بهذا الفن كتب الرحلة إلى الحجاز، وهي في الأدب العربي الإسلامي - شرقيه وغربيه - كثيرة متعددة(١٤). وفي غير العربية لدى أصحاب اللغات الأخرى نذكر: الطريق إلى مكة للمستشرق الإنجليزي محمد أسد، وذكريات عن الحج للمستشرق المجري المسلم عبدالكريم جرمانوس، والطريق إلى المدينة لأبي الحسن الندوي (الهندي)، ورحلة الحاج علي العباس (الأسباني). بل إن بعضا من هذا التصوير جاء في إطار رحلة خيالية مثل هدية الحجاز للشاعر الباكستاني محمد إقبال، أو قالب شعري مثل الرحلة إلى الحجاز للشاعر الروسي إيفون بونين. وفي دراسة هذه الرحلات ومقارنة ذات الاتجاه الإسلامي منها مع ما وجد من تسجيل لجولات الرحالة غير المسلمين في بلاد العرب ما يقفنا على رؤى متنوعة لهذه البلاد تبعا لاختلاف منطلقات تلك الرحلات.(١٥)



ومنها: دراسة المصادر الأدبية للموضوعات في الآداب المقارنة، والوقوف على النبع الذي استرفد منه الأدباء موضوعا ما في الآداب المختلفة، ونذكر مثلا لذلك قصة الإسراء والمعراج في الحديث النبوي، فقد كانت مصدرا أثر في عديد من الأعمال الأدبية التي اتخذت إطار الرحلة إلى عالم الخلود سبيلا لبث الأفكار، أو تقديم رؤى ذاتية وصور تأملية هادفة، أو تطلع إلى عالم مثالي مفقود مثل معراج أبي يزيد البسطامي أو رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورسالة الإسرا إلى المقام الأسنى لابن عربي، ورسالة الخلود أو جاويد نامه لمحمد إقبال (الباكستاني)، وسربال البال لذوي الحال لعلاء الدولة السمناني (الفارسي)، والتوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي. ويتصل بذلك أثر المصدر الإسلامي في الكوميديا الإلهية لدانتي، فهو يزداد تأييدا لدى الدارسين منذ أعلن عنه المستشرق الأسباني «ميجيل آسين بلا سيوسي»، ودعم ثبوته المستشرق الإيطالي «إفزيكو تشيرولي» بالدراسة التي كتبها عند نشره، وثيقة المعراج، والمستشرق الأسباني «مونيدت سنديتو» بنشره الترجمة اللاتينية والفرنسية لكتاب «معراج محمد»(١٦).

ومثل آخر يتجلى في استلهام الشعراء الصور والرموز من القرآن الكريم، واقتباسهم منه الجمل

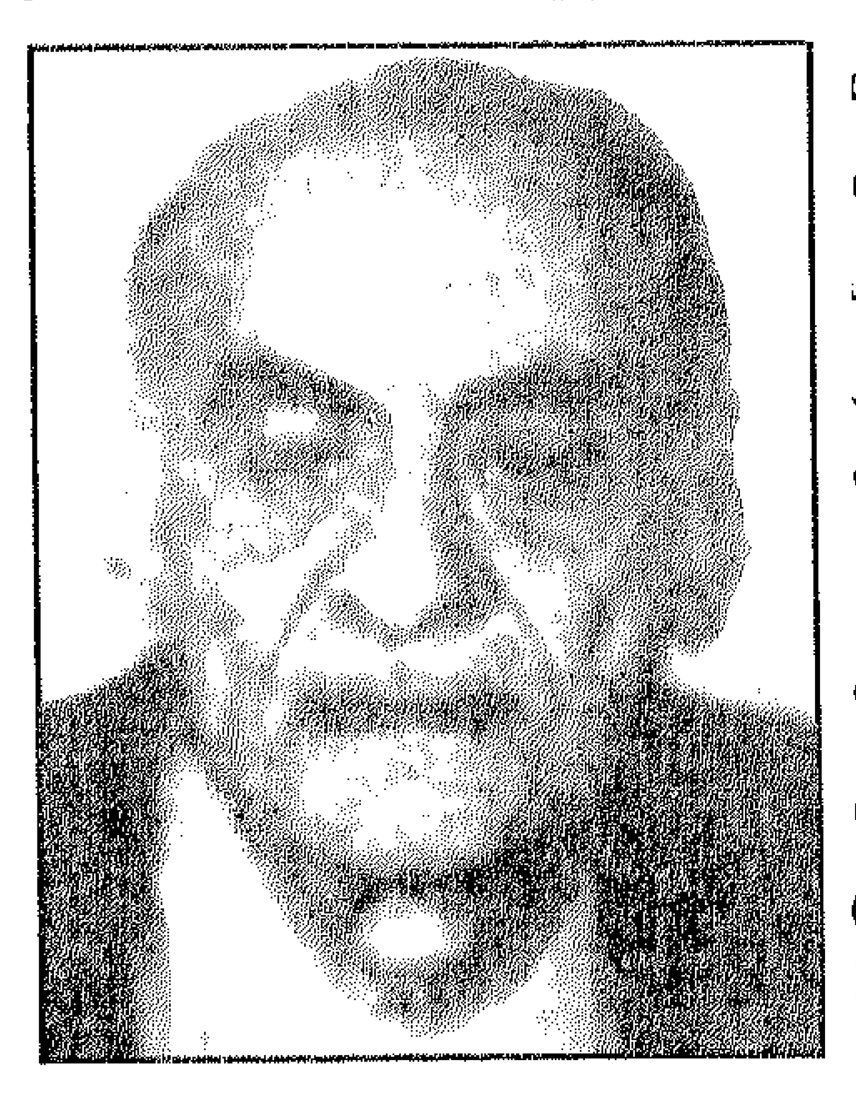
والتراكيب، والتأثر به في التصور والمفهوم. وقد وجدنا الأثر القرآني باديا لدى الشعراء منذ العصر الإسلامي الأول، كما تنطق به أشعار: النابغة الجعدي، ولبيد بن ربيعة، وحسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وحميد بن ثور الهلالي، وبشر بن المعتمر. ومن ذلك الأثر التوجه إلى الإفادة من القصص القرآني، مثل قصة يوسف وزليخا في الأدب العربي والفارسي، وقصة استخلاف بني آدم في الأرض بين شعراء العربية ومحمد إقبال، وفي كتابة تفسير سور القرآن الكريم نظما يتضمن نسقه بعض الجمل القرآنية، مثل تفسير بعض آيات القرآن الكريم وسوره عند شعراء الفرس وتفسير سورة الإخلاص لمحمد إقبال(١٧).

وفي استيحاء معاني القرآن الكريم واستمداد كثير من صوره الأدبية وتراكيبه في نتاج شعراء العربية والفارسية، وامتداد ذلك التأثير إلى الأدباء الروس، مثل: قبسات من القرآن الكريم لبوشكين، وقصة آدم وإبليس لليرمونتون وقصائد متعددة في شعر إيفون بونين، وإلى الأديب الألماني جوته في الديوان الشرقي(١٨).

ومنها: دراسة الأجناس الأدبية، والتعرف على صور الأخذ والعطاء في الأشكال الفنية في المجال الأدبي، ومدى اتسامها بالصبغة الدينية، مثل دراسة الموشحات والمقامات، والقصص في مضمونه الأخلاقي الهادف الذي وقفنا على أمثلة منه في كتابي: المكافأة لأحمد بن يوسف، والمستجاد من فعلات الأجواد لعلي بن عبدالمحسن التنوخي، والقصص على لسان الحيوان الذي أخذ في البيئة الإسلامية انطلاقات رمزية هادفة طورت هذا الجنس الأدبي في الشكل والمضمون، فقد صاغ أبان بن عبدالحميد اللاحقي كتاب كليلة ودمنة شعرا، ونسج على منواله إخوان الصفا رسائلهم الفلسفية، وتأثر محمد بن أحمد بن ظفر بهذا النوع في كتابه «سلوة المطاع في عدوان الأتباع»، وتأثرت الفارسية الحديثة بالدور العربي في هذا الميدان تأثرا عميقا، وبترجمة حسين واعظ كاشفي كتاب ابن المقفع إلى الفارسية تأثر الأديب الفرنسي لافونتين في حكاياته الرمزية الأخلاقية، وترجم بعضا من هذه الحكايات محمد عثمان جلال في كتابه «العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ»(١٩).

ومنها: البحث في الموروث الديني والشعبي المشترك، مثل المدائح النبوية في الأدب العربي والتركي والألباني والأوردي، ورمضان في الشعر العربي والفارسي والتركي، والأدب الشعبي الديني عند العرب والفرس والترك، وقصص المولد النبوي في آداب البلدان الإسلامية المختلفة، وأدب النصائح بين العرب والفرس والترك.

ومنها: دراسة وسائل الانتقال والمصادر والمؤثرات بين الآداب الإسلامية من لغة إلى أخرى، وهي تتنوع في الوسائل من ترجمة المؤلفات إلى اللغات القومية، مثل ترجمة تاريخ الطبري وتفسير الطبري في القرن الرابع الهجري من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية، أو الرحلة وانتقال الأدباء خاصة وأن ظلال الإسلام كانت تظل تلك البلاد جميعا، والعوامل قوية للتوجه نحو الحواضر العلمية للإحاطة بأسباب العلم، وقد نجد من تلك الوسائل ما يتعلق بأطراف البلاد البعيدة أو الدول المجاورة لبلاد الإسلام، مثل القوافل التجارية التي كانت سبيلا لنقل مبادئ الإسلام وثقافته وبعض مفردات لغته الأصلية حيث كانت تتحرك تلك القوافل شرقا وغربا.


د. حسين مجيب المصري

وهي جميعا تتميز عن غيرها من وسائل الانتقال بين الآداب الأجنبية بالمباشرة في الأخذ والتسلسل في الانتقال، فقد أخذ الفرس من العرب بعد دخولهم الإسلام، وأخذ الترك من الفرس ووصلت آدابهم إلى حد التداخل في العصر السلجوقي، وعنهما أخذ غيرهما من البلاد الإسلامية المجاورة دون إغفال للأصل العربي لارتباط لغته بكتاب الله الحكيم ودينه القويم.

وهي تتنوع في المصادر من مصادر شفوية عن طريق التلقي والتلمذة والمدارسة، وفي بعض صورها عن طريق التناظر والمحاورة. فقد كان لاحتواء الإسلام تحت خلافته عديدا من الدول ذات الثقافات المختلفة أثر كبير في توجه أصحابها إلى الحواضر العربية للوقوف على أسرار اللغة وفهم أحكام الدين الحنيف، أو استقدام علماء العربية إلى بلادهم مما ساعد على انتشار حلقات الدرس والعلم التي أسهمت في إيجاد لون من النماذج والتبادل الثقافي بين آداب تلك البلاد. أو مصادر مكتوبة تتمثل في انتقال المؤلفات بين الشرق والغرب الإسلاميين والوقوف عليها وتناولها بالشرح أو التذييل، فقد أدرك كتاب البلاد الإسلامية أهمية الاطلاع على الأدب العربي، ومن هؤلاء النظامي العروضي السمرقندي الذي يقول في

كتابه (جهار نامه): «إن على الكاتب أن يجعل ديدنه قراءة كلام رب العزة وأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلمَ وآثار الصحابة وأمثال العرب، وكلمات العجم، ومطالعة كتب السلف، والاطلاع على صحف الخلف، مثل: ترسل الصاحب والصابي وقابوس، ومن دواوين العرب: ديوان المتنبي والأبيوردي والغزي»(٢٠).

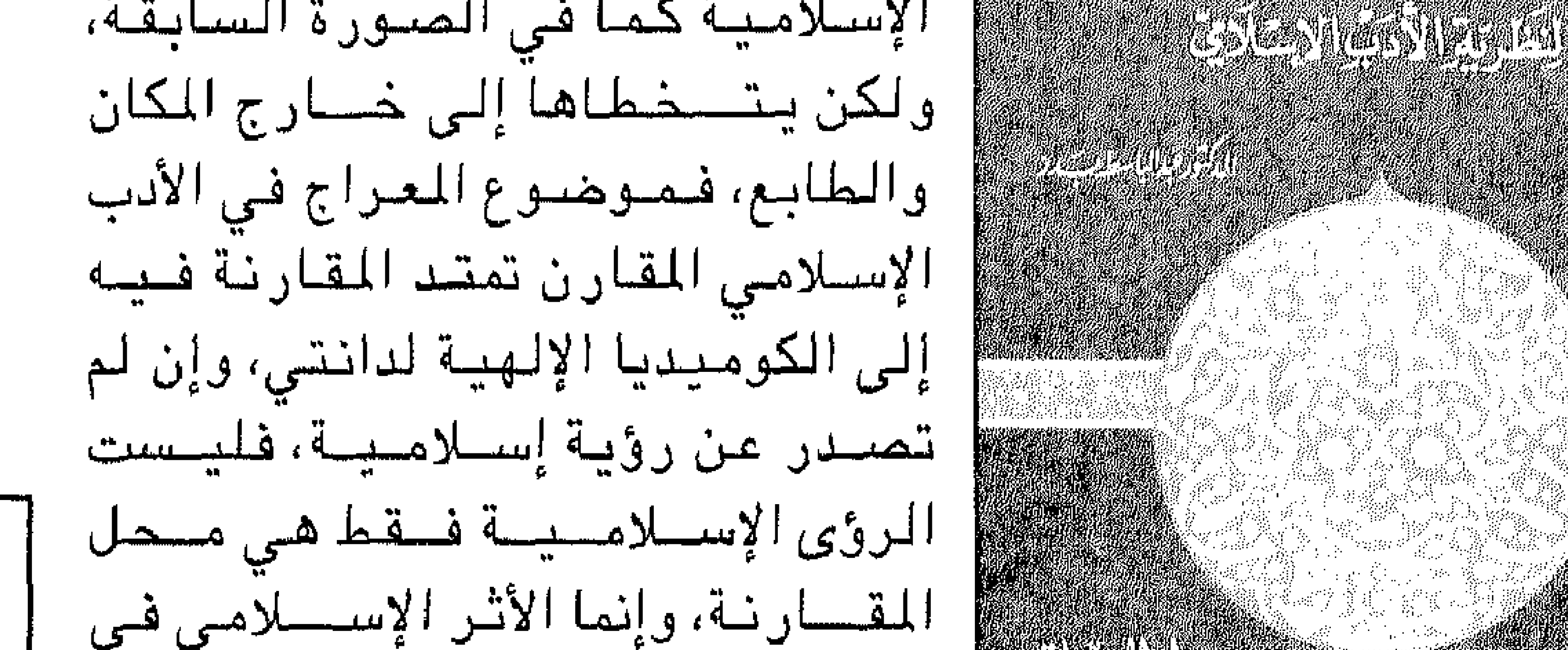
ونستطيع بالوقوف على أثر هذه المصادر أن نتبصر دورها في وجود طائفة من الأدباء ارتبطت شهرتهم باللغة العربية وآدابها أكثر من الفارسية، مثل: الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، وعبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، ووجود طائفة من العلماء تكتب بالعربية والفارسية، مثل: الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، والإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، وظهور طائفة من الكتاب تجيد لغات البلاد الإسلامية الكبرى وهي العربية والفارسية والتركية وتكتب بها جميعا، مثل: أحمد بن محمد المعروف بابن عربشاه (ت ٨٥٤ هـ) الذي كان ينشئ الرسائل للسلطان محمد الأول باللغة العربية والفارسية والتركية.

د - المنحى والإطار:

للأدب المقارن ميادينه ومجالاته المتعددة التي سبقت الإشارة إلى ما يتعلق ببعضها في الأدب الإسلامي، وحتى يكون منحى دراسة الأدب الإسلامي المقارن يتسم بالتكامل في ذاته والتميز في الإطار فلابد أن يتحلى باتساع النظرة وشمول الرؤية حتى يحيط بأبعاد ما يتصل بهذه المجالات بل وما يتقدمها من المنهج العام للمقارنة.

ولعل الحديث عن المنهج من أدق الأمور المتعلقة بهذا الاتجاه، فالقصد إلى الموضوعات يتعلق بوجود التصور الإسلامي في المعالجة، ومن ثم فكل الموضوعات التي نجد لها صدى هنا أو هناك تصلح للمقارنة مادامت ترعى القيم الإسلامية في رسالتها الأدبية في صورتها الأولى على الأقل، ويبقى أهمية توصيف المنهج بعيدا عن الضبابية والتمييع حتى يتضح المقصود بذلك المصطلح «الأدب الإسلامي المقارن» وتثبت عند التطبيق جدواه، ومن هذا الإجمال في القول يأتي التفصيل في النقاط الآتية:

١- حين نبحث في تنقل الموضوعات المقارنة في الآداب الإسلامية فإننا نجدها تتردد بين الوقوع في أدبين أو أكثر، ونقف عند حدود البلاد الإسلامية، أو نتخطاها في المكان وتغايرها في المعالجة، ومن الأوفق أن ترتبط مدى المقارنة بحدود الموضوع ووجوده، ومن ثم تتمثل الصورة الأولى في دراسة موضوع بين أدبين مختلفين، أو تتبع الموضوعات الأدبية ذات الصبغة الإسلامية ومسيرتها بين الآداب الإسلامية المختلفة. ومن الطبيعي - في كثير من الأحايين - أن تكون نقطة البداية هي الأدب العربي من حيث كون لغته وموضوعاته وجهود أدبائه مصدر الكثير من أدباء العالم الإسلامي في بيئاته المختلفة، وأن تكون - في بعضها الآخر - حيث يبدأ الفن، مثل نمط الرباعي أو الدو بيت في نظم الشعر العربي الذي نشأ في الفرس - على الأرجح - وعنهم انتقل إلى العربية والتركية.



٢- أن الأدب الإسلامي المقارن يرتبط بالموضوع في الصدور، ولا يقف عند حد المقارنة بين الآداب الإسلامية كما في الصورة السابقة، ولكن يتخطاها إلى خارج المكان والطابع، فموضوع المعراج في الأدب الإسلامي المقارن تمتد المقارنة فيه إلى الكوميديا الإلهية لدانتي، وإن لم تصدر عن رؤية إسلامية، فليست الرؤى الإسلامية فقط هي محل المقارنة، وإنما الأثر الإسلامي في الآداب العالمية أيضا من صميم المقارنة، حتى ولو كان ذلك الأثر يبدو سلبا لا إيجابا، فالوقوف على توظيف أدبنا الإسلامي في طابع غير طابعه خير من الجهل بما يتم في ذلك، فضلا عن أن هذه المقارنة تكشف عن الوجه الصحيح لما زيف من أدبنا الإسلامي لدى الآخرين.

٣- والصورة الثالثة من المقارنة هي بين المعالجة الإسلامية للموضوعات وغيرها من المعالجات في الآداب الأجنبية - ثبت وقوع التأثير أو لم يثبت - فمعرفة الخصائص المعنوية والبنائية في الموضوع في الحالين يقفنا على طبيعة الأدب الإسلامي مقارنا بغيره، ومدى ما يمكن أن يفيد منه، ومجالات المقارنة بغيره، ومن هذا المنطلق يمكن المقارنة بين القصة الخلقية في الأدب الإسلامي والأجنبي ومدى ارتباطها بالحقيقة، وماهية القيم الخلقية التي تحملها، وكيفة التعبير عن تلك القيم، وبهذا تتسع دائرة الأدب الإسلامي المقارن، ويكون نافذة نقف من خلالها على طبيعة الآداب الأجنبية.

٤- ومن ناحية المقارنة بين الآداب الإسلامية

المختلفة، فإن المقصود بالمخالفة بين الآداب لا يقف عند شرط الاختلاف في اللغة، بل يلتقي مع ما نذهب إليه في مفهوم الأدب المقارن من أن تقوم المقارنة مع الاختلاف في اللغة والبيئة (بمفهوم الجنس وأحوال الحياة) تبعا لدورهما في تشكيل عمل يجمع بين الذاتية في الرؤية والمعالجة، ويخضع في تكوينه لتأثير هذين العاملين في تحديد هويته، وأن تظل المقارنة قائمة بين الموضوعات الأدبية وما يقابلها في ميدان الأدب دون غيره من الفنون الأخرى على النحو الذي وجدناه في توسع الاتجاه الأمريكي في الأدب المقارن لينظر إلى تتبع الموضوع في الأجناس الفنية المختلفة.

في الأدب الإسلامي المقارن من الطبيعي أن تكون نقطة البداية هي الأدب العربي لأنه مصدر لكثير من أدباء العالم الإسلامي في بيئاته المختلفة.

٥- والذي نراه أن تنهض المقارنة بدراسة علاقات التأثير والتأثر متى وجدت (الناحية التاريخية)، دون أن تهمل دراسة السمات والخصائص (الناحية النقدية)، فهي في هذه الناحية أميل إلى المنحى الأمريكي في المقارنة. فبدراسة التأثيرات الإسلامية في الآداب نقف على الأثر الإسلامي في الأدب الفارسي والتركي وعوامل سيطرة التأثيرات عليهما حتى جعلتهما جزءاً أصيلا من الأدب الإسلامي، وبهذه الدراسة نستطيع أن نتبين ذلك الأثر في عبوره من الأندلس وصقلية إلى أوربا، ونتبين تأثيراته الواضحة على الأدب الأوربي، ولا نترك مجالا لمكابرة الغربيين وإنكارهم ذلك الأثر أو التقليل من دوره في تطور الأدب الأوربي.

وبالدراسة النقدية المقارنة نستطيع أن نتبين خصائص الأدب الإسلامي وما يتسم به من توازن وإنسانية وإيجابية ومواءمة للفطرة ونشر قيم الحق والخير والجمال. ويمكن التمثيل لذلك بما نراه في قصص الحب العنيف العفيف في الأدب العربي الإسلامي وقصص الحب والفروسية في الأدب الأوربي القديم. فبينما هو في البيئة الإسلامية يتترس بالإيمان بالقضاء والقدر ويتخذ الحرمان من الحبيب سبيلا إلى الترقي إلى حب أسمى وأخلد، فإن الموقف في البيئة الأخرى يقوم على فكرة صراع القدر والتغلب على الآلهة، واتهام القدر بالطيش والحمق، والنفاذ من هذا الصراع إلى الانتقام من الآخرين والهروب إلى الموبقات. ومثل آخر نجده في شعر الطبيعة عند شعراء الرؤية الإسلامية والرومانتيكيين الغربيين، فبينما هو في الجانب الأول أدب إيجابي هادف يبرز صداقة الإنسان لعناصر الكون يدل على أحدية الخلاق العظيم، نراه في الجانب الثاني تهويمات خادعة وهروبا سلبيا يذهل فيه المرء عن دوره في هذه الحياة(٢١).

هـ- المعوقات والمحاذير:

وتتلخص المعوقات والمحاذير التي يمكن أن تعترض سبيل دراسة الأدب الإسلامي المقارن وتنأى به عن حدود الفائدة والموضوعية في: الخشية من التقوقع داخل حدود الزمان والمكان والميدان، وقيامها على لون من العصبية والتحزب ومجافاة طبيعة الفن، والتشابه بين الدراسات وتكرارها في المنحى والإطار.

وميدان البحث في الأدب الإسلامي المقارن يرتبط - أكثر ما يرتبط - بالموضوعات التي حفل بها هذا الأدب، والأجناس الأدبية السائدة فيه، والنماذج البشرية المتناولة لديه، ومسار التيارات الفكرية وتأثيرها في الفن والتصوير، دون أن تبرز في اهتماماته ما تحفل به الآداب الأخرى من ذلك كله، بما في ذلك من حرمان الوقوف على اهتمامات تلك الآداب وإهمال دور التواصل بين الثقافات الإنسانية العامة.

ويأتي الرد على ما يتصل بدعوى التقوقع من داخل النقاط المتقدمة، فعوامل التفاعل والارتباط بين آداب البيئات الإسلامية المختلفة ماتزال قائمة، ووجوه التلاقي والتشابه والاختلاف ما تنفك ممتدة. ألم تشترك الآن في الهموم الثقافية والقضايا المتشابهة التي أفرخها واقعها الأليم في العصور المتأخرة؟، ألا يزال القرآن الكريم والدين القويم يشكلان روحا سارية في مجال الفكر وعروة تربط بين ما تقدمه تلك البيئات من ثمرات أدبية للإنسانية؟، أليس ما ذكر عن حياتها المعاصرة يدفع للبحث في طبيعة المؤثرات الوافدة على الأدب الإسلامي في بيئاته المختلفة، ومدى استجابة أي منها لهذه المؤثرات، والعوامل التي شكلت هذه الاستجابة، وملامح ما نتج عن مخاض ذلك اللقاح من أعمال وتوجهات؟.

وفي قيد المكان نتساءل: هل البيئات الإسلامية منعزلة داخل جزء من العالم لا تتعداه، وبيئات محاصرة لا تتخطاها، أم أنها تنتشر في كل البلاد انتشارا يتفاوت بين الأغلبية والأقلية؟ إن هذا الانتشار يحطم قيود المحاصرة، ويمتد إلى سائر الشعوب والثقافات، ويقف على أبعاد البيئة وآثارها

الذاتية في طوابع الأعمال المتوافقة الاتجاه، ويقدم لنا تفسيرات قيمة وتعليلات صائبة لما يجري حول عامل البيئة في الآداب المختلفة من تساؤلات.

وليس نصيب ادعاء محدودية ميادين الدراسة من الوهم أقل من نصيب انحسار الزمان وضيق المكان فقد ذهبنا إلى اتساع تلك الميادين لتشمل شتى الموضوعات التي تعنى بها مناهج الأدب المقارن العامة ودراساته المتباينة، بل وامتداد إطار الدراسة للمقارنة بينها وبين ما يتصل بها تأثيرا أو تشابها وإن لم تتحقق فيه ملامح الأدب الإسلامي، فليس البحث في ماهية الأدب الإسلامي واهتماماته، وإنما في دراسته مقارنا لما ينطوي تحت لوائه من نتاج، ومقارنا مع غيره من الآداب بحثا عن عوامل التكوين، وتحديد الخصائص والسمات، وإذا كان ثمة أنواع أدبية لا تندرج في إطار الأدب الإسلامي فإن ذلك يدفعنا إلى محاولة استكشاف أسباب الوجود والاختفاء لهذه الأنواع الأدبية مما يساعدنا في دراسة الأدب العام وفق ما نميل إليه من عنايته بدراسة التيارات الأدبية الكبرى والبحث عن أسباب وجودها وغيابها في بعض الآداب.

فقد ذهب بعض دارسي الأدب المقارن إلى نوع من النظرة الشاملة في المقارنة، ذلك أن المقارنة بين الآداب «من شأنها لو أنها كانت شاملة أن توقفنا على فرع جديد من المقارنة، فليس أساس التقارن المشابهة وحدها، ولكن أساسه التضاد أيضا، فالظروف هنا وغيبتها هناك تجعل مجال المقارنة فسيحا في البحث والدرس، وقد تؤثر الدواعي السياسية والاجتماعية في ناحية ما فتفعل على إيجاد أو تشجيع نوع من الأنواع الأدبية، كما تؤثر في غيبتها تأثيرا مضادا، وهذا لا يمنع أننا بصدد مقارنة إن كانت سلبية في ناحية فهي إيجابية في ناحية أخرى»(٢٢).

وثمة أمر آخر لا يغيب عن الذهن، وهو أن هذه الميادين لا تعدو أن تكون عنوانات عامة تتنوع تحتها رؤى الأجيال وثمرات أفكار أبنائها، وألوان آدابهم وصورها التي تختلف من عصر إلى عصر ومن سلف إلى خلف، وتخضع في تنوعها وتطورها لقانون التطور العام الذي لا يقف بالفنون عند إطار ثابت لا تتخطاه، بل يخطو بها خطوات بعيدة في تولد الأشكال الفنية، وتطور الرؤى في المعالجة، وتباين الاهتمامات الآنية التي تفرضها أحداث الحياة، أو بتعبير أعم يصل بها في العصر إلى صورة تتسق في الجمال والتكوين مع ما وصلت إليه حضارة العصر من واقع وما حلقت فيه من آفاق.

والميل إلى اتجاه أدبي معين في الإبداع أو الدراسة لا يمكن أن يكون سبيلا لوسم أصحابه بدعوى التعصب والتحزب إلا بمقدار ما ينبع من هذا الاتجاه من دعوات تكون في مجموعها ما ينهض دلائل قوية لتوجيه تلك الدعوى، وإن لم نسلم بتلك البدهية نكون من المصادرين لحق النفس في التعاطف مع منحى أدبي دون سواه، وهو حق أصيل لو غاب عن ذاكرة الشعوب لما نتج لنا تلك المذاهب الأدبية المختلفة، ولو جاز القول به لحكمنا على الآداب إبداعاً ودراسة بالجمود والتقهقر أمام تداعيات الأيام، ومن ثم فميدان القول طبيعة المنحى الذي يعتنقه المبدع أو الدارس وما يمكن أن يكون فيه من رحابة فكرية، أو يدعو إليه من حزبية ووقوف بالمسيرة عند دائرة الذات، مع ما نعرفه من أن الأدب لون من النشاط الإنساني يجمع بين الذاتية في الصدور والنبع، والموضوعية في المعالجة والهدف، والعالمية في الخطاب والتوجهات.

> نخطئ كثيراً في حق أنفسنا حين يقف دور الدراسات العربية عند التعريب والنقل.

والنظر في منطلق ما ندعو إليه وطبيعة الإبداع في الأدب الإسلامي والدرس المقارن فيه ينأى به عن الوسم بذلك وينفي ورود سبيل هذه الدعوى إليه. فالمنطلق ليس التعصب وإنما الحرص على إقامة درس مقارني واع جاد، إذ ينهض به أبناؤه الذين سبروا غوره ونهلوا من مشاربه وانطبعت خصائصه في مكوناتهم الفكرية والثقافية، وإذا كان الغربيون ينادون بأن تكون دراسة الأدب المقارن من خلال المحاور الأدبية الكبرى في العالم فنحن نرى أبناء الشرق الإسلامي أولى بدراسة أدبهم دون غيرهم من الدارسين.

ولاشك أن الأدب الإسلامي يتسم بالإنسانية والتنوع والشمول والتوازن والاتساق مع الفطرة في نظره للكون والإنسان والحياة، وهو لا يحدد شكلا معيناً في التعبير والتصوير «فالقرآن الكريم - الذي يعتبر منهل الأدب الخالد للأدباء الإسلاميين - استخدم القصة والحوار، والمثل، والمواقف،و الخطابية، ودعا إلى المباهلة، ووظف الحدث التاريخي، واعتمد الجدل الفكري، وأسلوب المواجهة، والتقرير والمباشرة، والوعظ المؤثر في سبيل تحقيق أغراضه في هداية الإنسان، وتوجيهه صوب الخالق، فالأشكال متسعة متطورة بشرط الحفاظ على القيم الثابتة»(٢٣).

والأدب الإسلامي المقارن لا يصطدم مع المنهج

العلمي للدراسة المقارنة، ولا ينأى عن التعرض للآداب المختلفة، بل هو يلتقي مع الدراسات المقارنة في المنحى والاهتمامات، ويفيد منها في رصد الظواهر والكشف عن مدى تأدية هذه الآداب لرسالتها في الحياة، وله الحق أن يقدم رؤاه الخاصة في ذلك من حيث كونه عضوا فاعلا من أعضاء الهيكل العام للعلم يدخل في تكوينه، وعليه تبعة إثرائه، والمحك في ذلك ليست النوايا بل الأفعال، والحجج القوية الواضحة لا الغوغائية والتواء الأقوال، وما قدمناه من رؤى سابقة لا يعدو أن يكون خطوة متواضعة في هذا السبيل.

في الأدب الإسلامي المقارن يمكن الوقوف على أثر العوامل البيئية في تلون الموضوع الواحد لدى الشعوب الإسلامية.

ويدفع إلى القول بالتشابه والتكرار ما يتوهمه بعض الباحثين من انحصار موضوعات الأدب الإسلامي المقارن في موضوعات محدودة على النحو الذي حفلت به الدراسات المشار إليها في صدر هذه الدراسة، مثل قصة المعراج، والمجنون، والمقامات، وقصص الحيوان(٢٤).

وطبعي أن توارد الباحثين - التقليديين - على دراسة موضوع من خلال منهج متحد قد يدفع بهم إلى مزلة التكرار والتشابه والترديد، مما يجعلهم لا يقولون إلا معادا من القول مكرورا كما يرى الشاعر العربي القديم، وليس ذلك الشأن عند سائر الدارسين.

على أن إطار القضية يمكن أن يكون سبيلا تؤاخذ به الآداب غير الإسلامية، فقد توارد المبدعون على تصوير نماذج وتناول موضوعات محددة. ونظرة في خطط الدرس المقارن لكثير من الدارسين يجعلها تصل إلى درجة التوافق في الإطار والتشابه في الاستنتاج، وصحيح أن تحديد الأدب بكونه إسلامياً - عند منطلق المقارنة - قد يحدد أبعاد الميدان في جانب طبيعة الفن القولي، ولكن هذه الطبيعة ذاتها تنقض القول بالتكرار، كما أن أصالة الباحث تدفع عنه مأزق التشابه والترديد، فإن أدب أي أمة تحمل مسيرته قافلة الأدباء عبر العصور والأجيال، وهي تتناول موضوعات قد تتحد عنواناتها لكن المعالجة الأدبية تقوم على التنوع لا الاتحاد، والاختلاف لا الاتفاق، وذلك بما تحمله من ثقافة العصر وروح الأديب وذاتية البواعث وعناصر التكوين، فما بالنا إذا كانت تلك الموضوعات تنتقل من شعب إلى شعب ويضفي عليها من شخصيته وبيئته وفكره، إن ذلك أدعى إلى الاختلاف وأغنى للدراسات المقارنة، وأعون على استكشاف جديد لطبائع العلاقات الأدبية بين الشعوب.

وتستطيع طبيعة الأدب الإسلامي - من جانب آخر - أن تدفع عن الدرس الأدبي المقارن ضيق الدائرة التي تلجئ الباحث إلى التكرار والترديد، فهي من ناحية الموضوعات وجدناها متعددة رحبة برحابة الإسلام واتساع نظرته لتشمل شتى عناصر الحياة، فالأدب الإسلامي لا يحدد موضوعات خاصة لا يتخطاها الأديب في التناول على النحو الذي نجده في المذاهب الأدبية التي تقصر اهتماماتها على ما تراه من جوانب الحياة ميدانا لنشاطها الإبداعي، وهو «لا يعالج قضية دون قضية، ولا يقف عند حدث دون حدث، ولا يقتصر على تناول الخير دون الشر، ولا يحرص على التعرض للفضيلة دون الرذيلة، فكل القضايا والأحداث والمواقف يمكن أن تكون موضوعا للأدب الإسلامي، كما يمكن أن تكون موضوعا للأدب غير الإسلامي لأن الفرق ليس في الموضوعات، ولكن الفرق في كيفية تناول الموضوعات وما تقوم عليه من إظهار الرضا عن سلوك بعينه، وتجليته، والتبشير به، أو العكس»(٢٥).

ومن ناحية الميادين فقد وجدناها متعددة في الأدب الإسلامي المقارن تعددها في غيره من الآداب المقارنة، بل إنه يفوقها بتتبع الظاهرة في أكثر من أدبين قوميين في حين أن جل هذه الدراسات تقتصر على دراسة الظاهرة بين أدبين فقط دون تتبع مسيرتها في سائر الآداب، وهي من الكثرة والتنوع بحيث تشمل الأجناس الأدبية، والشخصيات التاريخية، وعلاقات التأثير والتأثر بين آداب الشعوب المختلفة، ودراسة المصادر واستمداد عناصر التكوين الأدبي، وتصوير أمة في إبداع مؤلفين من أمة أخرى. وتلك كلها ميادين يفسح فيها المدى في تعدد المؤلفات وتنوع المعالجة.

مختتمة:

وفي مختتم هذه الدراسة نود أن نحدد النتائج التي انتهينا إليها، وهي أننا ننظر إلى مصطلح الأدب الإسلامي من حيث كونه مذهبا أدبيا يلتقي مع الفن في جماله ومع التصور الإسلامي في جلاله، ولا نقف به عند رؤيته منهجا دينيا فقط، أو نتوسع في إطلاقه على كل ما صدر من نتاج أدبي داخل الحدود الزمانية والمكانية لدين الإسلام، أو اتفق معه دون قصد.

وأن تعميق التعرف على تخومه وأبعاده، ودوره في مسيرة الآداب العالمية، والبعد عن الاعتساف في بعض

الأحكام النقدية، وعن الأثر السلبي الذي تركه الوقوف عند منهج الأدب المقارن في الإطار العام إنما يبدو من خلال مقارنته بغيره من الآداب، وأن وجوب معرفة الذات قبل معرفة الآخرين، ووضوح عوامل الاتصال والتأثير بين نماذج الأدب الإسلامي في بيئاته المتعددة تهيب بنا القيام بتلك المقارنة.

وأن لهذه الدراسة المقارنة فوائد متعددة تتجلى في ترسيخ المعرفة بالأدب الإسلامي، وتدعيم العلائق الثقافية بين بلدانه، وخدمة الآداب المحلية لشعوبه، والتعرف على أثر البيئة في تكوينه.

وأن قوة الأسس التي تسمح بهذه المقارنة وكثرة الميادين المقارنية بين الأدب الإسلامي وغيره وتنوعها في عالمه الداخلي والخارجي تجعل من الدراسة المقارنة للأدب الإسلامي حقلا خصبا يحفل بالتلون والثراء والإيجابية.

وأن موضوعية المنهج تقتضي أن ينبع من التأمل في طبيعة الأدب الإسلامي وقضاياه وعلاقته بغيره، مع الأخذ من المناهج الأخرى ما يدعم هذه الموضوعية في المقارنة، ومن ثم تتسنى لنا بلورة المنحى والإطار في نقاط محددة.

وأن ما يمكن أن يوجهه المتشككون في جدية هذه الدراسة من محاذير التقوقع والتعصب والتحزب لا يثبت عند النظر والمناقشة، مما يدفع التردد في القيام بهذا المنحى في المقارنة إن كنا نملك الإخلاص والحب الصادقين لهذا الأدب الإنساني النبيل.

١- الأدب الإسلامي ضرورة، د. أحمد محمد علي، دار الصحوة للنشر والتوزيع ١٩٩١م، ص ٦٣.

٢- لمزيد من التفصيل ينظر مقال: مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين لكاتب الدراسة، مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثانية، العدد الخامس، رجب ١٤١٥ هـ.

٣- الأدب المقارن، د. طه ندا، دار المعارف، ١٩٨٠م ص ٩٣.

٤ -مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، د. إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، ١٩٩٠م، ص٤٣٨.

٥- الأدب المقارن، د. محمد السعيد جمال الدين، ص ٣٨.

٦- بين الأدب العربي والفارسي والتركي، د. حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٩.

٧- بين الأدب العربي والفارسي والتركي، ص ١٠

٨- ينظر أثر ذلك التوجه في كتابات، د. محمد غنيمي هلال في مجلة فصول، مقال عطية عمر، مج٣، ع ٤ يوليو ١٩٨٣م، ص٢٠، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، د. سعيد علوش، الشركة العالمية للكتاب ١٩٨٧م ص١٤٩ وما بعدها.

٩- الأدب المقارن، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ١٩٨٧م ،ص ٢٩، مجلة الرسالة العدد ١١٠٧، السنة ٢٢ أبريل ١٩٦٥م، مقال عبداللطيف صالح: نماذج بشرية هل من تأليف الدكتور مندور؟!.

١٠- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، د. عبدالباسط بدر، دار المنارة للنشر، جدة، ١٩٨٥ م، ص٨٣، وينظر في تفصيل تلك الصلات، الأدب المقارن، د. طه ندا، ص ٩٨ وما بعدها.

١١- الأدب المقارن، د. محمد السعيد جمال الدين، دار ثابت للنشر، ١٩٨٩م، ص٢٨.

١٢- المدائح النبوية في الأدب العربي، د. زكي مبارك، دار الكاتب العربي للطبع والنشر، ١٩٦٧م ، ومؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، د. مكارم الغمري، عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٥٥ ص١٣٤ ومابعدها.

١٣- مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، د. الطاهر أحمد مكي، دار عيد للبحوث والدراسات، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٤٩٢.

١٤- الرحلة إلى الحجاز في الأدب المصري الحديث، رسالة دكتوراه للكاتب، مخطوطة بكلية اللغة العربية بالمنصورة.

١٥- مقدمة الشيخ حمد الجاسر لكتاب: اكتشاف جزيرة العرب لجاكلين بيرين، ترجمة قدري قلعجي فقد ذكر منها كثيراً من هذه الرحلات.

١٦- تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، د. صلاح فضل، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م، ص٤ وما بعدها.

١٧- إقبال والقرآن، د. حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م، ص١٠١و١٣٣.

١٨- مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، د. مكارم الغمري، ص٧٣، وجوته العالم العربي، كاتارينا موترن، ترجمة د. عدنان عباس علي، عالم المعرفة، عدد ١٩٤ ص ٢٣٨.

١٩- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٣، ص١٨١ وما بعدها.

٢٠- اللغة الفارسية، د. محمد نور عبدالمنعم، دار المعارف، ص ١٥.

٢١- مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم، للكاتب، القسم الأول، ص١٨١، القسم الثاني، ص١٧، ٣٨.

٢٢- تيارات أدبية بين الشرق والغرب، د. إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٥٢م، ص٧٤.

٢٣- مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، كتاب الأمة، ١٤٠٧هـ، ص١٤.

٢٤- مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، د. سعيد علوش، ص٦٢١.

٢٥- مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، د. إبراهيم عوضين، ص٩٦.

مع الفجر

شعر / محمد فريد الرياحي – المغرب

ركبت على المدى طبقا ... وطرت إلى الهدى طلقا

وأوحت سرها صور ... إليك وأشرقت عبقا

وعانقت الذي رضيت ... به الأشواق معتنقا

فجئت إليه هرولة ... وجاء إليك مستبقا

فما باليت غرائبه ... وما أودى وما انغلقا

ولا فنيت عجائبه ... وهل يفنى من ائتلقا

هو الإلهام قد عجلت ... إليه الروح فانغلقا

هو الإدراك قد عرجت ... إليه النفس فانفتقا

هو الإشراق قد فرحت ... به الأشواق فانبلقا

فجاءت بالهدى نبأ ... من الآيات متسقا

هو الإيمان غيث الله ... سافر في المدى فسقى

هو الإيمان يعشقها ... وللإيمان ما عشقا

فلما أيقنت وهوت ... إلى الإشراق منطلقا

أتاها نازغ بالظن ... عن أمر الهدى فسقا

أراد بها وقد سكنت ... إلى سبحاتها قلقا

دنا منها يريد السمع ... مفسدة فما استرقا

فريعَ وظل منتكسا ... وحيق به فما نطقا

ألم ترجمه شهب الله ... في الأجواء فاحترقا

فذاك جزاء من تربت ... يداه وكذّب الفلقا

هو الشيطان خاتلها ... فلم يملك لها وَهَقا

غوى فارتاد منزلة ... من الكفران إذ مرَقا

ورام النّار من حُمُق ... وهام بحرّها نزَقا

شواظ النار معدنه ... ومن أحشائها خُلِقا

هداه الكبر مزلقة ... وزاده في الهوى رَهَقا

وساءه أن تعلّم آ ... دمُ الأسماء وائتلقا

فآده في الونى لَغَبٌ ... وفرّ من الهدى فرَقا

وقاده في المنى وَهَقٌ ... وخرّ من الظلى صَعِقا

فوسوس في صدور النّا ... س بالأهواء مُذ حَنَقا

وزيّن في قلوب النا ... س حُبّ الكفر مذ زلقا

وقال أيكبرُ الشيطا ... نُ من بالطين قد رُزقا؟!

أنا في النّار منزلتي ... وآدمُ في الثرى خُلِقا

أنا خير من الصلصا ... لِ نلت الخلد والحُرَقا

جثا في النار مرتكساً ... فما أودى وما عَتَقا

ألم يعلم بأن الكفـ ... ـرَ بالإيمان قد زهَقا؟!

***

ركبت على المدى طبقا ... وطرت إلى الهدى طلقا

وأوحت سرّها صورٌ ... إليك وأشرقت عَبَقا

---

(١) الأتواه: جمع توهٍ، وهي الفلاة المهلكة.



قدري حافظ طوقان
داعية الحضارة الإسلامية

بقلم: د. محمد رجب البيومي
مصر

أعجب بالفكر المخلص ذي الشخصية القوية، والروح الملتهبة، يعتنق فكرة من الأفكار الصحيحة، ويعمل على تحقيقها باذلاً كل جهوده في الدعوة إليها. وقد يضطر إلى تكرار ما يقول بتعدد أماكن الإعلام في ندوات وصحافة وتأليف، وقد يجد المعارضة المتهكمة من قوم يسوؤهم أن يعمل الناس وهم راكدون، ولكنه يواصل الدعوة المخلصة، وقد يوفقه الله فينجح، وقد تقوم الحوائل دون غايته الحميدة، فلا يحقق ما يأمل، وفي الحالين يكون المكافح بطلا في الميدان كبيراً.

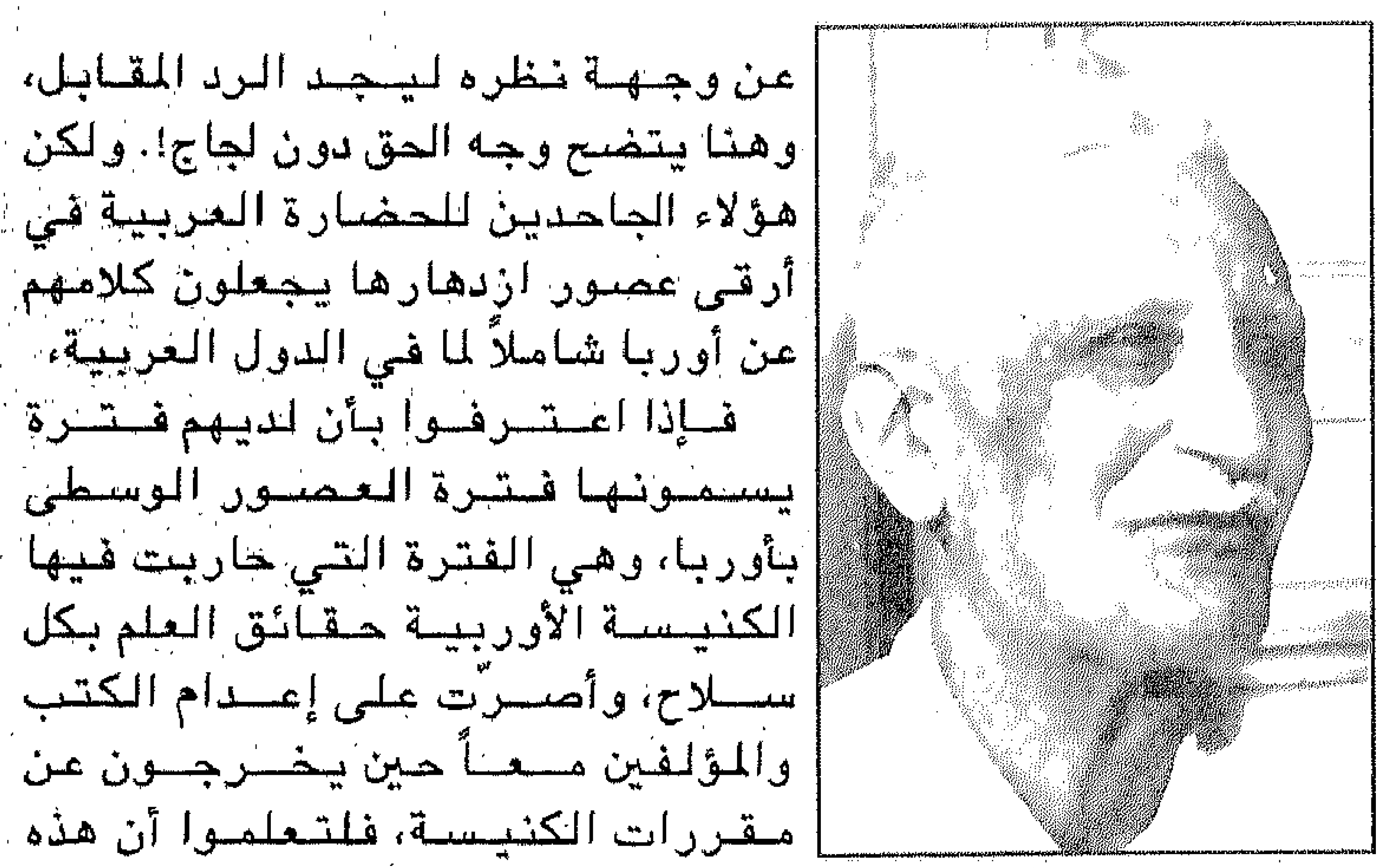
لقد جاهد المصلح الكبير محمود العيون لمحاربة البغاء الرسمي في مصر على مدى ربع قرن، لا يهدأ في دعوته كتابة في الصحف، ومحاضرة في الندوات، وجمعاً لتوقيعات الكبار ممن يميلون إلى فكرته، وقد لاقى من تهكم بعض المغرضين ما لا طاقة له باحتماله من الأراجيف، إذ تعدوا كل منطق، ليلصقوا بالرجل ما لا يليق، ولكنه انتصر في النهاية وتحققت دعوته فمسحت مصر عن وجهها هذا العار الشنيع.

وقد جاهد الدكتور أحمد غلوش سبعين عاما متصلة في محاربة الخمور والمسكرات، وأصدر الكتب على نفقته وسافر إلى المؤتمرات الأجنبية في أوربا مما ادخره من قوته، وأقام فروعا لجمعية منع المسكرات في عدة عواصم من المدن، ولقي من تهكم الصور الكاريكاتورية وتظرف الخبثاء ممن يولعون بالسكر والإدمان ما لم يثنه عن عزمه، وزاد الأمر إلى الافتراء الصارخ بأن الدكتور غلوش يشرب الخمر ليعرف أضرارها، ويتكلم عن تجربة.. وقد مات الرجل في سن التسعين، ولم يصل إلى تحريم الخمر بقانون مصري، ولكنه بذل جهده قدر ما استطاع.

أسوق هذين المثلين لأتقدم بمثل ثالث هو المفكر الكبير الأستاذ حافظ قدري طوقان، فقد قرأ تاريخاً مشوها للثقافة الإسلامية، والنهضة العلمية عند العرب، قرأه بأقلام أجنبية، ثم قرأه مترجماً ومقرظا بأقلام عربية، فآلى على نفسه أن يبذل كل وقته في تصحيح أكبر خطأ يتعلق بالحضارة الإسلامية والنهضة العربية، وامتشق القلم كاتباً، وعلا المنبر متحدثا، وملأ الصحف العلمية والأدبية باحثاً ليثبت للناس جميعاً أن الحضارة العربية أضافت الكثير إلى التراث الإنساني، وأنها ساعدت على التقدم الأوربي حين انتقلت أسفارها إلى ربوع الغرب، وأن المنصفين من باحثي الغرب يعرفون ذلك، ويقررونه في حيدة وإنصاف، وإن كانوا قلة جوار كثرة كاثرة من المتعصبين. فعل الأستاذ ذلك كله جاهداً دائباً، حتى عرف بهذا الاتجاه، فدعته الهيئات العلمية للمحاضرة والمناظرة، وسار له ذكر طائر في معرفة خصائص الحضارة العربية وأعلامها المرموقين في شتى نواحي المعارف المختلفة. ولا أنكر أن نفراً من الفضلاء قد كتبوا في بعض ماعناه الأستاذ قدري حافظ طوقان، ولكنه الصبر الجميل المتصل على دراية بشتى العلوم المختلفة دون الوقوف عند فرع واحد، هذا الصبر الدائب الجميل كان من خط الأستاذ طوقان، وهو في بحوثه العلمية لا ينكر جهود من أشاروا إلى بعض مظاهر التفوق العلمي في فرع من فروع المعرفة كالدكتور محمد خليل عبدالخالق والدكتور مصطفى مشرفة والدكتور مصطفى نظيف من أساتذة الجامعة المصرية ذوي البحث الجاد، والنظر العلمي النزيه، وقد جمع آراء هؤلاء وأمثالهم لتكون سنداً قوياً لاتجاهه، ولكنه مع هذا بقي العلم الشامخ في هذا المجال.

يقول الدكتور العالم عبدالحليم منتصر عن الأستاذ طوقان(١): «لقد ولد عالمنا في مدينة نابلس بفلسطين سنة ١٩١٠م، وتخرج في الجامعة الأمريكية، ببيروت سنة ١٩٢٩م، متخصصا في العلوم الرياضية، ومثل بلاده في أكثر من خمسة وعشرين مؤتمراً علمياً وثقافياً وإذاعياً في البلاد

العربية والغربية، في سويسرا والهند وباكستان وإيطاليا وأسبانيا ومصر ولبنان والمغرب العربي والكويت والعراق ودمشق، وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي لدول البحر المتوسط بإيطاليا، ورئيس الجمعية الأردنية للعلوم، وعضو اللجنة القومية، وعضو مجلس الاتحاد العلمي العربي بالقاهرة، وعضو مجلس أمناء الجامعة الأردنية، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وانتخب نائباً للرئيس في المؤتمرات العلمية العربية جميعاً، ومؤتمر المفكرين في لاهور، ومؤتمر التعريب في الرباط».


عباس محمود العقاد

وقد تولى وزارة الخارجية الأردنية زمناً، وتركها لأعماله العلمية.

وبمراجعة ما ذكره الدكتور عبدالحليم منتصر في السطور السابقة نجد أن المجامع العربية في الشرق الأوسط والغرب قد عرفت فضل الرجل الكبير، وعملت على أن يكون عضواً عاملا بها، وهذه التزكيات المتشعبة المتنوعة تدل على إجماع شرقي وغربي على مكانة قدري، وما يتاح على يديه من العطاء؛ لأن المجاملة الشخصية لو تحققت عند مجمع واحد تكون ظاهر الشذوذ، ويحذر الآخرون الوقوع في مثلها. فإذا حدث هذا الإجماع الباهر على الانتفاع العلمي من جهود البحاثة الكبير فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب، هذه من ناحية، أما الناحية الثانية وهي أهم من الأولى فهي قيام الباحث بمحاضراته العلمية في المؤتمرات الغربية بسويسرا وأسبانيا وإيطاليا والهند، ففي هذه المؤتمرات يوجد علماء ينكرون فضل العرب في كل شيء، ولهم بحوث مستفيضة يحاولون تكرارها، وكلهم ينقلون ما قيل في هذا الصدد ويزيدون عليه ما يرونه دعامة لهذا الإنكار، فحين يقوم الأستاذ قدري بين هؤلاء ليعصف بأفكارهم ذات التأثل الراسخ بالتكرار فإنه ليس عالما فقط، ولكنه عالم بطل يجابه الإعصار الكاسح متحديا، يجابهه وهو يعرف سلفاً أنه لم يحضر إلى هذه المؤتمرات الأجنبية ليسير في طريق ممهد بالزهر والريحان، شأنه في ذلك شأن مؤتمرات الدول العربية في دمشق والقاهرة والمغرب ولبنان والعراق، إنما حضر هذه المؤتمرات ليصحح أخطاء ينادي بها ذوو التعصب، وأقول: ذوو التعصب عن قصد، لأن الباحث الخالي من الغرض عليه ألا ينكر الحقائق التاريخية إذا قدمت إليه في سياقها العلمي الرصين، وإذا رأى بها بعض الأخطاء بادرَ بالتعبير عن وجهة نظره ليجد الرد المقابل، وهنا يتضح وجه الحق دون لجاج!. ولكن هؤلاء الجاحدين للحضارة العربية في أرقى عصور ازدهارها يجعلون كلامهم عن أوربا شاملاً لما في الدول الغربية.

فإذا اعترفوا بأن لديهم فترة يسمونها فترة العصور الوسطى بأوربا، وهي الفترة التي حاربت فيها الكنيسة الأوربية حقائق العلم بكل سلاح، وأصرّت على إعدام الكتب والمؤلفين معاً حين يخرجون عن مقررات الكنيسة، فلتعلموا أن هذه الفترة لا وجود لها في دول الإسلام، ففي العصور الوسطى الأوربية التي وسمت بالرجعية والجمود كان العالم الإسلامي يزدهر بثلاث حضارات رائعة ابتدعها ثلاث خلافات إسلامية في بغداد والقاهرة والأندلس، وفي هذا العصر المزدهر سبق العلم الإسلامي بفكره المتقد، واستقلاله الحر إلى فتوحات علمية في شتى أنواع المعرفة الإنسانية، وظهر من أعلام الفكر الإسلامي من كانوا حملة النور في كل اتجاه، وبآثارهم الرائعة استطاعت أوربا أن تتلمس الطريق.

وللقوم في تأكيد شبهاتهم محاولات تتشح بثياب الفكرة إذ يزعمون - كما نادى رينان - بأن الجنس السامي الذي استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة في أسمى درجاتها، لم يثمر أدنى بحث فلسفي خاص، وما كانت الفلسفة تظهر عند الساميين إلا اقتباساً صرفا تقليديا جديبا للفلسفة اليونانية» أو كما قال الفريد جيوم في كتاب «تراث الإسلام»(٢): إنا لنرى في الأدب الغربي بين الحين والحين إشارة إلى ما يطلقون عليه اسم الفلسفة العربية، كما نرى طائفة من كتاب الغرب تذهب إلى أن الفلسفة المسماة بهذا الاسم ليست إلا خليطاً من آراء القدماء لا تجانس بين مواده المتنوعة، قد ترك ليتفاعل وينضج، فهم منتهون إلى أنه ليس هناك شيء اسمه الفلسفة العربية، وإلى أن الشعوب الناطقة بالضاد لم تفعل شيئا أكثر من أنها استولت على الفلسفة اليونانية التي كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريا، والمثقفين من أهل حرّان الوثنيين، ثم أضافت إليها بعض عناصر استمدتها من فارس والهند».

هذا بعض ما يتردد بشأن الفلسفة أما العلوم التجريبية، فنصيب العرب من النكران والجحود في ميدانها الآهل لم يكن بأقل من نصيبهم في الفلسفة والإلهيات. وإذن فالبلاء ليس بواحد، وهذا ما أدركه الأستاذ قدري طوقان من حين جعل

رسالته العلمية في الحياة هدم هذه الأباطيل بما تأكد من حقائق التاريخ، وهو جهد ينوء به غير أولي العزم، ويزيد في فداحته أن الأستاذ طوقان يجد من كتاب المسلمين أنفسهم، من يشايعون المستشرقين بلا هدى ولا كتاب منير، وقد غبر بنا زمن – لا ردّه الله – كان التباهي باعتناق آراء هؤلاء الجحدة مدعاة لافتخار متعال، أذكر أن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد قد وضع كتابا يوضح فيه أثر الشرق في الحضارة اليونانية، والعقاد باحث عميق الغور، ومحاول تخشع له الأصوات، وقد جاء ذكر هذا الكتاب أمام واحد من هؤلاء، فصاح وهل قرأ العقاد اليونانية حتى ينمق هذه الأكاذيب؟!.

قلت في أدب – لأن المتكلم كان بمنزلة أستاذي – وهل قرأت أنت اليونانية حتى تعرف أكان العقاد صائباً أم غير صائب؟ قال في انفعال: قرأت الترجمات المنقولة عنها فقلت: وهل تفوت هذه الترجمات أكبر قارئ مثقف في الشرق العربي ولم تفتك؟! فآثر السكوت!

لقد تعددت جهات النضال لدى الأستاذ قدري، وبقراءة أسماء كتبه الرائعة في هذا الحقل نقف على جهد حافل مشهود، فقد ألف كتبا مجيدة تحت عناوين: تراث العرب العلمي، نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية، الكون العجيب، الأسلوب العلمي عند العرب، بين العلم والأدب، العيون في العلم، الخالدون العرب، بين البقاء والفناء (في القنبلة الذرية)، النزعة العلمية في التراث العربي، العلوم عند العرب، ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات، مقام العقل عند العرب، النزعة الإنسانية في التراث العربي، أكوان في كون.

هذا في مجال الفكرة العامة التي سيطرت على اتجاهه، وهناك كتب أخرى مثل: جمال الدين الأفغاني، وعي المستقبل، بعد النكبة، بحوث عن مأساة فلسطين، ولا أستطيع أن أقف عندها جميعاً، ولكن سأختار ما يرسم الصورة العلمية لفكر الباحث الكبير مما أراه مسعفا بما أريد.

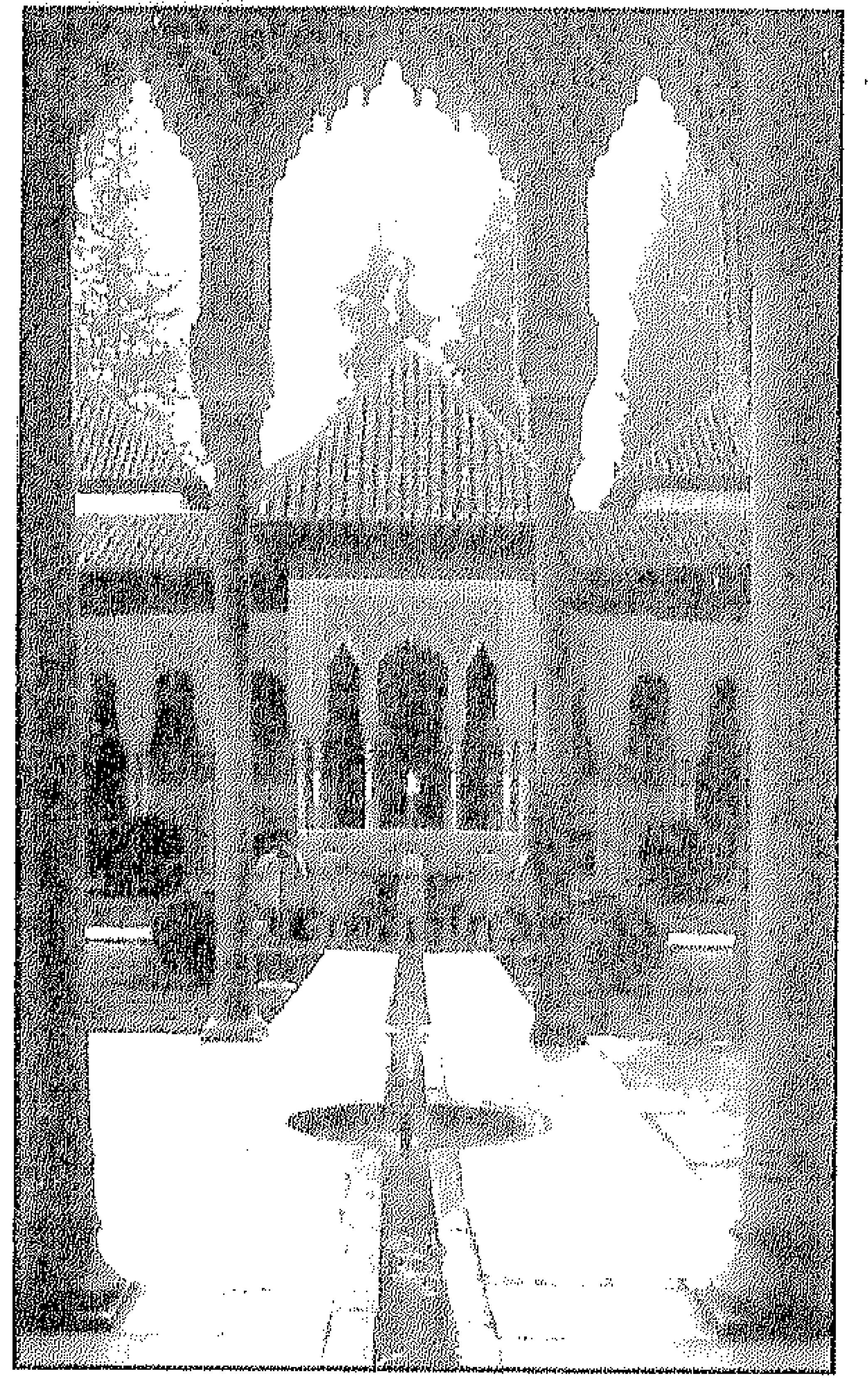
كان بحث (الأثر العلمي للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها) من أوائل ما كتبه الأستاذ قدري طوقان خاصا باتجاهه العلمي، ويظهر أن مجلة المقتطف قد حددت له عدد الصفحات، لأنه كان مركزاً تركيزاً يحتاج إلى بسط ثانٍ، فقد ابتدأه مصرحا بأن العلم ليس وقفا على أمةٍ من الأمم أو شعب من الشعوب، بل هو مشاع يمكن لمن يجد ويجتهد أن يحصل عليه، وأن يزيد فيه إن كان من ذوي العقليات الخصبة، وقديماً اشتغل البابليون والمصريون والفينيقيون وغيرهم ببعض العلوم فبرعوا فيها، ووضعوا أساسها، ثم انتقلت العلوم إلى اليونان وكان فيهم عقليات جبارة استطاعت أن تنتج وتبدع، فقد كان لهم باع طويلة في كثير منها، وفي بعضها بلغوا الذروة. وجاء من بعدهم أمم أخرى أخذت ما أمكنها منهم، واشتغلت به، وقامت بدورها في المساهمة في بناء المدنية، وبينما كانت نجوم المدنيات القديمة آخذة في الأفول، ظهر العرب فدرسوا مآثر الأمم التي سبقتهم، و اطلعوا على تراث السالفين فكونوا من ذلك حضارة حافلة بالمآثر والمفاخر، قامت على قرائح خصبة عززتها العناية الكبيرة والتشجيع العظيم والرعاية الوافرة التي كانت تظهر من الخلفاء والأمراء وذوي النفوذ في حاضرة الخلافة وحواضر الإمارات المستقلة، لقد كان للعرب تأثير فعال في مصر والشام والعراق، وجميع بلاد إفريقيا الشمالية، إذ عربوها ونقلوا إليها ديانتهم وعاداتهم، وأصبحت عربية قلبا وقالبا. أما في البلاد الأخرى فقد كان تأثيرهم الديني يختلف كثرة وقلة، ففي أوربا كان تأثيرهم الديني ضعيفاً، وكذلك كان تأثيرهم في اللغة، أما التأثير في العقول والحياة فكان عظيماً جداً.

هذا ما قاله الأستاذ في مطلع حديثه، وهو قول منصف يحمده قارئه المحايد، إذ لم ينكر فضل الشعوب المتقدمة التي قطعت شوطاً حميدا في ركب الحضارة حتى انتهت إلى اليونان، فوجدت عقولا فذة استطاعت أن تنتج وتبدع، حتى بلغت الذروة في بعض العلوم، ثم انتقلت كتبهم إلى العرب فقرؤوها، وانتفعوا كما انتفع اليونان من سالفيهم، وزادوا فيها ما أصبح أثره ملموسا للمشاهد!.

وهذا الأثر هو الذي مضت صفحات البحث في جلائه في كل فرع من فروع الدراسات، وقد بدأ بالأثر العلمي للحضارة الإسلامية في التاريخ والجغرافية، فأشار إلى أن كتاب «كشف الظنون» قد تحدث عن (١٣٠٠) كتاب خاص بالتاريخ وحده،

ومنها ما هو مرتب أحسن ترتيب باعتبار السنين كالطبري وابن الأثير وأبي الفداء، أو باعتبار الأمم كالمسعودي والفخري وابن خلدون صاحب المقدمة فيه، ولم ينسج أحد على منوالها حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم، فهي فتح يعد من أعظم ثمرات التفكير البشري.

وفي حديث الباحث عن الجغرافية ذكر أن العرب صححوا كثيراً من أغاليط بطليموس، وقد عرفوا الصين، وتوغلوا فيها، وفي أفريقيا ورسموا خرائط غريبة في بابها، إذ إن العرب أول من وضعوا أصول الرسم على سطح الكرة، وأول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار. وأخذ يعدد أسماء الجغرافيين من أمثال ياقوت وأبي الفداء الذي ترجم كتابه إلى اللاتينية واحتذاه الكثيرون، حتى ظهر الإدريسي، فكان أثره أكبر وأخطر، لأن كتابه «نزهة المشتاق» قد ألفه لروجر ملك صقلية، ورتبه على الأقاليم والأقطار السبعة، وعمل لروجر خارطة على كرة مسطحة من الفضة رسم عليها الأقاليم والأقطار التي كانت معروفة في زمانه، وقد رسم الأوربيون خرائط مماثلة للخرائط العربية في عصر الإحياء فكان ذلك شاهد تلمذة لا ينكر.



ووالى الأستاذ حديثه عن التقدم الحضاري للعرب في مجالات الطب والكيمياء والصيدلة والنبات والطبيعة والعلوم الرياضية. وحديث يشمل هذا الاتجاه يضيق به بحث مركز في مجلة المقتطف لا يتجاوز سبعين صفحة، وقد استجاب لرغبة الإيجاز، على أن يتولى بسط هذا الإيجاز فيما يلي من آثاره، وقد فعل حقاً. ولكني لاحظت أنه مع هذا التركيز قد اضطر إلى نوع من التكرار رآه مما لابد منه، لأنه تحدث في الفصول الأول عن العلوم، وجاء حديث العلماء مندمجاً في تيار البحث العلمي، ثم أفرد باباً لهؤلاء يتحدث عن كل علم على انفراد، فيعيد ما سبق أن ألم إليه ببعض التفصيل، وكنت أوثر ألا يحدث هذا التكرار، بل نتحدث عن العَلَم من هؤلاء خلال نظرياته بنوع كثير من الإسهاب، ونشير في الهامش إلى ما لابد من مراجع تاريخه، ويمضي البحث هكذا على وجهه، فلا يشعر القارئ أنه في التراجم الأخيرة يلمُّ بأشياء قد وعاها من قبل. وهذا منهج ارتضاه بعض مؤرخي الأدب من قبل، فهم يتحدثون مثلاً عن الشعر في عصر من عصوره فيسهبون في اختيار الأمثلة الأدبية، ويلمّون بحيوات المبدعين مشيرين إلى اتجاههم، ثم يفردون أبواباً خاصة لتراجمهم بعدما أشاروا إليه من آثارهم وأعمالهم.

وقد بدأ الأستاذ قدري حديثه عن الطب والكيمياء بقول الدكتور سارطون: إن بعض الغربيين الذين يجربون أن يستخفوا بما أسداه الشرق إلى الغرب يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة، ولم يضيفوا إليها شيئاً، وهذا الرأي خطأ، لأنه لو لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية مع إضافات العرب الهامة لتوقف سير المدنية بضعة قرون، وقد جدت آراء كثيرة بعد سارطون تؤكد ما قاله بالدليل، فانتصر المنصفون من الأوربيين للحقيقة العلمية غير عابئين بجحود المنكرين.

وقد يظن الذين يطالعون هذه البحوث بعد ستين عاماً من كتابتها أن الأستاذ قدري يتحدث عن مسلمات، لأن تاريخ النهضة العلمية للعرب قد وجد نصيبا من التأليف والتدريس بالجامعات منذ ثلاثين عاما، حتى أصبحت حقائق ذات اشتهار، ولكن الراصد للحركة التأليفية في تواريخ العلوم العربية، يعلم أن الأستاذ قدري كان أحد رواد هذه البحوث، وكان الحديث عنها جديدا كل الجدة حين ظهرت مجلات المقتطف والسياسة والرسالة حافلة ببحوثه الرائدة، بل إن الرجل كان يكمل النقص فيما كتب إذا بدا له الجديد، فقد كتب مقالا في المقتطف عن البيروني أحاط ببعض آثاره، ووجه الأنظار إلى اعتراف الباحثين في جامعات أوربا بجهوده العلمية التي كانت خطوة كبيرة في طريق الكشف العلمي، ثم كتب بعد عامين بحثا في الرسالة يقول: إنه نسي أن يقول: إن للرجل مؤلفات لم يعثر عليها، وقد قرأ اليوم مخطوطات تثبت نشاط الرجل في عدّة ميادين، ثم أعقب ذلك بمقال ثالث بعد عامين يقول فيه: لقد ظهرت قائمة بأسماء كتب من مؤلفات البيروني تثبت عدم اقتصاره على البحوث العلمية، بل تمتد إلى مسائل اللغة والأدب والتاريخ، ونقل أسماء الكتب الأدبية المعزوة إلى البيروني، وقد يجيء باحث - كما حصل فعلا - فيكتب مقالا عن البيروني يجمع فيه

ما نشره الأستاذ طوقان في مقالاته الثلاث بالمقتطف والرسالة في مدى سبع سنوات، فجمع ذلك في مقال واحد متحدثا عن الجهات المتشعبة لنشاط البيروني، وإسهامه في الأدب والعلم معا ذاكراً ما عرف من مؤلفاته بهذا الصدد، ناسيا أن يذكر جهود الذين وضعوا اللبنات لبنة لبنة حتى استوى الصرح على أساس مدعم، وتلك إحدى غرائب التأليف في العالم العربي، بل تزداد هذه الغرابة حين نجد اللاحق يحاول أن يخفي آثار السابق، وقد يضطر إلى ذكره معقبا بما يشبه الانتقاص، ولو ضربت الأمثلة على ما أقول لفاض الكيل.

> أعجب بالفكر المخلص ذي الشخصية القوية، والروح الملتهبة، يعتنق فكرة من الأفكار الصحيحة، ويعمل على تحقيقها باذلاً كل جهوده في الدعوة إليها.

تابع الأستاذ قدري حديثه عن الطب والكيمياء والصيدلة والنبات وأثر العرب في إنماء ما يتعلق بها من بحوث، وقد أشار إلى بحث كتبه عن ابن سينا بمجلة الرسالة العدد (٣٦) ذكر فيه ما عثر عليه من اكتشافاته البارزة في الطب والتشريح، وأتبع ذلك بقوله: «إن الأستاذ الدكتور محمد خليل عبدالخالق وكيل كلية الطب بالجامعة المصرية حينئذ قد قرأ مقاله، وعقب عليه باكتشاف جديد لابن سينا، حيث أظهر أنه أول من اكتشف الطفيلية الموجودة في الإنسان المسماة الآن (بالأنكلستوما) وكذلك المرض الناشئ عنها المسمى بالرهقان، وبالرجوع إلى مقال الدكتور عبدالخالق رأيت أن الباحث الجليل قد أثبت النص الدال على ذلك من الفصيل الخاص بالديدان المعوية المسجل في كتابه (القانون في الطب) وقد سمّى ابن سينا هذه الدودة الطفيلية باسم الدودة المستديرة، وهي التي اكتشفها العلامة دوبيني في إيطاليا سنة ١٨٣٨م أي بعد كشف ابن سينا عنها بتسعمئة سنة تقريباً، والشاهد من هذا كله أن العلم حلقات متصلة، وأن الأستاذ قدري قد يسعد بإضافة الجديد إلى مقاله، حين عقب عليه الدكتور محمد خليل عبدالخالق بما أثبت لابن سينا من الفضل الذي سبق به الباحثين في أوربا بتسعة قرون، ولم ينقص من فضل الأستاذ قدري حيث أضاف هذا الاكتشاف لصاحبه، بل زاده رسوخا وأصالة، فعلى الذين يبالغون الآن في إنكار الخطوات الأولى للرواد أن يعلموا أن الحقيقة لابد أن تظهر مهما حيل بينها وبين الظهور.

أما حديث قدري عن جهود العرب في مجال (الفيزياء) فقد كان من التركيز بحيث لا يستنبطه إلا متخصص ممارس إذ أشار في دقة إلى اهتمام اليونان بعلم الحيل، وقد ترجم العرب ما أبدعوه فيه واستنبطوا الجديد من قوانينه، وتابع ذكر المؤلفين العرب من أمثال أبناء موسى بن شاكر مشيرا إلى تقسيمهم لهذا العلم بحثا عن جرّ الأثقال بالقوة اليسيرة وعن آلات الحركات، وصنعة الأواني، واستخراج ثقل الجسم المحمول، وعرج الباحث على جهود البيروني فذكرها في تركيز لا يخفي المبتكر منها، وتتابعت أسماء عبدالقادر الطبري وسند ابن علي والرازي وابن سينا والخيام مسجلاً اعتراف سارطون بأن كتاب ميزان الحكمة لابن سينا هو أكثر الكتب استيفاء لبحوث الميكانيكا، وهو الكتاب الوحيد الذي ظهر في نوعه في القرون الوسطى، وهكذا توالى الحديث عن جهود البوزجاني والخوارزمي والكوهي والفارابي وابن الهيثم وأضرابهم، حتى انتقل الكلام إلى البصريات فاتسع الحديث عن عالمها المعلم ابن الهيثم مسجلا اعتراف الغربيين بجهوده الضخمة، ومحاولة تلخيص ما اهتدى إليه ابن الهيثم في هذا المجال مما يتعسر، وقد أشار الأستاذ قدري إلى جهوده بإيجاز ثم ظهرت كتب خاصة به نشرها الدكتور مصطفى نظيف ولفيف من متخصصي الجامعيين، كما ظهرت كتب مماثلة عن الخوارزمي صاحب كتاب الجبر والمقابلة، وهو كتاب لا يزال يحدث دويه في جامعات الغرب، وقد خصصت قاعات علمية خاصة بالبحث التجريبي تحمل اسم الخوارزمي وسواه من أساطين الفكر العربي، وكان الأولى بجامعاتنا في البلاد العربية أن تخلد ذكرى الأجداد. وعلى طريقة الأستاذ في تلخيص الجهود العربية في علوم الطبيعة، واصل الحديث عن هذه الجهود الخاصة بالرياضيات، وعلم الفلك، وقد كان الأستاذ متفائلا كل التفاؤل حين ختم حديثه الدقيق بقوله(٣).

«يسرنا أن نلمح في هذه الأيام حركة جديدة من جانب الحكومات والمعاهد العربية من شأنها سد النقص الذي لازم نهضتنا الثقافية مدة طويلة، فقد بدأ القائمون بأمر هذه الحكومات والمعاهد يهتمون بالكشف عن تراث الإسلام والعرب، كما بدؤوا يوجهون عنايتهم إلى إحياء بعض الكتب القديمة، والمخطوطات القيمة على أنواعها وتعددها.. وكنا بحاجة إلى القول بأن هذه الحركة لاتزال في أولى مراحلها لم يقطع فيها شوط جديد بالاعتبار، وما نراه من الشروع في الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي مما يؤكد أن العرب قد أصبحوا يدركون

أن في بعث ثقافتهم العلمية وإحياء القديم وربطه بالحاضر، غذاء روحيا يسند دعائم المجد العربي. ولم يقتصر الأستاذ قدري على البحوث العلمية في المجلات الرصينة وحدها، بل رأى أن يعيش بعقله في أحداث عصره يسهم برأيه في كل ما يقال عن الحضارة العلمية شرقا وغربا، وحين أتت الحرب العالمية الثانية على المثل الإنسانية في الارتقاء الحضاري كتب بعض الباحثين يقول: إن الحضارة الأوربية ذات عقل، وعلينا أن نسير مع العقل وإن ظهرت السلبيات الكثيرة في نتائج مسيرته، وهو قول فزع منه الأستاذ قدري فألقى محاضرة ببيروت تعصف بهذه الدعوى، ثم نشر مضمونها في مجلة الرسالة تحت عنوان (موقفنا من الحضارة) فعرض للجانب الحسن من جوانب الحضارة المعاصرة حين غزت جميع النواحي في الحياة بحيث أصبحنا لا نعيش إلا في أجواء العلم ولا نسير إلا في طريقه، ولكن ذلك كله قد عاد على الإنسانية بالوبال لأن استغلال العلم بعيداً عن قوى الروح والقلب أنتج هذه الحرب الطاحنة من ورائها تلك الفوضى الخلقية فاستأسدت الغرائز، وأسرفت المطامع فإذا آلة العلم تتجه نحو التدمير والخراب والفتك بحيث أصبحت القوة الغاشمة مقياس تقدم الأمة وعظمتها، ولو تدخلت الروح ومن ورائها القلب لانقلب الوضع فاتجهت آلة العلم نحو البناء والإثمار والخير والكمال، والواقع المشاهد ينطق بأن المدنية الحديثة قد زادت المشاكل تعقيداً والتواءً كما سلبت العالم راحة البال وطمأنينة النفس، وإذن فالعلم وحده لا يكفي لوضع حد لشرور العالم وآلامه، ولا يكفي للخلاص من الصعاب التي سببها، فالواجب أن تقوم حضارة جديدة توفق بين العلم والروح، كما تلائم بين العقل والقلب، ودعا المفكرين إلى الاهتمام بالجانب الروحي، وكان من المناسب أن يذكر رسالة الأدباء في بعث القيم الإنسانية الداعية لهواتف الخير والحق والجمال، ولكن الأستاذ قدري ترك حديث الأديان بالمرة، أتراه ظن أن العقل الأوربي لا يصيخ إليه إذا ارتدى بعباءة الدين، وهبه لم يصخ إليه، فعليه أن يجهر بما يعتقد، وقد قام كبير أساقفة إنجلترا ليؤكد المعنى الذي نسي الأستاذ أن يذكره فما له إذن ينكل عن وجه الصواب.

والأستاذ قدري مؤمن كل الإيمان بدينه وله بحوث شافية تنوه بإنسانية الإسلام وهداه، فلا يظن أنه أغفل توجيه الإسلام متجاهلا، بل إنه عرض في غير هذا المجال كثيرا من الحقائق الكونية في ضوء تعاليم الإسلام فبلغ بذلك مبلغا جيدا في الإقناع والتوجيه، لقد كتب مقالين متكررين بمضمونهما الجوهري في مجلتي الرسالة والثقافة متحدثا عن موقف محمد صلى الله عليه وسلم حين كسفت الشمس يوم وفاة ولده إبراهيم، إذ رأى المسلمون في ذلك كرامة لوالده، فقال قائلهم: إن الشمس قد انكسفت لموته، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نفى ذلك مقررا أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وأنهما لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته. وهذا الموقف مجال لعبرة خلقية باهرة تتصل بأدق الشمائل النفسية للرسول، إذ لو كان زعيما يطلب التأييد عن طريق الانتهاز الوصولي، لسكت عن القول، إن لم يسارع إلى تأييده، ولكنه معلم مرشد يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. وهذا ما أعجب كل من ألم بهذا الموقف في السيرة المطهرة، وما جعل الأستاذ قدري(٤) طوقان يترك قلم العالم إلى لسان الخطيب فيقول مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلى الله عليك، ففي أحرج المواقف، وفي أدقها، لم تنس رسالتك، ولم تغفل عن الحق الذي أتيت به. وأبيت إلا أن تكون مخلصا لدعوتك، ولحقائق الوجود، وجئت بدستور كوني وضع حدا لسخافات المنجمين وأقوالهم، ولاعتقاد الناس في الظواهر الطبيعية والكونية، وبأن ما يجري في الكون لا يتقيد بأحد، ولا تسير لإرضاء بشر، بل إن



هناك قوانين تسير الطبيعة، وأنظمة تسيطر على حركتها، أوجدها الخالق منذ الأزل، لا تحيد عن الطريق الذي رسمها، وقد نزهها عن الشذوذ والتناقض، والذي لا ريب فيه أن الكون لم يوجد من تلقاء نفسه، إذ لو كان كذلك لما رأينا فيه هذا النظام، وهذا التنسيق، لأن هناك قوة خارقة منظمة لا يحيط بها عقلنا، بل تحيط بنا وبهذا الوجود من جميع نواحيه، فلا تتحرك هباءة في الأرض والسماء من جماد أو نبات أو حيوان أو فلك أو نجم إلا والله هو محركها والمسير لها في دائرة من النواميس تشهد بعظمته وتنطق بكماله».

والأستاذ على إلمام بكتب التراث من فقه وتفسير وحديث، لأن العالم الأصيل يعرف أن بعض معميات الوجود، وأسرار الطبيعة قد وجدت حلولا لها في كتاب الله وسنة رسوله، ومن ثم فقد كتب بحوثا عن كتاب الله وموقفه من العقل، وبحثا شافيا عن الطريقة العلمية في تحري الأحاديث النبوية، ونحن معشر الدارسين لمصطلح الحديث نعرف أسباب هذا التحري فيما وضع من أصول دقيقة تحدد مركز الأثر النبوي صحة وضعفا وانقطاعا واتصالا، أما الأستاذ قدري فقد قرأ كثيرا من كتب المصطلح، وقال عن بعضها مشيراً إلى مؤلّف القاضي عياض ومثنيا عليه، وناقلا ما ذكره الدكتور أسد رستم بشأنه حين قال: «وعلى الرغم من مرور سبعة قرون فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ في أوربا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها - رسالة القاضي - وأن ما جاء فيها من مظاهر الدقة والاستنتاج تحت عنوان: تحري الرواية والمجيء باللفظ، يضاهي أدق ما وضع في الموضوع نفسه في أهم كتب الإفرنج في ألمانيا وفرنسا وانجلترا(٥).

والدكتور أسد رستم باحث مجتهد، وله كتاب عن مصطلح التاريخ أوفى فيه على الغاية، ونقل عنه الأستاذ قدري هذه السطور مضيفا إليها قوله الرائع:(٦) «إن المسلك الذي اتبعه العرب في تنقية الحديث، وتمييز صحيحه عن موضوعه قد أثر إلى حد في أساليب العلماء، إذ أبان لهم أهمية الطرق التي تؤدي إلى الحق، كما أوضح لهم منهاجا دقيقا للسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة، وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال، وكذلك كان للأساليب التي اتبعها علماء الحديث فضل كبير على التاريخ، فأصبحت القواعد التي ساروا عليها في تحري الحقيقة هي المعول عليها لدى المؤرخين المعاصرين ومحل تقديرهم وإعجابهم».

وللأستاذ قدري هيام بتقرير الحقائق تاريخية وعلمية، وقد يكون قوله المنطق الفصل فيما يتصدر للحكم فيه من قضايا، فقد ذكر الأستاذ أحمد أمين في فجر الإسلام(٧) ما فحواه أن اللغة العربية وفت بمتطلبات العصر الجاهلي، إذ كانت في منتهى السعة والدقة فيما يستعمل من ضروريات الحياة، فالإبل خير مأكلهم ومشربهم ومركبهم وعماد حياتهم، لذلك لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بها إلا وضعوا لها لفظا أو ألفاظا، فإذا انتقلت من الجمل إلى السفينة رأيت اللغة في غاية القصور فلم يوفوها حقها كما وفوا الجمل، ولم يحصوا كل أجزائها ولم يضعوا اسما لكل نوع من أنواعها».

وهذا كلام لا اعتراض عليه لأن اللغة دليل الحاجة، ولم تكن حاجة الجاهلي إلى السفينة تعدل حاجته إلى الناقة، ولكن الذين يثيرون الغبار في كل مسألة رموا أحمد أمين بالقصور تارة وبالتعصب على الجاهلية تارة أخرى، وذهبوا يسجلون الألفاظ الخاصة بالسفينة في كتب اللغة، وقد فاتهم أن جميع ما ذكروه لا يعدل شيئا بالقياس إلى ما جاء عن الإبل من ألفاظ، وقد شاء الأستاذ قدري أن يحسم النقاش فكتب مقالا تحت عنوان(٨): «الملاحة عند العرب» دون أن يعرض للأسماء الدائرة حولها النقاش فأكد أن القول الصحيح عن الملاحة عند العرب لم يتضح بعد، ولكن المسلم به أن العرب في بدء فتوحاتهم كانوا يخافون البحر ويهابونه، وهم أهل صحراء منقطعون عنه لم يتعودوا رؤيته فكيف بركوبه؟ وذكر موقف عمر بن الخطاب حين حذر عرفجة بن هرثمة لركوبه البحر في غزوة عمان أما بعد الفتوح الإسلامية الأولى وتغير النظرة إلى هول الموج فقد اهتم العرب بالملاحة، وحذوا حذو الرومان في إنشاء السفن، ومهروا مهارة تامة في صناعة الأساطيل، وتم لهم الاستيلاء على كثير من شواطئ البحر الأبيض المتوسط أو بعض شواطئ فرنسا حتى وصل الأسطول الإسلامي في عصر عبدالرحمن الناصر إلى مئة مركب، وكذلك انتشرت أساطيل الموحدين والمرابطين، وحصر ابن خلدون عدد الأساطيل في القرن الخامس والقرن السادس فوجدها تبلغ المئة، وكتب الأستاذ في هذا المجال بحثا مبتكرا لا يغني تلخيص عن قراءة، فذكرنا بما كتبه من قبل عن أحمد بن ماجد(٩) أسد البحر الهائج، وكلامه عن ابن ماجد من أوائل ما كتب في العربية عنه، وما كتب بعده بصدده عيال عليه، وقد قال: إن في الأمة العربية كثيرين من أمثال ابن ماجد أتقنوا الملاحة، ووضعوا عنها كتبا ظلت المصدر الأول للأوربيين حينا من الزمن، لو أحصيتهم لطال بنا القول.

هذه فقر مختارة تدل على نشاط هذا الداعية العلمي الغيور، وتتطلب من عشاق البحث العلمي أن يحرصوا على جمع مقالاته التي لم تنشر في أجزاء متصلة، فهي رائدة في بابها، ولها مكانها الركين لدى الدارسين.

==========

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مارس سنة ١٩٧٢م.
(٢) تراث الإسلام: ترجمة الدكتور الطويل.
(٣) مجلة المقتطف (عدد خاص) ص ١٠٠ سنة ١٩٣٨م.
(٤) مجلة الرسالة ١٩٤٤/١/١٧م.
(٥و٦) مجلة الرسالة العدد ٧٥٧، ١٩٤٨/١/٥م.
(٧) فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٥٥.
(٨) الرسالة عدد ٣٣٩ - ١٩٤٠/١/١م.
(٩) الرسالة عدد ٩٣ - ١٩٣٥/٤/١٥م.

انتفاضة السكين

شعر : عبدالكريم المشهداني
- المغرب -

هذي الجوانح ضاقت بالذي فيها ... ترى على أي هم فيك تطويها ؟
تروح ، تغدو، وعين منك جائلة ... والعزم يسطع جمراً في مآقيها
حتى إذا سنحت منها فريستها ... هبّت تنشّب أظفار الردى فيها
هذي النصال على اسم الله تشحذها ... وأنت - بعد يد الرحمن - راميها
هذي السكاكين من عزم ومن لهب ... تجري سراعاً إلى الأعناق تفريها
ينشق عنها إهاب الغمد مرهفة ... كومضة البرق راعت في تلاليها
هيا امتشقها تروع القلب من هلع ... وتخشع النفس ذعراً من تلظيها
عجل - فديتك - فالسكين ظامئة ... وليس غير دم الأوداج يرويها
خذ الحديد به البأس الشديد ودع ... عنك الحجارة ترقد في مثاويها

يا باعث الطعنة النجلاء لاذعة ... كالنار ، والخنجر المسموم يوريها
تغادر القلب في أضلاعه مزقاً ... وتقذف الزبد الفوار مِنْ فيها
أقبّل القبضة الصماء قد طويت ... على المنايا وأفدي روحَ طاويها

ملاحم من سطور المجد نرويها ... كتائب (العز) والإيمان تمليها
قد كان (قسّامها) أورى شرارتها ... وراح (عزامها) الفوار يذكيها
تمضي الجموع على إثر الجموع فلا ... سكب الرصاص ولا الرشاش يثنيها
ويثخن القتل فيها وهي هادرة ... يخوض أولها في دم تاليها
لا الأمهات لَدَمْنَ الصدر من جزع ... خلف النعوش ولا الآباء تبكيها
عرس الشهادة أغنى عن مآتمها ... "والله أكبر" أغنت عن مراثيها

تلك المفاخر والأيام شاهدة ... من ألف عام على الأشلاء نبنيها
حطين ذات الذرى الشماء قبتها ... وعين جالوت تمضي من سواريها

الأدب الإسلامي يمثل هويتنا الإسلامية

سهيلة زين العابدين حماد
- السعودية -

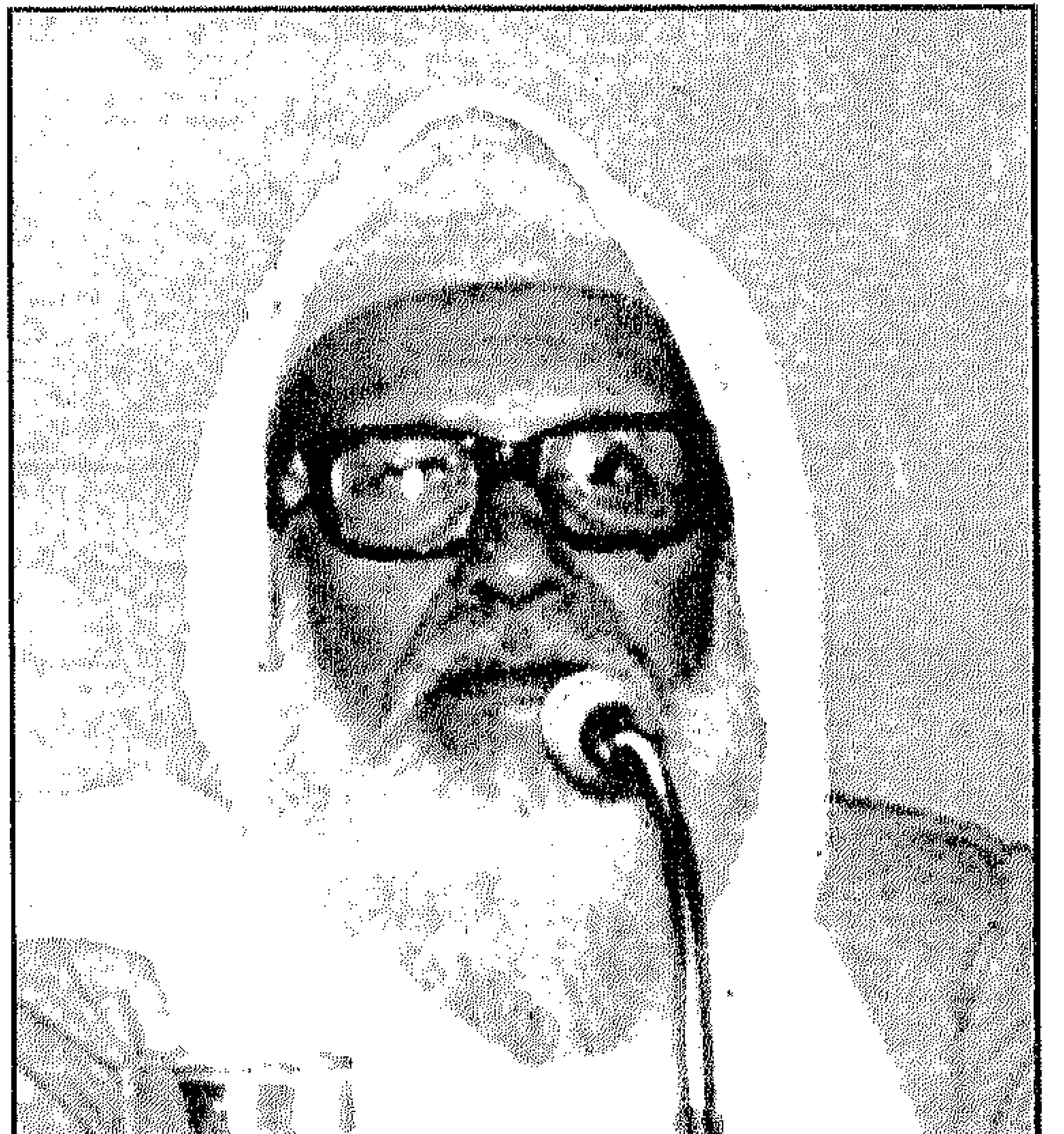
إن لكل أمة أدباً يعبر عن دينها، وعقيدتها، وفكرها، وموطنها، وآمالها وآلامها، وإنجازاتها، ولا نستطيع بأية حال من الأحوال فصل الدين والعقيدة عن الفكر والأدب، والأمثلة واضحة أمامنا، ولننظر إلى الأدب الإغريقي الذي يعده البعض قمة الآداب الإنسانية فقد قام المذهب «الكلاسيكي» على هذا الأدب، وكلنا يعرف أن الأدب الإغريقي قائم على عقيدة الإغريق الوثنية المبنية على تعدد الآلهة والصراع بين الإنسان وبين الآلهة، وبين الإنسان والكون.

ولننظر أيضا إلى الرومانسية فهي قائمة أيضا على المسيحية، إذ احتج شانوبريان على الكلاسيكية القائمة على تعدد الآلهة، وأعلن في كتابه العبقرية المسيحية أن الأدب ينبغي أن يُطبع بالطابع المسيحي، ومنذ ذاك الحين طبع الأدب الغربي بالطابع المسيحي بدلاً من الطابع الوثني الإغريقي.

وعندما جاءت الماركسية طبع الماركسيون أدبهم بالطابع الشيوعي الماركسي القائم على إنكار وجود الله، وإرجاع كل شيء إلى الطبيعة، والاهتمام بالجماعة على حساب الفرد، وألزم الأدباء بالواقعية الماركسية، والواقعية الاشتراكية إلزاماً من حكوماتهم وكل من لا يعبر عن عقيدة الحزب الشيوعي أو الاشتراكي ومبادئه يعد خائناً لبلده. لذا تجد أدب الدول الشيوعية والاشتراكية مصبوغا بصبغتها.

ولننظر أيضا إلى الوجودية فهي تقوم على إنكار وجود الله، وتأليه الإنسان لنفسه، باعتباره هو المرجعية لكل ما يفعل، فهو مسؤول أمام ذاته، والوجودية تقوم أيضا على عبثية الخلق والوجود، لذا نجد أنه غلب على الأدب الوجودي ظواهر الانتحار، كما اهتم الأدب الوجودي بالفرد على حساب المجتمع لأن الوجودية قائمة على الفردية.

وهكذا نجد أن الأدب في كل مذاهبه وفلسفاته الفكرية، ومراحله التاريخية قائم على الدين والعقيدة، فيوجد أدب إغريقي وثني، ويوجد أدب يهودي، ويوجد أدب مسيحي، ويوجد أدب ماركسي، وأدب اشتراكي، وأدب وجودي، وكذلك يوجد أدب فرويدي، الخ... فكل أديب يلتزم في أدبه بعقيدته التي يؤمن بها، فلو قرأت الآن لأديب يهودي فستجد أن أدبه لا يخرج عن نطاق عقيدته اليهودية، وتعليمات التوراة والتلمود معبراً عن مزاعمهم حول أرض الميعاد، وشعب الله المختار، وآمالهم في تحقيق دولة إسرائيل الكبرى التي يخططون لتكوينها، ولا تخرج نظرته إلى غيره من غير اليهود عن تلك النظرة المتعالية.. الخ.



الشيخ / أبوالحسن الندوي

ولو انتقلنا إلى الأديب المسيحي نجد أن أدبه يعبر عن عقيدته، ولا نجد في أدبه مثلا مصطلحات إسلامية، فنظرته إلى حركة التاريخ قائمة على الخطيئة، وأن خطيئة آدم لم تغتفر، وملازمة لبني آدم، وكذلك إلحاقه تهمة الخطيئة الأزلية بالمرأة، كما نجده يستخدم المصطلحات: الأب، والابن، والروح القدس، والصليب، والصلب، والراهب، والرهبنة، البطريركية الخ..

ولكن اقرأ أدب الأديب المسلم الآن، ماذا تجد؟

إنك في الغالب لا تستطيع تحديد هوية هذا الأديب أو عقيدته، لأن أدبه أصبح في بعضه ملحدا ماركسيا، أو جنسيا إباحيا تظلله وثنية الإغريق وأساطيرهم، كما تجد فيه مصطلحات مسيحية كالصلب، والرهبنة، وإلحاق الخطيئة الأزلية بالمرأة. وأحياناً نجده يعبر عن معتقدات الفرق الباطنية التي تدعو إلى الحلول والتناسخ والإباحية. فأصبح أدبنا العربي يمثل خليطا من المذاهب والتيارات الفلسفية الغربية الحديثة من كلاسيكية، ورومانسية، ورمزية، وفرويدية، ووجودية، وسريالية، وبرناسية، وبنيوية،

وواقعية، كالواقعية الغربية، والواقعية الماركسية... إلخ.. فنحن نعيش الآن في فوضى عقائدية وفكرية.

أجل فنحن نعيش الآن في فوضى فكرية وعقائدية ترتب عنها انعدام الأمن في كثير من المجتمعات الإسلامية واختلال النظام في كثير من شؤونها المعاشية وبروز ظاهرة الإرهاب، والاغتصاب وانتهاك الأعراض، وتفشي المخدرات، كل هذا نتيجة بعدنا عن ديننا وفصله عن جميع شؤوننا في الحياة بما فيها الفكر والثقافة والأدب، واعتناقنا لفلسفات وعقائد ليست هي من ديننا في شيء تحت شعار حرية الرأي، والانفتاح على ثقافات العالم والأخذ منها الأخذ المطلق دون حد أو ضابط، وبلا مقياس أو معيار.

إن كل ما في الكون يسير وفق نظام يضبطه، فالكون له نواميسه وسننه فإذا ما حدث خلل في هذا النظام حدثت الزلازل، والبراكين والعواصف والفيضانات التي تدمر البيوت والمحاصيل، ويتساقط الألوف من القتلى أو الغرقى من جرائها، هذه الكوارث الطبيعية هي بلاشك تدمر وتهدم في لحظات ما بناه البشر في سنين.

والفكر جزء من هذا الكون لابد أن يكون هناك ضابط يضبطه، ويكبح جماحه لئلا يدمر صاحبه، ويدمر معه الآخرين، والضابط الذي يضبط الفكر هو العقيدة، فنحن لو فصلنا عقيدتنا الإسلامية عما نتلقاه أو نفكر فيه ونكتبه، فلن يكون هناك فارق بيننا وبين ماركس، وإنجلز، وسارتر وهيجل، ونيتشه، وفرويد، وديكارت، ودور كايم، وليفي شتراوس، ورولان بارت، وغيرهم، بل قد نجمع بين هؤلاء جميعاً رغم ما في فلسفاتهم من تناقض، ونعيش في فوضى فكرية، وعقائدية، كما هي حالنا الآن.

ثم لا ننسى أن البابوية في الفاتيكان وضعت مخططا لاقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين، وأعلن هذا في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥م، وقد أعلن بابا الفاتيكان خطته الخمسية لتنصير العالم عشية قدوم الألفية الثالثة، وذلك بالضغط على الدول النامية بالعمل على إسقاط ديونها مقابل التمهيد لتنصيرها، وما تراه الآن من محاولات تقسيم السودان إلى دولة مسيحية جنوبية، ودولة مسلمة شمالية، وما حدث لإندونيسيا من تقسيم تيمور إلى إقليمين مسيحي وإسلامي، وكلنا يعرف كيف كان التنصير نشطا في إندونيسيا في السنوات الأخيرة.

وبطبيعة الحال الصهيونية العالمية وراء هذا المخطط لتتخلص من الإسلام، وبالتالي يسهل عليها الانقضاض على المسيحية لتتمكن من السيطرة على العالم، لأن من مخططاتها في بروتوكولات صهيون تقويض الأديان وهدمها للسيطرة على العالم.

في حين نجد اليهود أكثر الناس التزاماً بدينهم، بل كل دعاويهم قائمة على ما جاء في توراتهم المحَرَّفة وتلمودهم، وانظر إلى مناهج التعليم في مدارسهم في إسرائيل تجد أنها مركزة على المواد الدينية لأن دولتهم قائمة على الدين اليهودي، ونجد رجال الدين اليهودي قد كثروا بشكل كبير حتى إنه في نيويورك وحدها يوجد ستون ألف حاخام يهودي، هذا العدد ليس مبالغاً فيه، فعندما أرادوا عقد مؤتمر لحاخامات يهود نيويورك لم يجدوا قاعة تستوعب هذا العدد الكبير فعقدوه في أحد الملاعب الرياضية.

في حين نجد أن الدنيا تقوم ولا تقعد عندما تردد كلمة «إسلام» أو «إسلامي» وتظهر عبارات الاحتجاج، وتكتب للأسف الشديد من بعض أبناء الإسلام المقالات والدراسات احتجاجا على أسلمة العلوم، ومن ضمنها الأدب، لأنهم يريدون إزالة الإسلام، وتغييب كلمة إسلام باستبدالهم بالإسلام كلمة الأصولية.

فأمام كل هذه التحديات أليس من حقنا نحن المسلمين أن نحافظ على هويتنا الإسلامية في أسلمة اقتصادنا الذي أصبح في بعضه رأسماليا، وفي بعضه اشتراكيا، وكذلك بالنسبة لأدبنا الذي غدا معظمه وثنيا ماركسيا، ووجوديا وإباحيا فها هو شاعر عربي مسلم يقول: الشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم، وآخر يقول: المجد للشيطان لأنه قال لا... في وجه من قالوا نعم، أو ثالث يقول: أكره الله، أو يكتب قصيدة بعنوان «الإله الميت» وأخرى بعنوان «الإله الأعمى» وأديب كبير يجعل للفن إلها يسجد له ويستغفره، ويزعم أن الشيطان شهيد، ويريد التوبة، أو تلك التي تقول شكرا لآلهة الإغريق التي أنجبت سيزيف أو تلك التي تبني قصصها على الحلولية وتناسخ الأرواح. والأمثلة كثيرة لا حصر لها.

فهل مثل هذا الأدب يمثلنا نحن المسلمين؟

ثم أين الإبداع والجمال والإمتاع الروحي والقيم الجمالية في مثل هذاا لأدب؟

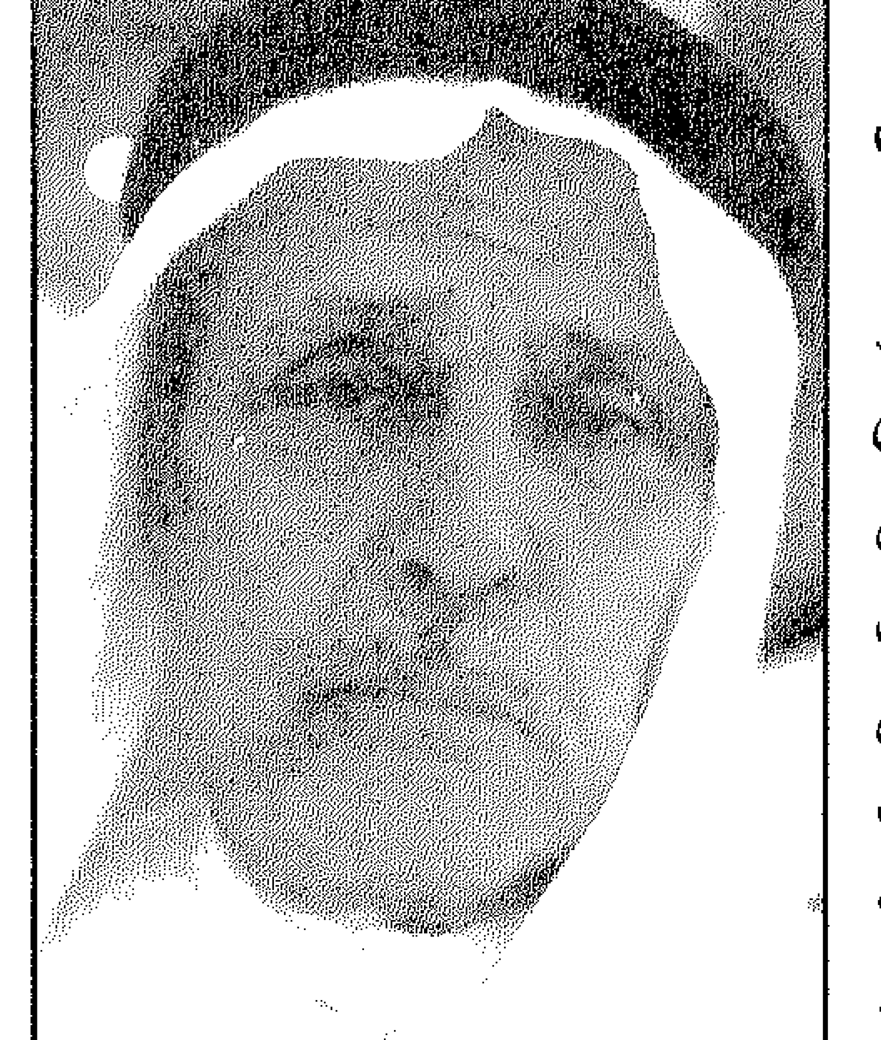
وهل في إعلان كراهية الله الخالق، وفي تمجيد الشيطان وآلهه الإغريق جمال وإبداع؟

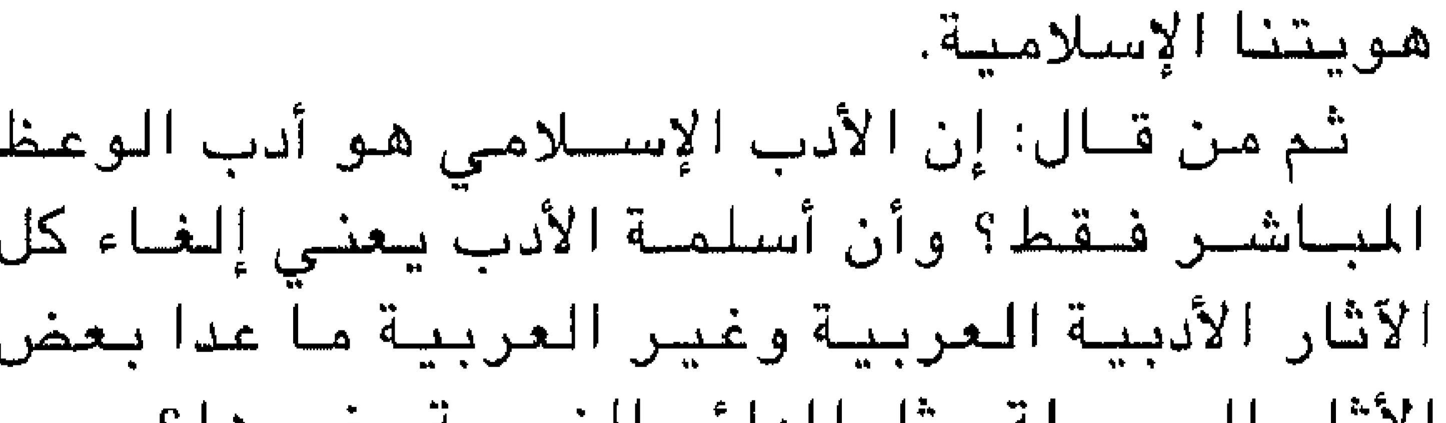
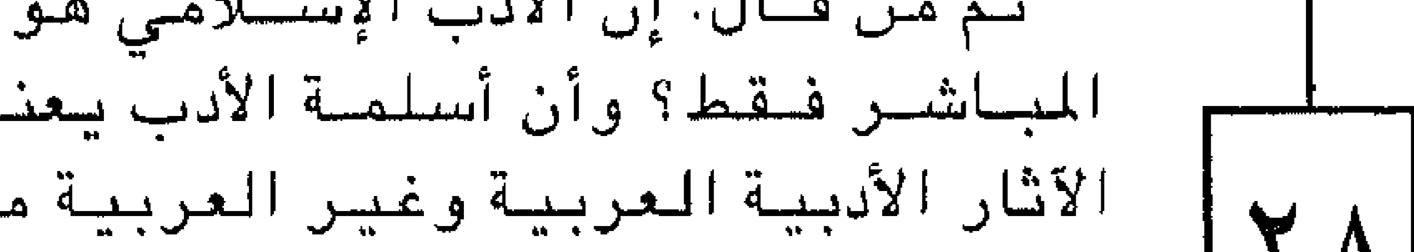
ومما يؤكد أن هناك محاولات لهدم فكرنا ما أفصحته الكاتبة البريطانية فرانسيس ستونرسوندرز في كتابها من يدفع التكاليف؟

الصادر في يوليو عام ١٩٩٩م عن قيام الحكومة الأمريكية عبر وكالة المخابرات المركزية لإيجاد مدارس وتيارات ثقافية كاملة ومنها تيار الحداثة، ودعم مجلة الحوار العربية وغيرها، هل اتضحت أمامك الآن الصور لماذا يحارب الإسلام؟ والأدب الإسلامي ولماذا نصر نحن في رابطة الأدب الإسلامي على تأصيل مصطلح الأدب الإسلامي والتأكيد عليه؟

علام الاعتراض على أدب يحمل هويتنا الإسلامية؟

إن الأدب الإسلامي ليس بجديد، فهو موجود منذ ظهور الإسلام، وعلى مدى أربعة عشر قرنا الماضية، وإن كان في القرون الثلاثة الأخيرة بدأ يتوارى عن الساحة رويداً رويداً حتى غلب على أدبنا العربي الآن سمات الآداب الغربية، وفقد في معظمه هويته الإسلامية، فكان لابد من إعادة هذه الهوية إليه بتأصيل مصطلح الأدب الإسلامي، وهذا من حقنا كأمة إسلامية أن نطالب أن يكون أدبنا معبراً عن هويتنا الإسلامية.


محمد حسن فقي

ثم من قال: إن الأدب الإسلامي هو أدب الوعظ المباشر فقط؟ وأن أسلمة الأدب يعني إلغاء كل الآثار الأدبية العربية وغير العربية ما عدا بعض الآثار البسيطة مثل المدائح النبوية وغيرها؟

هذا مفهوم قاصر للأدب الإسلامي. فالأدب الإسلامي أوسع بكثير من هذا المفهوم الضيق المحدود.

إن الأدب الإسلامي هو «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والكون والحياة وفق التصور الإسلامي».

والتصور الإسلامي تصور شامل لشمولية الإسلام، إذ شمل جميع نواحي الحياتين الدنيوية والأخروية، ولم يترك أمراً في حياة الإنسان إلا نظمه، وهو تصور متوازن لتوازن نظرة الإسلام للإنسان، هذه النظرة التي جمعت بين المادة والروح ولتوازن نظم الحياتين الدنيوية والأخروية، ولتوازن نظم الكون فلا خلل فيها. هو تصور سام لسمو الإسلام بالنفس الإنسانية، وعواطفها إلى مراتب عليا من الطهر والعفاف، دون أن يجردها من روحانيتها أو ماديتها، تنظمها وتوجهها الوجهة الصحيحة دون أن تنحرف أو تفقد صفتها الإنسانية، وهو تصور جمالي في الشكل والمضمون معا يستمد جماله من جمال الكون، وهو تصور إنساني لإنسانية الإسلام الذي احترم حقوق الإنسان وكرمه وصان جميع حقوقه بتشريعات عادلة يعجز الخلق أجمعين عن الإتيان بمثلها أو استيعاب دقائقها، كما نظّم علاقاته بالأمم ذات الديانات الأخرى.

فالتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان هو أشمل تصور عرفته البشرية حتى اليوم، إنه التصور الذي لا يأخذ جانبا من الوجود ويدع جانبا آخر، كما في المذاهب الأدبية الأخرى، وإنما يأخذ الوجود كله بمادياته وروحانياته، ومعنوياته، وكل كائناته، إنه التصور الذي لا يجعل الحس بمعزل عن الحياة المنبثة في أعماق الكون، بل يطلق الحس ليملأ الحياة في كل شيء في هذا الكون، فلا يجعله مادة جامدة، وإنما يجعله يتحرك ويحس ويتعاطف ويلتقي على شتى المشاعر والانفعالات.

لنتأمل معا التصوير الفني في القرآن الكريم نجد الآتي:

قوله تعالى: {**والنجم والشجر يسجدان**} لقد بث في النجم والشجر الحياة فجعلهما يسجدان للخالق شأنه، وكل ما في الكون قانت وساجد لله سبحانه وتعالى، ولو جاء أديب، وقال يسجد النجم والشجر لفلان، فهنا خرج عن نطاق التصور الإسلامي وخالفه، لأنه لا سجود إلا للخالق جلّ شأنه، فعندما قال توفيق الحكيم في قصة راقصة المعبد: إنه سجد لإله الفن. فقد خالف التصور الإسلامي.

وقوله تعالى: {**والصبح إذا تنفس**} فالصبح هنا يتنفس لهذه الحياة الوديعة الهادئة فهي تنفرج عنها ثناياه، وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض.

وقوله تعالى: {**يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا**} فالخيال هنا يدور مع الليل هذه الدورة الدائبة في طلب النهار، فلا يستطيع له دركا، بل ترى الشمس والقمر والليل والنهار في سباق دائم، ولكن {**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**} بل ترى الليل يسري {**والليل إذا يسر**} فتحس سريانه في هذا الكون العريض، وتأنس بهذا الساري.

وقوله تعالى: {**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض: ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**} فهنا يخاطب السماء والأرض كعاقلين فتسرعان بالجواب قائلتين: أتينا طائعين، فالخيال هنا شاخص إلى الأرض والسماء تدعيان فتجيبان الدعاء.

وهذه هي الأرض هامدة مرة، وخاشعة مرة ينزل عليها الماء فتهتز وتحيا {**وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**} وهكذا تستحيل الأرض الجامدة كائنا حيا بلمسة واحدة ولفظة واحدة.

هذا هو أشمل تصور للكون والحياة والإنسان في تاريخ البشرية فكل النظم والعقائد أخذت شيئا من هذه الجوانب المتعددة، ولم تأخذها كلها، فنشأ من ذلك قصور في التصور، وخلل في التوازن، وخلل في الإنسان، والإسلام وحده هو الذي شملت فكرته هذه الجوانب في شمول وتوازن واتساق، فإذا كان الإبداع يتطلب تصوير حقائق الوجود وانعكاسها في نفس المبدع بصورة فريدة لم يسبق لغيرهما تصويرها بتلك الصورة الجميلة المتقنة، وإذا كان الفن يتحدد بمدى المساحة التي تشملها الحقيقة التي يشير إليها العمل الفني أو يرمز لها من كيان الكون فإنه لا شك ولا ريب أن الفن والإبداع المتباينين عن التصور الإسلامي للخالق جل شأنه وللإنسان وللكون والحياة هو أرفع فن، وأروع إبداع تستطيع أن تنتجه البشرية، فكيف يزعم بعد ذلك زاعم أن أسلمة الأدب ستؤدي إلى تحويل الأدب من الإمتاع الروحي وتعميق الإحساس بالقيم الجمالية إلى الوعظ والإرشاد.

إن قمة الامتاع الروحي وتعميق الإحساس بالقيم الجمالية هي في الأدب الإسلامي بكل شموليته وجماليته وسموه وإنسانيته.

والأمثلة كثيرة على الأدب الإسلامي ولنأخذ أمثلة من أدبنا العربي المعاصر، من ذلك قول الشاعر السعودي محمد حسن فقي في قصيدة الشيخ والفتاة:

الحسن إن لم يحمه طهره
ظل مدى الدهر يعض البنان

وقوله أيضا في ذات القصيدة:

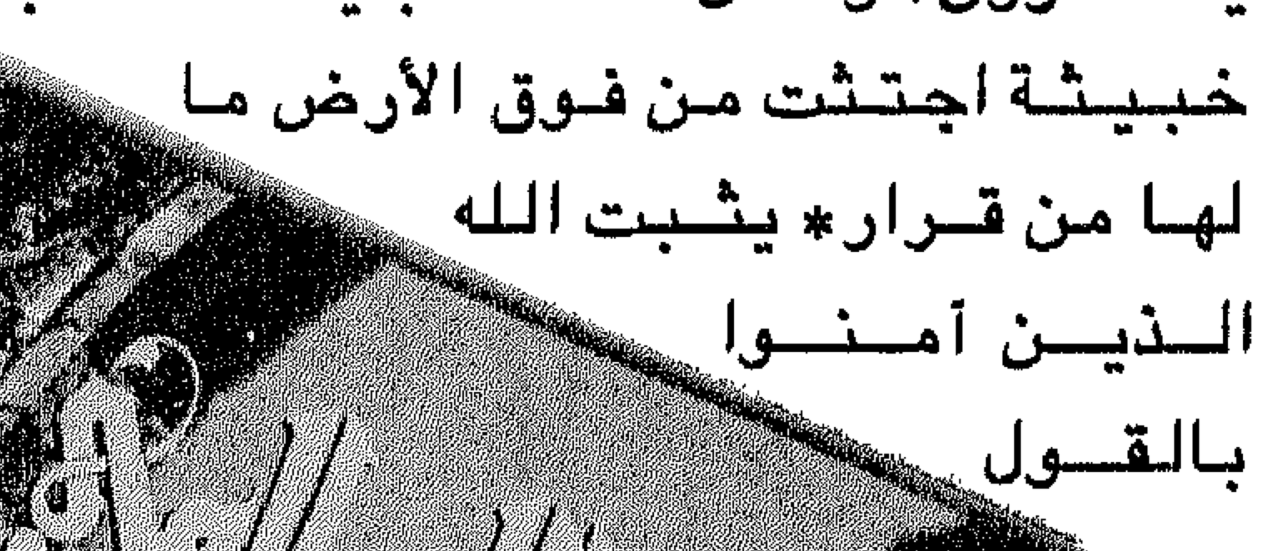
فلا تكوني وردة غضة
يقطفها القاطف قبل الأوان
يشمها حينا ويرمي بها
ذابلة ينفر منها العيان
كأنها أمست له بعد ما
أضاعت العفة بعض القيان
خادعها بالقول حتى انتشت
كنشوة الشارب خمر الدنان
ثم اجتباها واجتبى غيرها
ممن تزوجن بدون القران

ففي هذه الأبيات يقول الشيخ للفتاة أن لا تستمر في خطيئتها حت لا تبتذل نفسها وتبيعها لكائن من كان فتفرط في عفافها وطهرها، وتغدو كالقيان نتيجة انخداعها بقول ماجن، ثم يحذرها قائلا:

فحاذري سقطة دنيا الهوى
فإنها تفضي لدنيا الهوان

فهذه القصيدة تعد شعراً إسلاميا. ولو انتقلنا إلى القصص والروايات نجد أن أية قصة أو رواية تعالج مشكلة اجتماعية معالجة لاتخالف ديننا وقيمنا الإسلامية فهي تعد من الأدب الإسلامي إن كان كاتبها أديباً مسلماً، وإن كان غير مسلم يعد أدبا موافقاً للأدب الإسلامي.

فالأدب الإسلامي باختصار شديد هو: أدب الكلمة الطيبة التي شبهها الله جل شأنه بالشجرة الطيبة في قوله تعالى: {**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون* ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار* يثبت الله الذين آمنوا بالقول**





الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}

[إبراهيم:٢٤-٢٧]

فالأدب غير الإسلامي الذي يخالف الإسلام في عقائده وتشريعاته هو أدب الكلمة الخبيثة التي شبهه الله جل شأنه بالشجرة الخبيثة التي لا قرار لها ولا ثبات، وأمثلة هذا النوع من الأدب كثيرة للأسف الشديد في أدبنا الحديث والمعاصر، تلك القصص التي تجعل الغريزة الجنسية هي المحرك للسلوك البشري طبقا لنظرية فرويد، أو التي تدعو إلى إبطال قانون الزواج أو تجعل خيانة المرأة لزوجها هو العلاج لما تعانيه من حالة نفسية، وتلك القصص التي تدعو إلى توحيد الأديان، وزواج المسلمة من غير المسلم، أو التي ترمز إلى الله بالأب، وتجعل له الزوجة والولد، أو التي تقول بعبثية الخلق، وتجعل الانتحار وشرب الخمر وتعاطي المخدرات حلولاً للهروب من الواقع، أو التي تقوم على تناسخ الأرواح، وتقول بالحلولية.

أقول باختصار: إن الأدب المتأثر بالمذاهب الغربية تأثرا كبيرا ويعبر عنها، والذي يأخذها على علاتها أصبح يمثل الأمم الغربية والمجتمعات المسيحية والعلمانية ولا يمثل مجتمعاتنا العربية المسلمة.

لست أدري لماذا يصر بعض الكتاب والأدباء أن نظل في تبعية الغرب حتى في آدابنا وطريقة تفكيرنا، وعندما نطالب بأن يكون أدبنا نابعاً من ذاتنا، من ديننا، من قيمنا نواجه بالهجوم؟

إلى متى سنظل تابعين للغرب بإرادتنا ونحارب استقلالنا عنهم؟

ولمَ هذا الخوف من كل ما هو إسلامي؟!

---

* رئيسة لجنة الأديبات الإسلاميات برابطة الأدب الإسلامي العالمية.

غربة

رسمية العيباني - السعودية

يا رب مالي على الأحزان من جلدٍ
فارحم إلهي فؤاداً هدَّه التعبُ

وارحم تعيساً مضت أيامه نكداً
طريحَ هم ومن عواده الوصبُ

لا يطرق السعد بابي، كيف يطرقه
والسعد حلمٌ بعيدٌ دونه حجُبُ..

أمّا الهموم ففي الأعماق مسكنها
واهاً لقلبٍ كقلبي جرحه عَطِبُ!

يعيش غربة روحٍ زادها حطبا..
سالٍ يلوم وما أزرت به النّوبُ

هل من أتى يصطلي النيران مغتبطاً
مثل الذي بات وسط النار يلتهبُ

يكابد الهم حتى بات يألفه..
أبين جرح فؤادي والأسى سببُ؟

حبلى لياليه بالآلام منقطعاً
عن الأنام وعند الله يحتسبُ!

أ أبتغي الماءَ.. في النيران أطلبه
وهل بغير لظاها ترشق الشهبُ؟

بل في الجنان بإذن الله أطعمها
ويُطعم السعدَ قلبٌ أمره عجبُ!



رحمة

شعر / أحمد محمد النقيب

- مصر -

أيُّهذَا الغَريب ..

لِمْ تَضيقْ .. ؟!

فَالهُدى ..

للمَسَاكينِ صدرٌ رَحيبْ ..

لا يَمَلُّ ..

لا يَضِيقْ ..

ياصَديقْ ..

فَاسْعَ للنُّورِ وَأْنَسْ بذكرٍ ..

وعَهْدٍ وَثِيقْ ..

رُبَّ نورٍ بِقَلبِ الدُّجى ..

لَيْلُهُ .. قَدْ سَجَى ..

مُنْتَهَاهُ الرَّجَا ..

فَاقْصدِ البَابَ تَوْباً ..

وَعِشْقاً ..

وَطُهْراً ..

وَشَوقاً ..

تَبْلُغِ القَصْدَ ..

وَالمُرتَجَى.

انطلاقة

رأفت الشرقاوي

- مصر -

انطلق عامر بعد أن انفضّ الجمع ولم يشأ أن يودّع الحاضرين أو يصافحهم أو يبتسم لهم كعادته، لم يشعر في هذه المرة بالزهو والانتصار فكان واجم التفكير مشتت الذهن لا يدري ما يقوله، وكيف يدفع التهمة التي لم يكن يعلم من أين أتته؟.. كل ما يذكره أنه اجتهد وبذل ما بوسعه ليعبّر عن رأيه في صراحةٍ عارمة.

راح عامر يجُرّ رجليه بألمٍ فوق درجات السلّم، لأول مرة يعرف عدد الدرجات.

آه! نعم إنها نفس العدد، عشرون درجة، بل عشرون صرخة، بل عشرون حجرا. إنه أمر غريب حقا حتى العربة الحكومية التي سأستقلها إلى المنزل رقمها عشرون ولكنّها مقطوعة بشرطة مائلة لا بأس! وياله من توافق عجيب!، وكذلك رقم المنزل اثنان وعشرون، الرقمان الزائدان حقاً هما الرجلان اللذان هاجماني وانهالا علي دفعا ولكما بالكلمات والألفاظ المؤلمة، هكذا كان عامر يتحدّث إلى نفسه حتى استقرّ فوق سريره بعد أن أطفأ مصباح الغرفة..

راح يذكر من الدهشة وقائع الجمع المنفض منذ وقت قليل... « . أجل..! الفكرة كانت شاردةً وقد امتطيتها بالكاد في وَجَلٍ شديد وألقيتها محمولة فوق عشرين حجراً ممتدا طويلا.. الرجل الأول علق بقوله: «إنه كلام مكرر..!» والرجل الثاني كان كعادة زميله في التعقيب المعتاد المهزوز قال: «إنه كلام غير مفهوم!» وأخذ كلا الرجلين يتناوبان الردّ والخبط والعجن والخبز دون أن يحددا أو يشخصا الألم، ليضعا من بعده العلاج الناجع!!

فعلاً إنه أمر مفزع! هل هذا هو الإخلاص الذي اتفقنا عليه؟...

أقسم بالله. «لن أذهب إلى هذا المكان مرة أخرى»...

فجأةً طرق الباب.. قام عامر مسرعاً.. أشعل المصباح: [.. مَنْ..؟! أبي! مرحباً: تفضلْ!].. [ماذا يشغلك يا عامر؟].[لا شيء يا أبت.. سلامتُك!].. [هاك يا عامر دعوة من النادي الأدبي العلمي لتُلقي قصيدةً في «مناسبة التضامن العلمي الأدبي»].. [شكراً يا أبي .. شكراً كثيراً.. «يا لها من فكرة» آه.. سأقرأ عليهم قصيدة بحر الطويل إيّاها.. العشرون بيتاً لعلّي أنطلق.] اندهش الوالد فاندفع يسأل في ذهول:

« قصيدة الطويل!.. إياها!.. عشرون بيتاً!..

ماذا تقصد !؟ »

أطرق عامر محملقاً إلى أصابع يديه العشر، ثم إلى الأرض فاركاً بها أصابع رجليه العشر، ثم أطبق جفنيه وأجاب: « لا شيء يا أبي.. لا شيء.».

نحو معجم إسلامي عربي للأطفال

عبدالتواب يوسف

أدب الأطفال هو ما يتوجه به أصحابه إلى فئات مختلفة من الأعمار ، وفي سن ما قبل المدرسة ، قد لا يكون هذا اللون «أدب لغة» إذ أحيانا تختفي الكلمات من على صفحات كتب هؤلاء الصغار ، وإن وجدت بعض الكلمات ،فلا نراها أدبا بقدر ما نحس أنها من أجل مزيد من الفهم للطفل ، وهنا تحل الصورة محل الكلمات ، وإن عبرت هذه في السياق عن قصة لابد من أن نرويها بالكلمات ، والصغير يتابعها على الرسوم. ولي تجربة مبهرة مع حفيد كان عمره ثلاث سنوات حين أهديته بعض كتب لاتحتوي على كلمات ، وناديته بعد أن قلبها فرحاً بها وبما فيها من صور جميلة ملونة وجذابة ، وقلت له : مارأيك في أن نجلس لنقرأ واحداً من هذه الكتب ؟ تطلع إلي وقال : هذه الكتب «تشاهد» ولاتقرأ ، فليس فيها كلمات نقرؤها . . قال : هذه العبارة بلغة غير العربية ، التي لم يكن يومئذ يتقنها بسبب ظروف خاصة به ، إذا كان يعيش حتى هذه السن خارج الوطن ..

وذكرته يوماً بهذه الحكاية التي لم يذكرها بالطبع ، وكنا نشاهد مباراة في كرة القدم وكان قد أتقن لغته الأم بشكل جيد ، وتأكد لي ذلك عندما سألته :

حين تحلم ، بأي لغة تتكلم ؟

أجاب : باللغة العربية طبعاً . .

وأثناء مشاهدة المباراة ، قال المذيع الذي يصفها :

فلان « قرأ» اللعبة !.

وضحك الصغير ، وقال لي :

لا نقرأ الكتب فحسب ، بل هانحن نقرأ اللعبة ونقرأ المباريات !

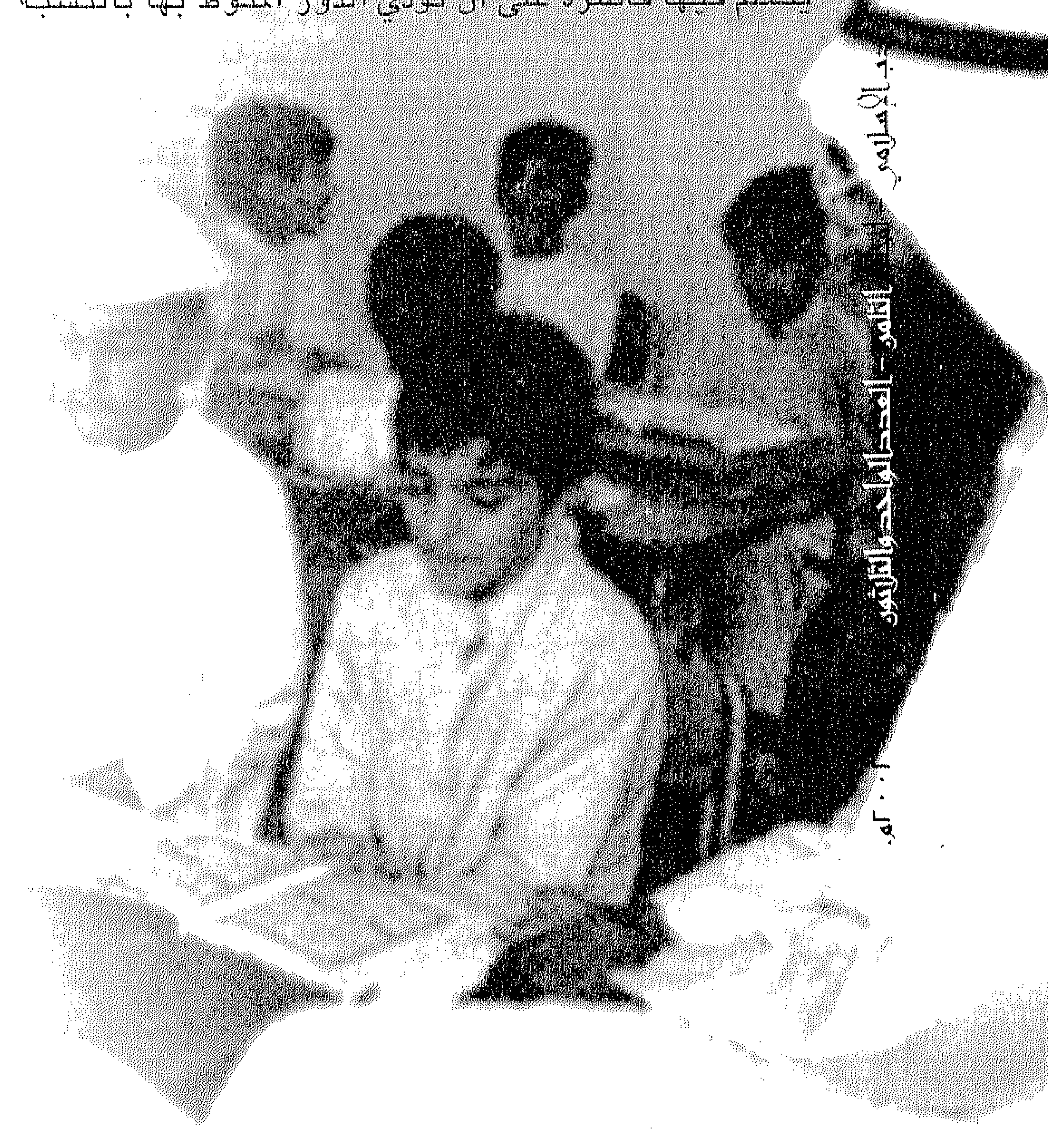
لقد أصبح متنبهاً لاستخدامات الكلمات في اللغة ولم يدرس بعد الصفة ، والحال ، وظرف الزمان ، وظرف المكان ، والتشبيهات ، والاستعارات بأنواعها ، والمدرسة التي يتعلم فيها قاصرة على أن تؤدي الدور المنوط بها بالنسبة للغة العربية ، لذلك تعين علينا أن نقوم به في البيت ، من خلال معلم ضليع ، استطاع أن يحببه فيها ، ويقربها إليه ، ويحببها له . . بجانب العناية الخاصة التي يوليها أفراد الأسرة إذ هم يحاولون سؤاله حين ينطق بكلمة عن مرادف لها بالفصحى ، فضلاً عن تدريبه على استخدام المعجم ، ويجد في ذلك متعة كبيرة ، إذ تدهشه المعاني العديدة للكلمة الواحدة وتذهله «دسامة الكلمة» ، إذ إن العصر وسع من هذه المعاني وأصبحت الكلمات لها دلالات أكبر بكثير من معناها الأصلي والمباشر ، وأضحى متنبهاً بالذات إلى الفكاهات «اللفظية» وقادراً على فهمها ، بل وأحياناً يستطيع أن يبدعها من عندياته ، خاصة عندما نحاول من جانبنا أن نلعب بالكلمات ، لنكتشف إلى أي حد يفهمها ويدركها ، خاصة حين تعوزه كلمة عربية يحاول أن يجدها ويلقى في ذلك صعوبة ويضطر للسؤال عنها ، ويضيق إذا لم يجد لها مقابلاً في كلمة واحدة ، حين نستطرد في شرح معناها ، والأمثلة على ذلك كثيرة خاصة فيما يتعلق بالمبتكرات الحديثة ، والتكنولوجيا ، والكلمة ذاتها . .

(٢)

هذا الحديث عن معاجم الأطفال وأدبهم طال إلى أن اقترب مما أريد أن أطرحه فيما يتعلق باللغة المستخدمة في هذا الأدب . . والمعروف أن للطفل أربعة معاجم أو قواميس : قاموس للكلمات المستخدمة باللهجة العامية المحلية في الحياة اليومية ، وهو واسع حين نتحدث بها إليه ، وقاموسه الثاني حين يعبر نفسه بهذه اللهجة ، وهو أضيق من الأول .. والقاموسان الآخران حين يقرأ بالفصحى ، وحين يكتب بها ..

وأريد أن أركز هنا على لغة الأدب الإسلامي بالذات وبالتحديد .. وعلى مفرداتها ، وحصيلة أطفالنا منها في العالم الإسلامي والوطن العربي ، حصيلة بالغة التواضع ، في الحياة اليومية – وأعتقد أن هذا ليس بصحيح في الجزيرة العربية ، وبالذات في المملكة العربية السعودية – والكتب الدينية التي يقرؤها أطفالنا في المناهج الدراسية تحاول أن تعلمه فروض دينه وأركانه ، في لغة مباشرة ، وليس في لغة أدبية ..

وهو أمر يشغلني كثيراً ، ويجعلني قلقاً ..



إن الثروة اللغوية لأطفالنا، وقاموسهم غاية في التواضع إذا قيس بثروة الأطفال الذين يتكلمون لغات أخرى في البلاد المتقدمة خاصة وحصيلة الطفل الإنجليزي في سن العاشرة تزيد على عشرة آلاف كلمة، عندما جمعوها وأحصوها، وقد تزيد على ذلك لأنهم يعرفون كلمات يخفونها عن ذويهم، خاصة فيما يتعلق بالذكر والأنثى، مثل كلمة «المضاجعة» التي تتكرر في ترجمات الأفلام.. أما ثروة أبنائنا اللغوية، عندما تقاس بما لدى أقرانهم فهي قليلة ضئيلة، وفي محاولات دؤوبة من د. محمد محمود رضوان لحصرها وجد أنها لا تصل إلى النصف.. وحاولت د. ليلى كرم الدين في قاموس لها عن الكلمات الشائعة على ألسنة الأطفال ما قبل المدرسة أن تحصرها وتعدها، مع محاولة أخرى للأستاذ عويدات في الأردن، وإذا بها أكثر ضآلة.. لكن د. عبدالله الدنان في سوريا فتح بابا رائعاً لإثراء هذه اللغة لدى أطفال الرياض، عندما أنشأ لهم روضة لا يتحدث أبناؤها بغير الفصحى، وقد بهرني ذلك، خاصة وأنه لم يكن قط ذا أثر كبير على لهجة الحياة اليومية، حتى لقد صار هؤلاء الصغار يتحدثون الفصحى في البيت مع أسرهم، بل ويعلمونهم إياها.. وعندما بدأت ألعب معهم بظلال أصابعي لأقدم صوراً للحيوانات عرفوها، وعندما سألهم أستاذهم الجليل:

لماذا يفعل معكم كاتبنا هذا الذي يفعله؟

رد طفل لايزيد عمره على خمس سنوات:

هو يداعبنا (لقد تجاوز حتى كلمة يلاعبنا)!

سأله: لم يفعل هذا؟ لماذا يداعبكم؟

كان الجواب: لأنه يحبنا.

أسعدتني التجربة، وفي كل مرة تعوزني الكلمات البسيطة خلال الكتابة لأنني أريد أن أصوغ كتاباتي من كلمات داخل قاموس الطفل في القراءة -أقول لنفسي:

كثيرون يجاملونني حين يقولون إن أسلوبي العربي وأدبي للأطفال يكتب بشكل متميز! لكن هؤلاء لايدرون كم المعاناة بحثاً عن كلمات بسيطة، مفهومة لهم، وكم يهبط هذا بأدبي وعباراتي، لأنني غير قادر على إيراد كلمات هي أفضل وأكثر ملاءمة..

وعندما أعجز في العثور علي كلمات مفهومة، وعبارات ميسورة ألجأ إلى المرادفات، وبعضهم يرى فيها إضافة ومحاولة لإثراء لغة الكتابة الأدبية للأطفال، وقد يجد فيها آخرون إطناباً وتكراراً يفسد هذا الأدب.. والأمر في الكتابة الإسلامية الأدبية لهم أصعب كثيراً، لذلك أناشد أساتذة اللغة عندنا أن يصنعوا لنا معجماً عربياً للكلمات التي نحتاجها في كتاباتنا الإسلامية لهم، لشرح ما لا يسهل عليهم فهمه.. نريده معجماً مبسطاً، سهلاً يعيننا، بل ويساعد الأبناء على فهم معاني هذه الكلمات، خاصة ونحن لانستخدمها مصورة، بل في تراكيب وعبارات قد تتسبب في إعاقة فهمهم لها، واستيعابهم للمراد منها وبها، ولسوف يتسرع البعض فيعقب قائلاً:

ليس هناك مثل هذا المعجم للكبار.!

وأناشد هؤلاء بألايتعجلوا، لأن للكبار خبرات عريضة وواسعة، ويستطيعون بها فهم ما يقرؤون، أما الأطفال فليس أكثر من الكلمات التي تستغلق عليهم، خاصة إذا ما وردت في نص قرآني، وفي آيات كتاب الله.. وليس لدينا تفسير للقرآن الكريم يمكن للأطفال قراءته في سن مبكرة، ولست غافلاً بالطبع عن تلك المحاولة التي لم تتكرر والتي أصدرتها دار المعارف في مصر، وهي فيما يقترب من أربعين كتاباً، لا أظن أن طفلاً دون الخامسة عشرة أو السادسة عشرة قد قام بقراءتها.. وما قبل هذه السن، نشرح لهم بعض الآيات في حجرة الدراسة تيسيراً لهم على فهمها وحفظها..

الثروة اللغوية لأطفالنا في غاية التواضع إذا قيست بما لدى غيرهم في اللغات الأخرى

وكما قلت: إذا كانوا يطلقون عبارة «أدب اللغة على الكتابة الأدبية، وتشمل ما يكتب للأطفال، كيف السبيل إليه، واللغة صعبة، غير مفهومة لهم؟!..

إنني أورد كلمة «فقيه» في كتاباتي، وأطفالنا في مصر يفهمون أنه هو الذي يتلو آيات القرآن الكريم، وليس على أنه المتفقه في الدين، كما أنني لا أستخدم كلمة «الفقه» إلا نادراً، وأحاول شرحها، بينما يدرس الأطفال في عدد من بلدان الجزيرة العربية والسعودية خاصة «الفقه الإسلامي» ضمن مقرراتهم المدرسية.. والسؤال: كيف السبيل لأدب إسلامي حقيقي، وهذا هو الموقف من لغة كتابته؟.



(٣)

اللغة العربية من أدوات الكاتب الأساسية

لست أدعي أنني من دارسي «اللغة العربية» ، بل إنني أقف على شاطئها ، ولا ألقي بنفسي في بحارها ، لأنني لا أجيد السباحة فيها ، لكنني واحد من عشاقها ، ومحبيها ، كما أنني لا أكتفي بها تعاملاً مع الحياة اليومية فحسب ، وإنما هي من أدواتي الأساسية والرئيسية ، إذ أعتمد عليها كل الاعتماد في كتاباتي للأطفال ، وبدونها أكون صفر اليدين في عملي ، وفني ، ومن خلال ممارستي لها يرى البعض أن لي جانباً من القدرات في استخدامها ، بل و«ممارستها» - إن صح التعبير - وأقول : إن علماء اللغة لدينا لم يساعدونا بقدر كاف على القيام بمهمتنا وأداء دورنا لا على مستوى الأدب العام الذي نكتبه لأطفالنا ، ولا على مستوى الأدب الإسلامي بالذات.. إن لهم خبرات واسعة شاسعة باللغة ، ونريد أن يضيفوا إليها خبرات خاصة بلغة الأطفال عامة ، واللغة الأدبية التي نخاطبهم بها في كتبنا ، بشكل خاص ، إذ على حد علمي مازلنا بحاجة إلى طائفة من هؤلاء ، ويحضرني بهذه المناسبة رجل أو عالم لغوي إنجليزي ، عرفنا اسمه ونحن بعد أطفال في مدارسنا الابتدائية ، إذ درسنا الإنجليزية على كتبه الشهيرة وأعني به «ميكل وست» صاحب القاموس الخاص بالأطفال وهو قاموس شهير جهير ، ومعروف بشكل كبير للذين يتعلمون الإنجليزية من غير أبنائها ، وأحتفظ بهذا القاموس إلى يومنا هذابجانب القاموس الأمريكي «ويبستر» الذي لايقل عنه شهرة ..

- وكان لي حظ زيارة بيته ومكتبه ومتحفه ، بل سمحوا لي بالجلوس إلى مكتبه ، لأن متحفه من تلك المتاحف التي يمارس زوارها «لمس» أشيائها ، والإمساك بها - وقد أعطى كل منهما جهداً كبيراً للغة الأطفال ، وبسّط ويست عشرات من الأعمال الأدبية الشهيرة ، لتكون في حدود ألفي كلمة فحسب ، ومكننا ذلك من قراءة الروائع في سن مبكرة .. لكنهم نبهونا إلى أن ذلك لمجرد فتح شهيتنا نحوها ، وأنه لابد لنا عندما نكبر من قراءتها .. وعندما أصبح ويست كبير السن جاؤوا له بمن يخدمه من الشباب ، على أن يدربه على هذا العمل ، وقد نجح واحد منهم اسمه (توود) في أن يخلف أستاذه .. والحق أن خدماتهم للغة والأدب جديرة بالاحترام والإجلال!

ولن ينسى التاريخ ما قدمه هؤلاء العلماء اللغويون من جهد للأجيال الجديدة الناشئة .. والسؤال :

ماذا عندنا في هذا المجال؟

ألا نشعر بأننا مقصرون في حق لغتنا رغم ترديدها بأنها لغة القرآن الكريم؟..

إن قراءة قصيدة حافظ إبراهيم عن لغتنا وهي تنعى حظها كفيلة بأن تشعرنا بالذنب ، والإحساس بأننا أمام أجيال أصابها العيّ ، لابد أن يثير أشجاننا ، وقد صار من الضروري أن يلبي البعض احتياجاتنا في هذا السبيل ، خاصةً فيما يتعلق بالمصطلحات الدينية الإسلامية.

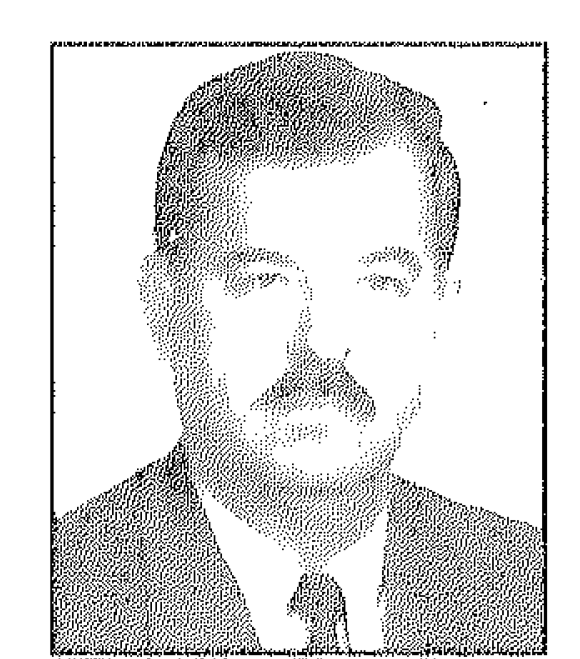
إن وزارات التعليم - على مستوى العالم الإسلامي والعالم العربي- مطالبة بأن تشجع الاتجاه إلى عمل هذه المعاجم ، وهو عمل جماعي يصعب كثيراً على الأفراد القيام به متفرقين ، كما أن دور النشر قد تتقاعس عن إخراجه إلى النور .. وكنا ونحن أطفال نعتمد على «مختار الصحاح» لأبي بكرالرازي ، ويعتمد كثيرون الآن على «المعجم الوجيز» الذي أصدره المجمع اللغوي في مصر ، ويكفي للتدليل على أهميته ، وسعة انتشاره ، أنه يطبع منه سنوياً ربع المليون من النسخ ، وأنها تجد طريقها إلى من يقتنيها ويستخدمها .. واللغة كما نعرف كائن حي ، يولد ويكبر ، وينمو ، ويشمخ ، ولا نقول «ويموت» بالنسبة إلى لغتنا العربية ، فإنها باقية خالدة ما بقيت الأرض ومن عليها ، وبفضل القرآن الكريم ، ولكننا في مرحلة أشبه بتلك التي مرت في ضحى الإسلام حين استشهد عدد كبير من حفظته ونقلوا هذا إلى سيدنا أبي بكر - رضي الله عنه - فاستطاع أن يجمعه مكتوباً على الجلود والعظام ، والحجارة ، ومن صدور الذين يحفظونه ، لكي تكتب في ستة مصاحف أيام سيدنا عثمان «رضي الله عنه» لتوزع على الأمصار ..

> **ألا نشعر بأننا مقصرون في حق لغتنا رغم ترديدنا بأنها لغة القرآن الكريم؟؟**

اليوم .. اللهجات المحلية ، والكلمات الأجنبية ، تهدد لغتنا ، وعلينا أن نتصدى لذلك ليبقى لسان العرب ويبقى حماة اللغة شاهرين سلاحهم للمحافظة عليها والدفاع عنها ، من أجل أن تنطقها الألسن صحيحة ، ولكي تكتبها الأقلام سليمة ، خاصة فيما يتعلق بالأطفال ، وقد تصفحت كتب اللغة ، والتي أحتفظ بالكثير منها في مكتبتي ، من أجل أن أستعين بها ، مراجع لموضوعي ، وقرأت العديد منها منذ سنوات بعيدة ، ووجدت فيها مادة سخية عن اللغة : د.إبراهيم مدكور ، د.إبراهيم أنيس ، د.شوقي ضيف ، وأيضاً د.صلاح العربي ، و.. ، و.. إنها عشرات من أسماء أساتذة أجلاء ، من بينهم أيضاً د.كمال بشر و د.صلاح فضل وأيضاً فاروق شوشه - وقدموا لها خدمات جليلة - غير أنني لم أعتمد على ما قرأت ، بقدر ماقلت مما عندي ، مرجئاً ذلك إلى مناسبات أخرى ، مكتفياً في هذه المرة بإثارة القضية.. لأنني أعلم يقيناً أنها لايمكن أن تكون مهمة كاتب أو باحث في أدب الأطفال ، لأنه مجرد طرف ، وهناك أطراف لابد أن يسهموا في النقاش ، بإضافة ما لديهم .. ويعلم الله كم هي الأخطاء اللغوية التي «ارتكبتها» وأنا أتحدث عن قضية اللغة ، وأعرف أن كثيرين - لست من بينهم والحمد لله - ينطقون كلمة لغوي بفتح اللام وهم يتحدثون عن اللغة ..

وينقلب المعنى رأساً على عقب ، ولعلي لا أكون قد وصلت بما كتبت إلى هذا الحد ، وكل ما أتطلع إليه أن نعطي اللغة مكانتها في أدبنا للأطفال عامة ، ولأدبنا الإسلامي لهم بصفة خاصة ، لكي نصل به إليهم ، ولكي نقوّم ألسنتهم التي بدأت تعوج ، وأقلامهم العاجزة عن الكتابة الصحيحة إملاءً وإعراباً ، فضلاً عنها إنشاءً وتعبيراً..

مواكب النور



شعر : مصطفى عكرمة
- سورية -

تسابق موكب النور ... إلى تأديب نقفور

طغى في حكمه وبغى ... وحالف كل مسعور

وعاش مؤملا نصرا ... يسيرا بعد تدبير

وأرسل ساخرا منا ... يهددنا بتدمير

فرد رشيد أمتنا : ... «لكلب الروم نقفور

ترى ردي غدا ، وأنا ... أقود مواكب النور»

وسار فماجت الدنيا ... بتهليل ، وتكبير

فزلزل عرش نقفور ... ودك معاقل الزور

وأرسى الحق مقتدرا ... وحكم خير دستور

فغرد طفلنا فرحا ... وقرت أعين الحور

****

وها قد عادوا أسفي ... علينا ألف نقفور

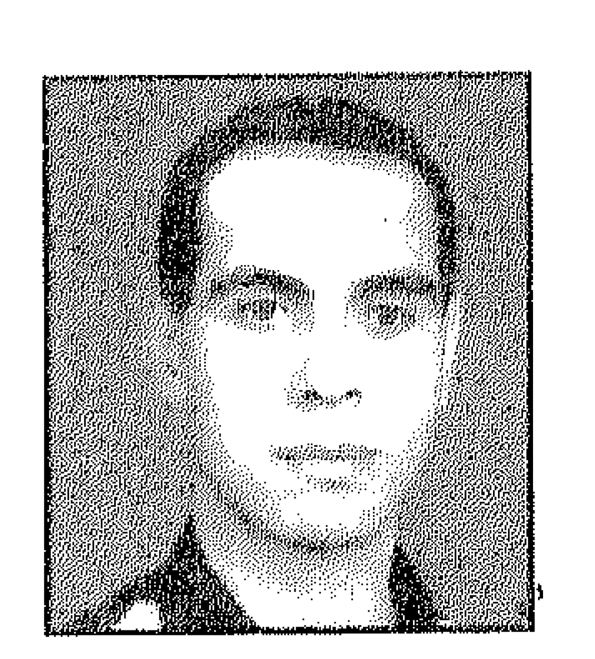
يؤمل محو توحيدي ... بتهويد ، وتنصير

ومن عجب نريه لما ... يؤمل كل تبرير

فأين رشيدنا الثاني ... وأين مواكب النور ؟

يقين الرؤية .. في حدائق الصوت .. للشاعر : د. حسين علي محمد

دراسة نقدية



محمد عبدالباسط زيدان
- مصر -

اليقين أو الإبداع :

اليقين في أبسط صوره هو تجريد كلي للموقف دون إيثار يحمل هذا الثبات الروحي النافذ إلى جدل الروح والقلب وصولا إلي جدل اللغة ومراميها وتجلياتها ..والموضوعية التي هي من أنسجة اليقين تعمل على سد الفراغ بينه وبين ما ينتج عن الانحياز من ترهل في الرؤية وخضوع موطوءلغياب الموقف ..؛ولعل هذا اليقين ينفتح أمام الشاعر إذا كان لا يحس الرد الوثاب بين الكلمة كيقين وبين الموقف كسلوك -عملي - يرتبط بعملية الإبداع وخصوصيتها ومجالاتها المتفردة.

والشاعر حسين علي محمد أحد أقطاب اليقين الرؤيوي القائم على نزع الجدل وأنصاف الحلول للوصول إلى فضاء مباغت من خلال القصيدة -وذلك ناتج عن وعيه بما يكتب ولمن يكتب - هو ونفر قليل معه ، وديوان حدائق الصوت الصادر من الزقازيق بمصر ١٩٩٣م هو جماع الموقف الشعري ليقين الشاعر ومرحلة متوهجة من إبداعه المستمر منذ عشرين سنة .. ولذلك فهو يمسك جيدا بأطراف العملية الإبداعية القائمة على إيجاد اللغة الشعرية - البعيدة عن إطار التقليدية التي تزهق روح القصيدة ، بالإضافة إلى تمل حقيقي لموقفه المتحد بدوره برؤية كلية لقضايا الإنسان المعاصر متحدة بهذه الرؤية ومنسجمة مع قضايا الذات الشاعرة وتجلياتها وأحلامها وتطلعاتها .. ولتحديد هذه الافتراضات غير الجدلية نجد أنفسنا أمام إطارين هامين من الأطر الكثيرة التى يمكن أن نتناولها داخل المجموعة الشعرية.

الإطار الأول .. هو إطار الموقف وفيه قد مزج الشاعر بين المشهد الكلي لموقف الإنسان العربي المعاصر وتساؤلاته ، وبين المشهد الخاص القائم على تملي الذات من خلال حلم كبير تنصهر فيه الجلود والعظام ، وتنبجس منه عين ماء تتضافر فيها الأيدي وتتوضأ منها القلوب والأرواح ..فلا بد من طرح الفكر حتى يحس الشاعر بصوته وهو يقرع الآذان في مواجهة الموقف المسيطر من الخارج دخولا في بوتقة الحلم ...

الهم الجمعي :

ولعل تقسيمات الديوان الأربعة تجلي هذه النقطة ... وكيف مزج الشاعر إطار الموقف بالحلم بحيث لا نستطيع الفصل بين الذات والموضوع فنجد « حدائق الصوت - زهور بلاستيكية - من دفتر العشق - تجليات الواقف في العراء » وبها تتضح محددات المشهد الشعري عند حسين علي محمد واستبصاره جيدا لموقف الانفلات من الذات المحطمة أحيانا لإمكانات الشاعر إلى الدخول في الهم الجمعي الذي ظل يؤرق الشاعر .. كما يحدثنا في قصيدة « ثرثرة في كراسة عنترة »من تقسيمه الثاني « زهور بلاستيكية ،

ما يو يطوي صفحته السوداء
يحاول أن يقتلع جذور الحزن من القلب
ويعشق عنترة الحرف
يحاول أن يهرع للقران
ويجري في الطرق الوعرة
تنطلق الشمس حصانا يجتر
جبالا ومفاوز (١)

فبمجرد استدعاء عنترة بدلالاته التراثية ومخاوفه وأحزانه ومحاولته أن يهرع للقرآن يفجر القضية المحورية عند الشاعر ، كما أن الإحساس بالهزيمة أو الانهزام الذي يرزح تحته معظم شعراء جيل حسين علي محمد والأجيال التالية لم يعد إحساساً هلاميا ناتجا عن تحولات في الذات أو لموقف متوغل في الانغلاق والغموض ، ولكن الوطء الذي تكب تحته الأرواح بين جدران الأرض الوطن أدخل الإحساس الملازم لقضايا الإبداع وخاصة في مصر فهناك من الشعراء من يبوح بذلك في القصيدة بوحاً تاماً ويضمها للموقف ، الشعري ، ومن الشعراء من يلوذ بالصمت والانغلاق والتستر وراء الكلمات والتخوم والأطلال التي تعبث بظلال القصيدة (لذلك تتبدى كما لو أنها حركة اجتياح لما يظل محتميا بالصمت لا يطاله الكلام العادي،أو حدث استدعاء للغياب الكامن في الحضور) (٢) وشاعرنا يبوح بذلك كما لو يبدو مؤمنا - وقد بدا فعلا - بعدم الصمت والانغلاق والتستر وراء اللغة

أتسكع
تحت الجدران
وحيدا
منهزما
أمشي
بين قوافل غزلاني
أحرف شعر
أقطر حزنا

ودما
هذي سنة الحزن
لماذا لا تؤويني الكلمات
بمحراب هواها
جراحا ملتئما (٣)

وضوح الرؤية :

وهكذا ينفتح فضاء القصيدة لتبدو رؤية الشاعر واضحة جلية دون خوف أو مراوغة أو حجب ، ولكنه فضاء يوحي بسطوة هذا اليقين الذي افترضناه في البداية - وإذا تحدث الشاعر عن الجواد المكسور - تجليات الواقف في العراء ، والطوفان ، ومدن الوهم وأقوال غيلان ، فإن موقفه يبدو ساطعا في إطار همه الذاتي أوتكون الذات هي المحور الذي تنطلق منه تجلياته نحو المستقبل والإنسان ونحو اللحظة الشعرية ومكاشفة الواقع - ومزج الخيال بالحزن - والحزن بالرغبة المسيطرة في حلم نظيف.

يبقى أن نقول في إطار موقف الشاعر الدكتورحسين علي محمد أن التصنيف الأدبي حيال نصوص شاعر مثله لم يعد صحيحا لأنه يجمع في النص الواحد اشتعالاته المتطايرة ، بمرايا الماء الراكد ، وأنفاسه اللاهثة بلحظات النشوة من صراع دائم مع الحزن والعبقرية - والرحلة والتفوق فلا مجال إذن للتصنيف أو غيره والتصنيف الذي أعني ليس التصنيف المذهبي «كحركة أدبية تقوم على وجود نظرة محددة للكون والحياة والإنسان .. والمجتمع المحيط .. كما يقول د. شكري عياد (٤) ولكن تصنيف الرؤية واحتكار الشعراء بين الرومانسي والواقعي لم - يعد هذا أوانه -

أما - **الإطار الثاني** - وهو إطار اللغة فإنه يعد في حدائق الصوت الوحدة الحية التي جمعت بين صرامة طرح الفكر وبين روعة البناء الشعري ...، وفيه أيضا تتحطم أغلال الملل من الصور الكلاسيكية الميتة ، وبعدا عن رضوخ الشعراء للألفاظ المعجمية التي تحجب الرؤية ..

والصورة في الديوان تحمل كثيرا من دلالات نفسية ناتجه عن تجانس - الصوتي مع الاختيار الأمثل لحركة الفونيمات والمورفيمات بين ثنايا النص - وبين الوعي بحركات الإعراب والمد كما في "صرخة أولى"

يباغتني توهج لفظها
النشوانى
بين شقائق النعمان
والريحان
أغنية .....مواويلا (٥)

فمن ناحية لا يخيب طموح القارىء في رصد حركة التوقع التي تأتي أحيانا من تراث القصيدة العمودية .فلا يحرم النص من إيصال التجانس اللفظي إلى مسامع قارىء ليس له شغل كبير بالشعر الحديث .

إلى جانب تصفية الأسلوب ورغبة المباغتة في قوله:
« أغنية .. مواويلا » بما يحمل المعنى من ترادف، ولكن مع وجود فاصل البياض - الذي يعكس بدوره حركة النفس - وأيضا في قوله :

وفيها العصف
فيها القصف

وهكذا ينمو لدى الشاعر إحساس بتوهج المعنى من خلال تبادل المواقع بين الصوامت المجهورة في اللغة العربية ، أما الإضافات التي تحمل ظل الحداثة الشعرية في إطار اللغة أيضاً ، وتجاوز البعيد وبعد القريب ، مع التجسيد والتشخيص- وتراسل الحواس والدلالات المتناقضة في الصورة الشعرية القائمة على تملي الواقع والحلم .. ومحاولة المزج بينهما ، فهي كثيرة مثل

- فتحت السترة للريح ، وبحت، رأيت القلب ، أبصرت الماء - يحاور قيظي ..والحلم ...الأخضر يجتاح الجسد ..(٦)

حدائق الصوت
شعر
د. حسين علي محمد

د.حسين علي محمد

وهكذا تحس ببدائية اللغة وبداوتها في آن واحد ، وسيولتها وحركتها وعصريتها بعيدا عن اقتناص الصور القديمة والسطو عليها ، وبعيدا عن البهرجة اللفظية القائمة على الشكلانية الموغلة من الانغلاق بحيث يصبح النص مجرد لغة فقط . .

وبعد : فإن حدائق الصوت - ديوان جديربالدرس والقراءة لشاعر من شعراء السبعينيات في مصر.

---

١ - حسين علي محمد- حدائق الصوت - دار الأرقم بمصر - ١٩٩٣م صـ١٢٨ ـ.
٢ - محمد لطفي اليوسفي - لحظة المكاشفة الشعرية - الدار التونسية للنشر ١٩٩٢م صـ٢٣ ـ.
٣ - الديوان السابق : صـ١٥١ ـ.
٤ - شكري محمد عياد . المذاهب الأدبية والنقدية - عالم المعرفة سبتمبر ١٩٩٣ صـ٦٢ ـ.
٥ - الديوان السابق صـ١٨٣ ـ.
٦ - الديوان السابق صـ١٨٧ ـ.

■ نشرت المجلة دراسة سابقة عن ديوان حدائق الصوت في العدد ٢١ صـ٦٢ـ . التحرير



الأدب الإسلامي والدور الحضاري

د.عبدالعزيز إدريس الخطابي
- المغرب -

لايماري أحد في أن اهتمام بعض اتجاهات الصحوة الإسلامية بالخطاب السياسي أو العمل التربوي بمفهومه الضيق المنحصر في التربية الروحية فقط - قد فوت عليها فرصة استغلال أهم قنوات الدعوة و التغيير ، وجعلها تهمل واحدا من أهم جوانب الصراع والمواجهة بين الإسلام والآخر..... ذلك هو الميدان الفكري الثقافي الذي يعج بنظريات وطروحات تطلع عليها في كل يوم بجديد ، وتهدف إلى كسب المزيد من المؤيدين والأنصار.

وإذا كان الخطاب الفكري متعدد الأشكال والأنواع ،فإننا هنا سنقصر الحديث على الأدب الإسلامي بصفته مجالا لم يحظ بما حظيت به المجالات الفكرية الأخرى ، ولم يلق من الاهتمام ما يستحقه كخطاب مؤثر يخاطب العقل و الوجدان معا ، ويسعى إلى التغيير بطرق جد سليمة.

ولقد كان الأدب أحد الأسلحة التي اعتمدها الآخر في محاربته الإسلام ، فكان للغزو الثقافي الأثر الفعال في محاولة طمس معالم الشخصية الإسلامية المتميزة ، والميل بها عن جادة الصواب. فقد عملت الآداب الوافدة على محاربة كل القيم النبيلة ،والتشكيك في ثوابت الدين وتكريس الهزيمة لدى الإنسان المسلم ... ولا غرابة في ذلك لكون هذه الآداب تنبثق من فلسفات ورؤى تخالف الإسلام منطلقا وهدفا، وقد كان لذلك أثره الذي استمر لعقود طويلة من الزمن في غياب حركة أدبية مقنعة وجادة، بل لم يكن الأدب يعني لدى بعض الفئات سوى ضرب من الترف الفكري ، ولم يدر بخلد هؤلاء أن الأثر الذي يحدثه الأدب في النفوس أفتك وأشد خطرا من ذلك الذي تحدثه الأسلحة في الأجسام. هذا في الوقت الذي اعتمد فيه الآخر على الأدب كسلاح تم اختياره بناء على آثاره المذهلة التي ثبتت فعاليتها بمرور الزمن .. وهو ما أدى إلى إنتاج طبقة من المثقفين انهزموا حضاريا ، فأخذوا يرددون ما صدره إلينا الغرب دون تمحيص أو نقد ، مشككين في ذات الوقت في قناعات الأمة الروحية وقيمها ومبادئها.

في خضم هذا الواقع المرير ، كان انبعاث الحركة الأدبية الإسلامية أمراً لازما وطبيعيا للإسهام في تحديد وتجاوز صعوبات المرحلة الراهنة التي تعرف فيها الأمة انتكاسا لم يسبق له مثيل في تاريخها، ولإعادة الثقة إلى النفوس التي أعياها طول التجوال بين هذا المذهب أو ذاك .

يقول محمد العروي :"إن أمامنا اليوم أفكاراً عديدة وأقلاما وكتبا جديدة ، وأدبا يدعونا إلى مواجهات كل ذلك ، حتى نبين لهم زيف

الأدب الإسلامي - المجلد الثامن - العدد الحادي والثلاثون ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مذاهبهم وافتراءاتهم من جهة، وحقيقة الإسلام والإسلامية من جهة ثانية، وعندها نكون قد استجبنا للتحديات استجابة تليق بهذا الأدب المنشود». (١)

إن الحرب الأدبية جزء من المعركة الحضارية الكبرى رحاها الآن بين الإسلام والآخر ... بل لعل هذه الحرب الأدبية والفكرية عموما هي الأخطر والأشرس، وهو ما ذهب إليه الأستاذ عمر حسنة حين قال (٢):« لقد أصبح من الأهمية بمكان أن ندرك أن الصراع بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة أبدي، وأن المعارك الفكرية بأساليبها الفنية المتعددة هي الأخطر في حياة الأمم وبنائها الحضاري، وأن الساحة الفكرية هي الميدان الحقيقي للمعركة ».

نعم لقدآن الأوان لكي ندرك ذلك، ولنضرب بعرض الحائط تلك الآراء التي تذهب إلى عدم جدوى الأدب، وأنه مضيعة للوقت ليس إلا ... »

لقد كان الأدب ولايزال خير معبر عن هموم الأمة وآمالها وآلامها، وأصدق ناطق بلسانها في فترات القوة و الوهن على السواء. لم يخفت صوت الأدب أبدا، بل ظل صداحا قويا حتى في أحلك فترات تاريخ الأزمنة التي لا تطرقها أقلام المؤرخين إلا لماما، ولم يقف الأديب أبدا في برج عاجي ..بل كان حاضرا، جسد الواقع، وكشف عورته وسعى إلى إصلاحه وتغييره، فلم تكن مهمته تصويرية مع شيء من الحياد، وإنما اكتوى بنار الجراح، فيظهر ذلك على إبداعاته جليا واضحا.

ورغم ذلك، فقد خف اهتمام الناس بالأدب - كما سبق - نتيجة انعدام الوعي بهذا السلاح ومدى خطورته، يقول نجيب الكيلاني :«إننا - كإسلاميين - لم نعط الأمر حقه من الاهتمام، ولم ندرك أبعاد الآثار الفعالة للأدب بصورة صحيحة، فأغفلنا سلاحا من أهم الأسلحة في المعركة ...(٣).

ولكن هذا لاينفي وجود طبقة من الأدباء الإسلاميين، أدركوا القيمة الحقيقية للأدب فكرسوا حياتهم لخدمته، وخاضوا الطريق الشائك الصعب بإصرار متجاهلين الحواجز التي تعترض مسيرتهم، وقدموا نماذج رائعة في كل المجالات الإبداعية، لم تحظ باعتراف وقبول النقاد الإسلاميين فحسب، بل حازت على اعتراف نقاد كبار على المستوى العالمي (٤)خصوصا بعد أن طالت حركة الترجمة عديدا من النصوص الإبداعية الإسلامية، وهو ما أتاح لهذا الأدب تجاوز الحدود الجغرافية، والتعريف بنفسه، وتعدى الأمر إلى تصنيف نماذج منه ضمن روائع الأدب العالمي(٥).

لقد صار من اللازم والضروري إعطاءالأدب ما يستحقه من مساحة حتى يعود ليلعب دوره الحضاري كما كان عليه من قبل، وإن ذلك هو الكفيل بتصحيح الصورة النمطية «التي رسمتها العديد من الأجهزة في الغرب عن الإنسان المسلم (٦)، وإعطاءصورة صحيحة صادقة عن النموذج الحضاري الإسلامي الذي تتعطش إليه الأجيال غربا وشرقا، ..وبالتالي عدم إهمال أحد أهم الأسلحة في المعركة الحضارية الراهنة.

---

(١) جمالية الأدب الإسلامي: صـ ٢١١ .
(٢) في تقديمه لكتاب نجيب الكيلاني :«مدخل إلى الأدب الاسلامي » صـ ٧ ـ.
(٣) السابق نفسه صـ ٦٤ ـ.
(٤) قرأ بعض النقاد روايات للكيلاني، فقال هذا أدب عالمي.
(٥) رواية «السنوات الزهيبة » لجنكيز ضاغجي، على سبيل المثال لا الحصر.
(٦) انظر كتاب محمد شنومان :«العرب والغرب » منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا.

قصة قصيرة

السفر إلى زمن العودة !!

بقلم / محمد عبيد محمد
- مصر-

كان الأطفال ينتظرون بأجسادهم الصغيرة شبه العارية خارج الخيمة عندما وصل إلى آذانهم نداء شيخهم المعلم.

استجاب معظمهم وأسرعوا إلى الخيام المتناثرة، وعادوا حاملين مصاحف وأوراقاً قديمة، وأقلاماً قصيرة.. ودخلوا فرادى إلى خيمة الشيخ الواسعة.

- كنت أقول دائماً لأطفال المخيم .. لاتشعروا بالإحباط. فالحياة مستمرة.. سنعود في يوم سعيد، أما أنا فأعلم أنني لن أرى وطني أبداً ...!!!

الأطفال يطوفون حول الخيمة.. تترقب عيونهم خروج شيء ما، بعضهم يعبث بقطع الحصى، والآخر يجلس صامتاً فوق الرمال.

- يوم ولدت طفلي في الوطن البعيد.. انطلقت زغاريد النسوة تعلن النبأ وراح الرجال يشاركون زوجي فرحته بإطلاق أعيرة مبتهجة عبر الأفق وظللنا أياماً عديدة نوزع الحلوى والتمر على صغار القرية، عادت أصابعها تنسج الخيوط الملونة في سجادتها لتصنع لوحة زاهية تبتاع بثمنها خيوطاً وأصوافاً وبعضاً من طعام فقير.

- كانت أمام دارنا شجرة عتيقة.. تظلنا وقت القيلولة وطفلنا يحتضنها أو يتسلقها مشاركاً بصوته العذب غناء الطيور.

خرجت امرأة من الخيمة .. أمطرها الأطفال بأسئلة متسرعة.. أشاحت عنهم بوجهها.. ومضت في طريقها إلى خيمة أخرى.

- أتدثر بنقابي الأسود وثوبي المزركش الثقيل.. وأسير في طريقي فرحة.. حاملة الطعام لزوجي في حقلنا القريب.. ترقبني عيناه من بُعد فيترك فأسه أو منجله.. ليستقبلني بشوق عند أريكة وضعناها قريباً من نخلتنا الباسقة.

تشابكت الخيوط .. ازدحمت في بقعة واحدة..

راحت العجوز في أناة وصبر تعيد ترتيبها.

- في صحن بيتنا ترتع دجاجات وديكة وإوزات بيض. يرقص قلبي على نغمات نقر الحب، وخوار بقرتي خلف المنزل تحثني على جلب أعواد البرسيم لها. يضحك زوجي من كثرة خطواتي في أنحاء المنزل ويداعبني في كلمات أتذكرها مشيرا إلى دجاجاتي .."لم ننجب طفلا واحدًا بل عددا من الأطفال "

عادت الخيوط إلى استقامتها ..انحنت العجوز لتكمل رسمًا بدأته لشجرة ذات أغصان وطيور، خيوط كثيرة وألوان متعددة تتطلبها تلك اللوحة السجادة.

شعرت بمزيد من التعب فوق تعب سنوات بلا هوية، آلام حادة تجتاح عمودها الفقري.

لوت يدها اليمنى تجاه ظهرها ..وضعت راحتها عليها.. حاولت أن تنتصب .

لم أنس اليوم الذي قُتل فيه زوجي وولدي! كل هذا الدم ما يزال أمام عيني. لم نكن نريد مغادرة ديارنا

حاولت إقناع الرجال بالبقاء فترة أطول.. ولكنهم ردوا قائلين: ألاتسمعين دوي القنابل من بعيد..؟ فاضطررنا للرحيل سريعاً تطاردنا أرواح موتانا الذين تركناهم تحت الأنقاض، أو دهست جثثهم جنازير دبابات فاجرة مزقت أحشاء الأموات والأحياء..

صرخة أفلتت من الخيمة.

ترك الأطفال خيمة الشيخ المعلم.. تسابقت أرجلهم جرياً...

خرجت سيدة.. ودخلتْ أخرى..!!

ـ هل جاء..!!؟؟

صنعتْ برأسها علامة النفي.

ارتسمت الهزيمة على وجه الأطفال.. وعادوا إلى الشيخ المنتظر.

- سنوات مرت بأيام متشابهة.. تجر ساعاتها بطيئة متثاقلة.. أحمل دلو الماء إلى البئر.. تقودني خطواتي إلى السوق..تقتلني عبارات المساومة وأصابع التجار الماكرة، تتفحص سجادتي باحثا عن عيوب تقلل من ثمنها القليل.. ليلا أرقب النجوم.. أجول بين ضوئها الخافت، وأزقتها الممتدة.. أبحث عن الوطن/ البيت والأهل تتيه نظراتي وترتد خجلة إلى مقلتي، وقبل أن يغلبني النعاس أرتب خيوط سجادتي المقبلة.

رفعت العجوز رأسها أخذت تطوي أصابع يديها على كفيها ثم تبسطها مرات عديدة.

نظرت إلى الخيمة البعيدة..

- لو ولدت أنثى.. سيطبق الصمت على تلك الخيمة..وتخرج النسوة مطبقات الشفاه خلف الأنقبة. انكفأت العجوز على سجادتها.. امتدت فروع شجرتها..اختبأت بينها طيور.. رسمتها بدقة ومهارة..أسفلها بدأت تزرع أعشابا خضراء، وتعيد من ذاكرتها جلسة عائلية راحلة.

قشعريرة سرت في جسدها النحيل أحست العجوز بغصة في حلقها..

انتصف النهار..ارتفع صوت جليل بكلمات الأذان الرخيم، رددتها في خشوع ،قاومت ضعفها المزمن.. سارت ببطء إلى داخل خيمتها لتتوضأ..صرخات مفزعة.. هرعت النسوة إلى الخيمة يعرضن مساعدتهن.. ابتسامة الزوج.. وضحكات الابن..تلح على مخيلة العجوز أثناء الوضوء.. تبتسم لهما..تومي برأسها، وتمضي إلى سجادة صلاتها المزركشة بزخارف إسلامية رفعت يديها المعرورقتين مكبرة..

آ يات القرآن تنساب من شفتيها.. صرخات الوليد القادم إلى الخيم من عالمه البريء أعلنت مقدمه..

تدفق الأطفال إلى الخيمة...!!!

خرجت امرأة توزع تمرات وحلوى ادخرتها الحامل طوال أشهر حملها. ركعت العجوز عالم سعيد رأته يطل من بين تسبيحاتها الخاشعة البطيئة.. الأطفال يمرحون فرحين بالحلوى، صاحت سيدة:

- هل ستجد الأم في ثدييها لبنا ترضعه للوليد..!!؟؟

سجدت العجوز..

تعانقت جبهتها والمنبر المنقوش فوق السجادة.. اختلطت التكبيرات والتسبيحات.. وتحولت السجادة إلى حديقة خضراء..



لقاء العدد:

الأديب الكبير عبدالله بن خميس:
الأدب الإسلامي ينبغي أن يكون في طليعة الأدب عندنا



ارتبط فكره وأدبه بأمته الإسلامية وهمومها، فها هو يقول: «أنا مؤمن درب الجهاد سبيله»، ويقول عن الصومال:

وما نحن والصومال إلا إخوة يشايعها حبٌ عميق وإسلامُ ذلكم هو الأديب عبدالله بن محمد بن خميس، وهو صوت سعودي أصيل، يكتب المقالة، وينظم الشعر، ويعالج البحث، ويمكن وصفه بدون مبالغة بالأديب الموسوعي. قدّم للمكتبة العربية خمسة وعشرين مؤلفاً، من أبرزها: تاريخ اليمامة، المجاز بين اليمامة والحجاز، الشوارد، شهر في دمشق، على ربى اليمامة (ديوان شعر) من جهاد قلم في النقد، الأدب الشعبي في جزيرة العرب.

أسس صحيفة «الجزيرة» قبل أربعين عاماً، وأسهم بقلمه على مدى أكثر من نصف قرن في نهضة الأدب في المملكة العربية السعودية، يحمل عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكرّمته الدولة عام ١٤٠٣هـ بحصوله على جائزة الدولة التقديرية في الأدب.

■ الأستاذ: عبدالله بن خميس

تعالوا نقرأ أفكار ابن خميس وآراءه في هذا الحوار الصريح..



حوار: عبدالله الحيدري
السعودية

*** عُرف عبدالله بن خميس بآرائه المخلصة الصادقة التي تنبع عن غيرة على اللغة العربية الفصحى، فدعا إلى إنشاء مجمع لغوي في المملكة العربية السعودية، ودعا إلى إنشاء وزارة للثقافة، ودعا إلى إحياء سوق عكاظ. إلى أي حد أنت متحمس في هذه السن لهذه الأفكار؟**

– لا أزال على ما كنت عليه سابقاً، ولا أزال متحمساً للأمور التي كنت أدعو إليها وكنت أؤمن بها، ولا أزال أدعو لها وأنادي بها، وأرى أنها من واجبي أن أتبناها وأن أدعو إليها بكل جهدي وبكل ما أتمناه لبلادي ولأهل بلادي ولمجتمعي.

*** نتوقف عند وزارة الثقافة، لماذا دعوت إليها بالتحديد؟**

– هي من الأشياء التي دعوت إليها وآمنت بها، وأعتقد أنها من الأشياء الواجبة التي لابد لنا أن ندعو لها وننادي بها، وأعتقد أن وزارة الثقافة من الوزارات الجيدة التي تتبنى العلم والتعليم، ولهذا أدعو إليها وأنادي بها.

*** وماذا عن تصورك لإحياء سوق عكاظ؟**

– سوق عكاظ هي السوق الأثيرة التي قامت في هذه البلاد ومكثت مدة طويلة، وزارها النبي صلى الله عليه وسلم، وزارها عظماء العرب وشعراؤهم؛ رمز من الرموز الأصيلة التي يُنادى بها؛ ولهذا ناديت بها، وأعلنت النداء بها مرات وكرات، ولم أزل أنادي بها حتى الآن.

* وماذا عن مجمع اللغة العربية المزمع إنشاؤه في المملكة العربية السعودية؟

- إنشاء مجمع اللغة العربية في المملكة العربية السعودية فكرة ناديت بها منذ زمن طويل ولا أزال أنادي بها، وأمل أن يكون قد تحقق، أو هو الآن في طريقه إلى التحقق؛ لأنني فهمت أنه يدرس نظامه الآن ونوديت إلى أن أشترك في الاجتماع الذي شكّل لهذا الموضوع في مجلس الشورى.

وقد نوديت من ضمن من نودي للاشتراك في تخطيط نظام هذا المجمع المزمع إنشاؤه في المملكة إن شاء الله، وماذا يكون عليه وماذا سيكون نظامه وماذا ستكون أهليته وواقعه في مجتمعنا وفي

بلادنا، التي كان من المفترض أن ينشأ بها قبل خمسين عاماً.

والخلاصة أن المجمع في طريقه للإنشاء، وسوف يرى النور قريباً بحول الله وقوته.

*** لو تم الإعلان عن المجمع فمن ترشح لأمانته؟**

- هذا أمر لا أريد أن أتعجل فيه، فالأمانة لها من لها من الرجال الكُمّل العارفين الموثوقين الذين لهم اليد الطولى في اللغة العربية وفي أحوالها وفي كل شيء عنها.

*** ظهرت في السنوات القليلة الماضية «رابطة الأدب الإسلامي العالمية»، فهل تحمل عضوية هذه الرابطة؟**

- للأسف لا أحمل عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ولكنني أتشرف بحمل هذه العضوية، وأمنياتي للرابطة أن تتقدم وتنبغ ويكون لها أثرها وتقدمها في كل مجال من المجالات، وهذه من الأشياء التي تسر وترفع الرأس، ومن الأشياء التي نؤمن بها إيماناً كاملاً، فهي في الحقيقة من الأمور التي تثري الثقافة العربية الإسلامية وترفع المستوى في هذا الجانب، وتجعلنا نعيد ما كنا فيه، ونعود إلى أصلنا، وإلى ما نرمي إليه من النبوغ في شتى المجالات التي نؤمن بها، ونتحدث دائماً عنها، ونجعلها في الصميم من الأشياء التي نؤمن بها. هذا هو الذي آمله لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

*** بما أنك من رواد الصحافة والأدب، فلابد أنك تتابع الإصدارات الحديثة، كمجلة الأدب الإسلامي، والمعرفة، والدرعية، وسواها، فماذا عن هذه المجلات؟**

- أتابع هذه الإصدارات بدون شك، وهذه من الأشياء التي نعتز بها ونعتد بها وترتفع بها رؤوسنا، وتقع عليها مسؤولية بعث هذه الأمة وجعلها ينظر إليه نظرة التقدم ونظرة الرقي.

لست نصيراً للعامية.. وهناك من يبحث عن المثالب!.

*** يُثار جدل حول مصطلح الأدب الإسلامي، فما رأيك في المصطلح الأدق فيما يُعرف حالياً بالأدب الإسلامي؟**

- الأدب الإسلامي هو الأدب الحقيقي، وهو الأدب الذي نرمي إليه، وهو الأدب الذي ينبغي أن يكون في طليعة الأدب عندنا؛ لأن من لا ماضي له لا حاضر له، وماضينا هو الإسلام، ومستقبلنا هو الإسلام وهو النبراس الذي نؤمن به، ويجب أن نتحدث عنه ونقول عنه ما نقول، ونشجع كل إنسان يتبنى هذا الاتجاه في الأدب.

*** عبدالله بن خميس ارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بالجزيرة العربية حتى سمّى صحيفته الحبيبة إلى نفسه «الجزيرة». ماذا تبقى من ذكريات حول الجزيرة (الأرض)؟**

- الجزيرة هي القلب النابض لي ولكل إنسان مخلص لهذه الأمة ولهذه البلاد ولهذا المجتمع. الجزيرة العربية هي منبع العلم ومتنزَّل القرآن الكريم ومنبع الأحاديث النبوية، والمنابع الأصيلة التي تنبع من هذه البلاد ونبعت منها وسادت وقامت وسوف تقوم.

*** وماذا عن الجزيرة (الصحيفة) وذكريات البدايات والصعوبات التي واجهتها في تلك الفترة؟**

- لابد للإنسان في الحقيقة أن ينال ما ينال في كل شيء يهم به وفي كل شيء يقوم به، وفي كل شيء يتحمس له، وينال ما ينال من هذه الأشياء التي أشرت إليها، كالأتعاب التي تكلّفه، لكن مع الصبر والتحمل ومع الإيمان بما يدعو إليه الإنسان سينال ما يهدف إليه ويرمي إليه.

*** طفت - تقريباً - الجزيرة العربية ووقفت على سهولها وجبالها ووديانها وقراها وهجرها، وكتبت في ذلك مؤلفات معروفة، كالمجاز بين اليمامة والحجاز، وتاريخ اليمامة. ومن بين القصائد التي لازال الناس يرددونها إعجاباً بها قصيدتك عن «ثادق» فما قصة هذه القصيدة؟**

- كان سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض قد دُعي لزيارة

«ثادق» وهي تبعد ١٥٠ كم تقريباً شمال الرياض، وكنت من بين المدعوين لحضور هذه الدعوة للأمير سلمان. فأعددت قصيدة بهذه المناسبة، وهذه بعض أبياتها:

تلك أحلى المنى فقبّل وعانق
وارشف الراح من ثغور العواتق
واصدحي يا بلا بل الأيك نشوى
وخِدِي نحو ربعها يا أيانق
واسكب اللحن يا حمام ورتل
لبستْ أجمل المطارف «ثادق»
هزها الشوق فاستحالت طيوباً
فصباها من نفحة الورد عابق
زارها الفضل والنبوغ فأضحت
تتهادى في رائق أو شائق
صافحت كفها المنى أين منها
وامق لفّه الزمان بوامق
كلها في فم الزمان تحايا
كلها الشعر أين منه الرقائق
الرؤى حفّلاً كانت سراباً
جادها البر فاستحالت سوابق
هذه «ثادقُ» فزرها حبيباً
واحمل الموق والقلوب الخوافق

*** بعضهم يقول: إن لغة عبدالله بن خميس فخمة وقد تكون صعبة أحياناً، لكن هذا النموذج يؤكد أنها لغة سهلة وقريبة وذات موسيقى عذبة.**

- من يقول هذا القول لاشك أن لهم نظرتهم، ولهم وضعهم هداهم الله، والمفترض أنهم يتفهمون الحقائق ويتفهمون الدقائق، ويتفهمون اللغة العربية، وكيف ينطق بها عبدالله بن خميس، وكيف يحاول أن يبثها في مجتمعه، وفي وضعه الذي يتكلم به، لا أن يتكلم كلاماً مبلولاً معلولاً لا يستطيع أن يعطي عن اللغة العربية ما يعطي عنها من صدق وأمانة وحق.

*** نأتي الآن إلى قضية شائكة نوعاً ما. بعضهم يظلم ابن خميس حين يصفه بأنه نصير العامية في حين أنك تقول عن الشعر العامي في لقاء صحفي نشر عام ١٤٠٣هـ: «أنا لا أطالب بإحياء هذا الشعر»، وقلت أيضاً: «أنا لا أدعو إلى قيامه ولا استمراره ونظمه» فما الحقيقة في ذلك؟**

- الحقيقة في ذلك أن بعض الناس - للأسف - يأتون إلى الإنسان ويحاولون أن يبحثوا عن المثالب التي يمكن أن تقال عنه أو أنه يرمى بها أو أن يقال عنه ما يقال عنه حول هذا الموضوع. الشعر الشعبي هو رمز من رموز الشعر العربي الفصيح، ولاشك أنه منه وإليه، وإذا تدبرنا الشعر الشعبي وجدناه ذلك الشعر الذي عاش في جزيرة العرب أكثر من ثمانية قرون، وسجّلته هذه الجزيرة في أدبها، وفي علمها، وفي مجتمعها، وفي آرائها، وفي كل شيء عنها. لم يمر شيء من الأشياء في جزيرة العرب له وضع وله قيمة وله أثر إلا وسجله الشعر الشعبي طوال ثمانية قرون مرت بها هذه الآمة، فكيف يقال عنه ما يقال: إنه ليس من الأدب، وليس من الشعر، وليس من الحقائق الموجودة القوية الأثيرة عند الأمة العربية. ثمانية قرون عاشته هذه البلاد، ولاشك أن لها وله أثراً كبيراً حين يتحدث عن أدبها وعن علمها وعن آثارها وعن أخبارها وعن كل شيء فيها. يتحدث هذا الشعر كما تحدث الشعر العربي الفصيح سواء بسواء، فإذا كانت هذه البلاد تعيش هذا الوضع منذ ثمانية قرون، يقوله الشاعر ويملأ به المجتمع، ويتحدث عن آدابها وعن أحوالها وعن أمورها وعن كل شيء فيها، ومع ذلك يقال عنه: إنه ليس من الشعر في شيء، أو ليس من الأدب وليس من اللغة العربية. أنا أؤمن بأن الشعر الشعبي امتداد للشعر العربي الفصيح سواء بسواء.

الأدب الإسلامي هو الأدب الحقيقي.

*** بعض الباحثين المنصفين يقولون: فَهِم عبدالله بن خميس فهماً خاطئاً في قضية الشعر الشعبي بالذات، فهو تحدث عن قيمة الشعر الشعبي في القرون الماضية وأنه يمثّل جزءاً من تراث الجزيرة العربية، لكنه يرفض هذا الغثاء الموجود في الساحة الشعبية الآن، والدليل أن ابن خميس نفسه لم يصدر ديواناً من الشعر العامي على الرغم من نظمه لهذا اللون من الشعر.**

- هذا صحيح وواضح ومعروف عني أنني لست في الحقيقة من أعوان هذا النوع من الشعر الغث الذي هو بين آونة وأخرى يقال على ألسنة الناس أو في بعض الصحف. لا، هذا لست منه

في قبيل ولا دبير ولا أؤمن به. كل ما في الأمر أنني أؤمن بأهمية الشعر الشعبي ومكانته في المجتمع ومكانته في الأمة العربية، وله وضعه وله دالته وأثره في الأدب وفي المجتمع وفي كل شيء، عن اللغة العربية، وعن مجتمع اللغة، وعن المجتمع في هذه البلاد. كل ما في الأمر أنه أنكره بعض من أنكره ممن لم يعرفه، وهذا لا غرابة أن ينكره إذا كان لا يعرفه، فالذي لا يعرف الشيء من حقه أن ينكره!

*** حملت مع جيل الرواد في المملكة عبء النهوض بالأدب والصحافة، وتميزت تلك الفترات بما كان يسمّى بالمناوشات أو المعارك الأدبية، ففي رأيك إلى أي حد تُثري الأدب؟**

- هذه المناوشات التي اتسمت بها صحافة الماضي لها أثرها ولها وضعها ولها مكانتها، أنا أرى أنها تثري الأدب وتثري المجتمع.

*** قبل خمسة عشر عاماً تقريباً قلت في لقاء صحفي عن الأندية الأدبية: «إنها لم تقم بالدور المطلوب منها»، فهل مازلت عند هذا الرأي؟**

- لازلت عند هذا الرأي مادامت تعيش على هذا المنوال وتعيش على هذا الوضع، ولم يكن لديها من القوة ومن التأليف ومن الأثر القوي الذي يرفع مستوى الأدب، ويرفع مستوى الأمة، ويرفع مستوى الثقافة، ويجعلها في المكانة السامية التي لها ما لها في رفع هذه المكانة. مادامت في هذا الوضع فلا أرتاح لها.

*** هناك روافد للأندية الأدبية، وهي الملتقيات الأدبية التي تعقد في البيوت، كاثنينية الشيخ عثمان الصالح أو خميسية باجنيد، فما رأيك بها؟**

- لابأس بها؛ لأنها ترمي إلى إيقاظ الأدب وإلى إيقاظ المجتمع، ولها دور في إحياء الشعر، فهي تنميه وتجعله معروفاً لدى المجتمع. خاصهم وعامهم كبيرهم وصغيرهم، وآمل أن ترتقي ويكون لها ما يكون لها من دالة، ويكون لها ما يكون من وضع وتطور وتبلغ إن شاء الله الغاية المؤملة منها.

*** عبدالله بن خميس من أوائل من حصلوا على جائزة الدولة التقديرية في الأدب، ما رأيك بالجوائز الأدبية بشكل عام، وما دورها في إثراء الأدب؟**

- الجوائز لها أثرها، ولها دالتها، ولها معناها في إثراء الساحة الأدبية وتطورها وتنورها، وأن تبلغ المبلغ الذي يراد منها، ولا أشك أن لها أثرها الكبير والقوي.

*** هل هناك كتب جديدة تبشر بها الساحة الأدبية؟**

- هناك كتاب ألفته عن الملك عبدالعزيز رحمه الله يقع في ستمئة صفحة يتناول حياة الملك وحروبه وآثاره وأخباره وكل شيء عنه، وهو في الطريق إن شاء الله إلى الطباعة.

*** ألا تحن إلى الإذاعة وإلى برنامجك الشهير من القائل؟**

- برنامج «من القائل؟» مكثت أقدمه أكثر من أربع سنوات وأخذ مني ما أخذ، وطبع في أربعة مجلدات، وأعتقد أنه كافٍ على وجه العموم، ولعل لنا جانباً إذاعياً آخر نقوم به غير هذا البرنامج.

*** متى نرى سيرتك الذاتية مطبوعة في كتاب؟**

- ألفت كتاباً في هذا الموضوع، وحينما عرضته على الجهة المختصة لكي تفسحه طلبت حذف أشياء كثيرة؛ ولهذا أبقيته على ما كان ليبقى لمن خلفي يقومون بطباعته.

المدخل الغربي لشادق القديمة

شبهات في شعر محمود درويش

د. غازي مختار طليمات
سورية

« أنا يوسف يا أبي » قصيدة حديثة العهد والطراز، نظمها الشاعر الفلسطيني محمود درويش، وغناها المغني اللبناني مرسيل خليفة، وتناولها بالنقد أكثر من ناقد، ووُجِّه إليها أكثر من اتهام، فليس من المستغرب أن ينتهي النقد بها وبمن غناها إلى المحاكم.

قرأت القصيدة، فاقتحمتها عيني، ولم أجد فيها ما يميزها من مثيلاتها سوى السرد المُمل، والأثرة المتعالية، والاقتباس السطحي من قصة يوسف عليه السلام. أما السمات التي تلحقها بأترابها من قصائد الحداثة فكثيرة، أبرزها فتور الحسّ وضؤولة الحظّ من التألق الفني، وانطفاء الألفاظ، وضعف المشاعر المنبعثة منها، والخلل في العروض، والرمزية المحدودة الإيحاء، الضحلة المدلولات، ومحاولة الإفادة غير الموفقة من النص القرآني في ميدان السياسة والصراع بين ذوي القربى.

وقبل أن أقف على القصيدة كنت قد قرأت تعليقات عليها، كتبها نقاد أفاضل، ونشرتها « المسلمون » في عددها ذي الرقم (٦١٠) نشراً أميناً. ومن يقرأ هذه القصيدة والتعليقات التي طال بعضها حتى غدا مقالة كاملة يجدْ أن النقاد مجمعون على الزراية بالقصيدة شكلا ومضموناً. ولهذا حملت كلامهم في بداية الأمر - وأكثرهم ممن يضيقون صدراً بالشعر الحديث - على محمل التحامل والتنقّص. فلما قرأت النص أدركت أنهم أنصفوا ولم يسرفوا، وحكموا فلم يظلموا، وأن الشهرة لا يمكن أن تكون عوضا من الإجادة في ميدان الفن.

محمود درويش

ولعل أبرز ما أثار اهتمامي من تعليقات هؤلاء النقاد قولُ د. مصطفى الشكعة: « الذين يكتبون مثل هذه القصائد يبحثون عن الشهرة فقط من خلال الإساءة للدين والمقدسات الإسلامية ».

أقول: إن كلمة الدكتور الشكعة أثارت اهتمامي، فلم أقنع من شعر الدرويش بقراءة القصيدة المثيرة للجدال، المتهمة بالتطاول على المقدسات الإسلامية، بل رجعت إلى ديوان الشاعر المنشور في بيروت عام ١٩٨٧م، وفيه ثمانية دواوين تضمّ أكثر شعره، ويقع في (٦٦٧) صفحة من القطع الكبير. ورحت أنتقل بين جنباته، وفي خاطري أسئلة كثيرة تبحث عن أجوبتها، وامتعاض خفيٌّ من النقاد الذين رسموا فوق الصورة المرسومة للشاعر في ذهني علامات استفهام، حتى شاهت هذه الصورة أوكادت تشوّه. ومحور هذه الأسئلة سؤال خطير، هو ما مدى الإساءة التي يرمي بها د.مصطفى الشكعة الشاعر الفلسطيني؟

سبق أن قرأت مقداراً من شعرالدرويش، ولم ألاحظ قبلُ هذه الإساءة. ترى أ في الديوان شعر لم أقرأه، أم قرأته قراءة المستطلع المتمتع بالجمال لا قراءة المحقق المدقق الباحث عمّا وراء الكلمات من دلالات، وعما في هذه الدلالات من شبهات؟ والآن وبعد تقلبي بين طرفي الخصومة أعود إلى الديوان لأقرأه بعين الباحث عن الأدلة، لا بعين الصديق المغتفر للهفوات المتجاوز عن السيئات. وفي أثناء القراءة تبيّن لي أنني كنت مقصرا أو قاصراً، وأن عين الرضى عن كل عيب كليلة، وأن الذين اتخذوا النقد صناعة أقدر مني ومن أمثالي من القرّاء المتطفلين على مائدة الشعر، إذْ أدركوا ما لم أدرك، وفسّروا الشعر التفسير اللائق به.

ففي قصيدة (المزمور الحادي والخمسون بعد المئة) تطالعك من الكلمة الأولى في العنوان إلى

شبهات في شعر محمود درويش

الكلمة الأخيرة في النص ألفاظ عبرية الأصل، كتابية (نسبة إلى أهل الكتاب) الدلالات تخالط النص العربي الإسلامي، وتخلع عليه ظلالاً غير إسلامية، كأنّ الشاعر يقرّ بأن لهذه الثقافة الدخيلة الحق في منافسة الثقافة الأصيلة والطغيان عليها. فالقدس تسمى (أورشليم) والجهاد يحمل شعار الصليب، والتسبيح لله يتردد باللفظ العبري اليهودي المسيحي (هللويا). يقول محمود درويش في بداية القصيدة:

أورشليم التي ابتعدت عن شفاهي

المسافات أقرب

ويقول في نهايتها:

يسقط البعد في ليل بابل

وصليبي يقاتل

هلّلويا، هلّلويا، هلّلويا

وتستطيع بعين الرضى وأذنه أن تتغاضى عن ذلك كله، فتقول: أحب الشاعر أن يتظرّف، فلوّن العربية بألوان أجنبية، ثم تضطر بعد التغاضي إلى أن تفتح العين والأذن لترى الحقيقة وتسمعها حينما يقرن الشاعر الأنبياء بالأساطير، فيقول:

أورشليم التي أخذت شكل زيتونة

دامية

صار جلدي حذاء

للأساطير والأنبياء

إنك تعلم علم اليقين أن الأساطير التي صنعت الفكر اليوناني والروماني، وكادت تصنع الشعر الحديث مرفوضة في الفكر العربي الإسلامي، لأنها توأم الوثنية. فكيف يقرنها الشاعر العربي المسلم بالأنبياء؟ ثم كيف يجعل قصة الصلب والصليب التي برّأ القرآن الكريمُ المسيح عليه السلام منها أساسَ التضحية في ملحمة الجهاد الفلسطيني؟ يقول محمود درويش في قصيدته (حبيبتي تنهض من نومها):

كيف اعترفنا بالصليب الذي

يحملنا في ساحة النور

لم نتكلم

نحن لم نعترف

إلا بألفاظ المسامير

ومن يتتبّع الصلبان المشرعة في الديوان يُخيل إليه أن الشاعر أحرصُ من بابوات العصور الوسطى وعصر النهضة على رفع هذا الشعار بالمعنى المناسب، وينفخ خياله بالصورة الموحية، فهو يحمل الصليب راية يتعبّد تحتها مرة، فيقول:

فإذا احترقت على صليب عبادتي

أصبحت قديساً بزي مقاتل

ويضحي بروحه تحتها مرّة أخرى، فيقول:

شكراً صليبَ مدينتي شكراً

لقد علمتنا لون القرنفل والبطولة

ألم يستطع الشاعر أن يتعلم البطولة والفداء من أبطال اليرموك وعين جالوت، أو من أطفال الحجارة؟ أو لم يجد في رايات الفتح العربي الإسلامي راية مرفوعة على حطين مطرزة بصورة الهلال، لا راية من رايات رتشرد قلب الأسد مطرزة بصورة الصليب ليموت تحتها شهيداً لا قديسا؟ وهل أصبحت الأعلام الصليبية المقرونة في التاريخ الأوربي بالظلم والاستعمار والطغيان أقرب إلى قلب الشاعر من رايات صلاح الدين؟ إن هذا الأمر عُجاب!!

وأعجب منه أن الشاعر يصبغ التضحيات التي يقدم القدر الأكبر منها شعبُ فلسطين العربي المسلم بصبغة مسيحية تباركها الكنائس لا المساجد، وتُستقبل بقرع النواقيس لا بجلجلة الأذان، يقول محمود درويش في قصيدته (النزول من الكرمل):

ويا أيها الكرمل

الآن تقرع أجراسُ كل الكنائس

وتعلن أن مماتي المؤقت لا ينتهي دائماً

ولا يُفهمن من هذا الكلام أننا نبخس الناس أشياءهم، أو نغمط الآخرين حقّهم، فإذا لم يكن بد من رفد الجهاد بالنضال، ليكون المسيحيون شركاء للمسلمين في مجابهة الاحتلال الصهيوني فإن هذا الرفد لا يغني طمس الجهاد الإسلامي، وتغليب القليل على الكثير، أو محو التاريخ والقفز من فوق الحواجز لربط الشتات الفلسطيني بالأسر البابلي، على نحو يوحي بحقّ الذين شردهم الأسر البابلي في العودة إلى فلسطين، ولا يسوّغ في الوقت نفسه إعادة الفلسطينيين إلى ديارهم على إيقاع الترنيم بالعبرية لا على أصداء التكبير بالعربية:

آه يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريبا

وقريبا تكبرون

وقريبا، وقريباً، وقريبا

هلّلويا، هلّلويا، هلّلويا

لقد أرّخ الرعيل الأول من شعراء العصر الحديث لأحداث النكبة والنكسة وملحمة رمضان واجتياح لبنان، ومنهم أبو سلمى، وعبدالرحيم

محمود، وفدوى طوقان، وعمر أبو ريشة، وبدوي الجبل، وسليمان العيسى، ولكنهم لم يخرجوا من جلدهم، ولم يخطر لواحد منهم أن يصور القضية العربية تصويراً هجيناً، ولم تجر ألسنتهم بعبارة واحدة تخالطها شبهة، أو تجرح حسّاً، أو تدنس مقدساً، فتقبّلهم الناس، وجانبتهم الشكوك، وبرئ شعرهم من النقد والتجريح، ولم يضطر واحد منهم إلى الوقوف في قفص الاتهام ليدفع الريبة عن نفسه، بل دفعها قبل أن تخالط نفسه وحسه، وتبّرأ منها قبل أن تشوب فكره وشعره، فتجنب العار بالحذار، ولم يمح العوار بالاعتذار: {**بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**}. [القيامة:١٤-١٥].

ولست أنكر أنه آلمني أشد الإيلام اتهام علم من أعلام الشعر بما أكره ويكره، فلجأت إلى شعره لأستخرج منه الأدلة على براءته، فوجدتني أقف مضطراً مع الفريق الآخر، إذ وجدت في ألفاظه من الجراءة على الحق، ومن التحدي والمكابرة مالا قِبَلَ لي بردِّه أو تفنيده، كقوله في قصيدة (الخروج من ساحل المتوسط):

وأكتب باسمها موتي على جميزة
فتصير سيدة وتحمل بي فتى حرا
فسبحان التي أسرت بأوردتي إلي يدها

إن التسبيح بلفظ (سبحان) وَقْفٌ على الله جلّ جلاله، ولم نسمع أحداًمن الشعراء والكتاب المسلمين وغير المسلمين أضاف هذا اللفظ إلى غير الله، ففيم هذه القحة؟ وإذا كان أسوأ ما يسوء المسلم أن يمسّ الشاعر العربي المسلم عقيدته بكلمة غير مهذبة كالكلمة السابقة فإن استياءه يبلغ غايته حينما تُطعن هذه العقيدة طعنة تصيب سويداء القلب. وسويداء القلب في العقيدة الإسلامية وحدانيةُ الله وتنزيهه عن الشرك، والإصرار على تصورّه متعالياً عن الأشباه والنظائر، وعلى أن لا يشاركه في صفة من صفاته أحد من خلقه، وعلى أنه ليس له صاحبة ولا ولد، ولم ينجبه والد ووالدة، فكيف يقول محمود درويش في قصيدة (آه عبدالله):

قال عبدالله للجلاّد
جسمي كلمات ودويّ
ضاع فيه الرعد
والبرق على السكين
والوالي قوي
هكذا الدنيا
وأنت الآن يا جلاد أقوى
وُلد الله وكان الشرطي

وعبارة (وُلد اللهُ) التي تجرح الحسّ الإسلامي تتكرر في خواتيم الفقرات التي تتألف منها هذه القصيدة تكراراً يجعلُها نابية وفق كل المقاييس الفكرية والفنية. ولو خُيّل إليك كما خُيّل إليّ أن المقصود بها نقد الاستبداد المتألّة المتغطرس في الوطن العربي. لتقبلت الفكرة على مضض، ورفضت التعبير بلا تردد، ولما ساغت في لهاتك ولادة الله، ولأخفقتَ في التماس العذر لقائلها.

لقد كان في إمكانه أن يقول: وُلد البغي، أو ولد الظلم، أو نجم الشرُّ، أما أن يجعل الشرطي عدْلاً لله جلّ جلاله، وأن يعبر عن ظهور العسف بقوله (ولد الله) فهذا لعمري غاية التحدي لقوله تعالى: {**قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد***}. ولو قال: إن رب الظلم هذا الشرطي، أو: وإله الظلم كان الشرطي لهان الأمر، لأن لفظ الإله يمكن أن ينصرف إلى الآلهة المتعددة التي تخصص كلّ واحد منها بشيء، فلليونان إله للخمر، وربة للجمال، وآخر للشهوة. أما لفظ الجلالة فله من القداسة ما يجعله فوق الأوصاف البشرية.

وبعد.. فإن الشعراء أصحابُ هَفَوات وبَدَوات وأصدق ما قيل في بدواتهم قول أصدق القائلين: {**والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون**}. **[الشعراء:٢٢٤-٢٢٦]**.

فإذا كان محمود درويش حريصا على المنزلة التي تبوأها فعليه ألا يجعل التشهير وسيلة للشهرة، والاجتراء سلما للارتقاء، وأن يقدر عقيدة الذين قدموا له من دمائهم وأرواحهم مادة شعره لكي يكبروه ويقدروه. فإن حبّ شعبه له خير من جائزتي اللوتس ولينين، وأليقُ بصدره من درع أو وسام يعلقه عليه من يكره العرب، ويكيد للمسلمين، لأنه ولو عاش قرنا في باريس سيظلّ في نظر الأجانب مقترناً بالزمان والمكان اللذين يشهدان على مولده في قرية البروة من قرى عكا في فلسطين، وهذا المولد وسامه الأكبر، ولو تجرد منه لم يكن لشعره كله أدنى منزلة في دنيا الشعر الحديث.

المنفى



شعر : د. حسن الأمراني
المغرب

أبي، يا أبي!
لقد حل ما حل بي
لأني قفوت خطاك
وزين إبليس لي الأكل من هذه الشجرة.

***

أبي، يا أبي!
أجرني، وخذ بزمامي
إلى دوحة المغفرة.

***

أبي، يا أبي!
أتيتَ إلى الأرض من جنة الخلدِ
جوعانَ.. عريانَ..
ظمآنَ.. ضحيانَ..
لكن أمي كانت لك الزاد والدفءَ
والورد والظل.. كانت لك الأمل المشتهى
ولكنني جئت من سدرة المنتهى
وجنات عدن
جئت للأرض يا أبتي مفردا
ولا قلب يحنو علي
ولا كف تمسح حزني
ولا صوت يسكن، بعد انتشاء المحيطات، صوتي
من تكون؟
من تكون؟
أولُ الغيث؟ أم أولُ الصوت؟
أم قطرة من دمٍ فجّرَ القيدَ؟
دربي يسيح بنهر الرماد
والأحبة قد رحلوا
بآيات عشقهمُ.. وبتاج الجهاد.

***

أبي، يا أبي!
إنني مغرق..
ألا نهر أطعم منه فتفنى الذنوب؟
ألا نار تغسلني فأتوب؟
دعاني الهوى لحظة فأطعت.. فكان الردى..

***

ترجل إذن أيها المستجير بمن لا يجير
وأطلق جيادك للريح،
إن ضفائر محبوبك اليوم محجوبة عنك..
ما من عقالٍ
ترجل! وأرسِل عواءك في الأرض
لن يشرب النخلُ دمعَ المحبين
لن تقبل النارُ
قربان مستعصم بالخراب
طريقك لا ظل فيه
وحزنك يا ابن الأماني الأسيرة مغتسل بارد وشراب.

***

سوى الريح..
لا زاد يا أبتي في الجراب
سوى طعنة السنبلة
ولا ظل يا أبتي أستجير به
فما الفرق بين سليل الجحيم
وبين عواء التراب؟
وما الفرق، آه، ما الفرق بين طعام الأثيم
ومخمصة الروح؟ يا للعذاب؟

***

ها أنا يا أبي واقف عند باب المدينة:
- يؤذن لي
- ليس يؤذن لي
ها أنا أصطلي
جحيم اصطباري
وحمى انتظاري
وبفصل الحصاد
يتنكر لي
منجلي
ها أنا أستعين بخيط الوعود الجميلة
والكلمات النبيلة
والزنبقات التي نقشتها
على شط أحلام مستقبلي
أستظل بأفياء سنبلة
تغني لبحر بعيد
يعيد إلينا انعتاق الجروح
وتبشر بالعاصفة.

إقبال شاعر الإسلام

عبدالسلام صبحي الجراية
مصر

دع الشيطان لا تركن إليها ... ضعيف عندها جرس الحياة
عليك البحر صارع فيه موجاً ... حياة الخلد في نُصُب تُواتي
كرهتَ سيادة الإفرنج لكن ... سجودُك للقباب وللقبور
ألفت عبادة السادات حتى ... لتنحت سادة لك من صخور

محمد إقبال

هكذا انطلقت صيحة إقبال مدوية للناس عامة، وللمسلمين خاصة. دعوة للحياة وللصراع وللتعالي بالذات فنادى بفلسفة «الذات» وأراد بها إيقاظ «ذاتية المسلم» التي كانت فلسفة قيام دولة باكستان، فما هي «الذاتية» التي دعا إليها إقبال وما هي مشاركته السياسية للدولة الإسلامية في بلاد الهند؟ عندما يبدأ المنظومة بالكلام عن الذاتية إنها حقيقة كونية، فيقول: هيكل الكون من آثارها، كل ما ترى من أسرارها، إنها حينما أيقظت نفسها أظهرت عالم الفكر. مئة عالم خفية في ذاتها، وغيرها مثبت بإثباتها، بذرت في العالم بذر الخصومة إذا حسبت نفسها غيرها، يعني أنها حقيقة واحدة اتخذت ذوات مختلفة فتباينت وتنافست. إلى أن يقول: ترمي مئة روضة لأجل وردة، وتثير ألف ألف نوحة لأجل نغمة، وتمنح فلكاً واحداً مئة هلال، تكتب من أجل كلمة واحدة مئة مقال، وعلة هذا الإسراف وهذه القسوة، خلق الجمال المعنوي وتكامله وتكميله – يعني أن التكامل يقتضي فناء أشكال وعدم صور، امحاء أطوار، فمئة روضة تنشأ لتكمل فيها وردة وهلمّ جرا، ثم يقول إقبال: وتراها من أجل عملها، عاملاً ومعمولاً ووسيلة وغاية، تنبعث وتثور وتطير وتُضيء وتختفي وتحترق وتقتل وتموت وتنبت، ثم ينتقل من صعوبة التطور ليبلغ ذروة الكمال في إرادة الحياة والقوة: فيقول: حياة العالم من قوة الذات، فالحياة على قدر ما فيها من هذه القوة فالقطرة حين تقوي ذاتها تصير ذرة. والجبل إذا غفل عن ذاته انقلب سهلاً وطغى عليه البحر، ويضرب الشاعر في هذا المعنى أمثالاً عدة.

وحين يتكلم في (جناح جبريل) في منظومته «ساقي نامه»: ما هي النفس؟ سيف ما سنَّ هذا السيف؟ الذاتية، ما الذاتية؟ سر الحياة الباطن، ما الذاتية؟ يقظة الكائنات، إنها ثملة بالجَلْوة، ومغرمة بالخلوة، إنها بحر في قطرة إنها ظاهرة فيك وفيّ، وهي بريئة مني ومنك، تغير وسائل التحري وتبدل منظرها بين حين وحين، والصخرة الثقيلة خفيفة في يدها، والجبال رمال من ضربها، والسفر مبدؤها ومنتهاها، هي ضياء في القمر، وهي شرار في الحجر، وهي في هذا الكفاح منذ الأزل. وقد صورت كذلك في صورة الإنسان. إن مستقر الذاتية قلبك، كما يحوي الفلك إنسان العين، وَسْم هذه الذاتية العيش الذليل، والعزة ماؤها السلسبيل.

هكذا تعظم «الذاتية» بالاستغناء عن غيرها، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم عاهد بعض صحابته على ألا يسألوا الناس شيئا، فكان إذا سقط من أحدهم سوطه، وهو على الدابة نزل فأخذه. كما أنها تعظم بالآمال العظيمة بإعلاء كلمة الإسلام، لقد كان إقبال يبحث عن الإنسان الكامل وقد وجده في المسلم العارف لذاته، الذي يستمد قيمته بمعرفته بالله، فهو يبدأ به ديوانه أسرار خودي! وأسرار الذاتية.

لقد استغل المستعمر احتقار الصوفية للنفس أيما استغلال، لذلك ثار إقبال على أقوال الصوفية في ذلك ورفض (وحدة الوجود) وهذه أبيات له في ذلك:

كانت الأسد جهاداً ملَّتِ
وتمنت منه عيش الدعةِ
عن هوى أصغت إلى النصح المُنيم
ودهاها الكبش بالسحر العظيم
جوهر الآساد أضحى خزفا
حين أضحى قوتهن العلفا
ذهب العشب بناب عسرِ
أُطفأ الأعين ذات الشررِ
هجر الصدر فؤاد مقدم
فإذا المرآة فيه تُظلم
وذوى في القلب شوق العملِ
وجنونَ السعي ملءَ الأملِ
ذهب الإقدام والعز الأمرّ
والسنا والعز والمجد الأغرّ
بُرْثُنُ الفولاذ فيها قد وهنْ
واستكان القلب في قبر البدنْ
ونما الخوف بنقصِ المنة
قطّع الخوفُ جذور النخوةِ
كل داء في سقوط الهمة
إنه العجزُ وضعف الفطرةِ
نامت الأسد بسحر الغنم
سمّت العجز ارتقاء الفهمِ

إذن بالحب يتسامى الإنسان لكن لا يفنى في الله حسب زعم القائلين بوحدة الوجود. ولكن ليصبح ما في الكون مسخراً له.

ولعل هذا هو الذي قصده إقبال عندما قابل موسوليني فقال له هذا الأخير: من ملك الحديد ملك كل شيء. فأجاب إقبال: من كان هو الحديد فهو كل شيء، وقد ضمن هذا المعنى شعراً:

ما بهم حاجة إلى السيف قومٌ
من حديدٍ يصاغ فيهم شبابُ
أين منك الأفلاك؟ إنك حر
وهي قهرٌ ذهابُها والإيابُ

فخر النساء

في رثاء العالمة الجليلة والأديبة الكبيرة
د.عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)

نوال مهني - مصر

فخر النساءِ وأي فخر أنتِ
لهف القلوب عليك حين رحلتِ
يا زهرة الإسلام طابت منبتا
وعلى رباه الناضرات درجتِ
وقبست من نور النبوة جذوة
كانت لكِ الزاد الكريم فكنتِ
لبنات مصر الماجدات منارةً
فطريقهن أضاء حين خطوتِ
ما كان دربك بالورود معبداً
لكن على خوض الصعاب فطرتِ
وأقمتِ بين العالمين مناهجا
سر البيان أساسها وسموتِ
ها أنت شاهدة لعصر شائك
والصدق دأبكِ في الدنا فصدقتِ
أنت التي شهد الزمان بنبلها
حتى رنا يزهوباً فضل نبتِ
بأديبة هي من طراز نادر
تبقى مآثرها برغم الموتِ

دراسة نقدية لقصيدة:

الإبحار في ماء الوضوء

للشاعر: حكمت صالح

بقلم: عبدالقادر علي باعيسى
جامعة حضرموت - اليمن

حينَ أرتشفُ الماء كي أتمضمض
بالزعفرانَ...

وأسْقَى من الكوثَرِ الأزلي رُحيقاً

سلسبيل يُمازجُ مَصْلَ دَمِي فِي النَّوَاشِرِ..

يُطْفِئُ فيهَا الحريقَا.

حِينَ أستَنْشِقُ المَاءَ؛ كُلُّ طيُوبِ الجِنَانِ...

تُعَبِّقُ في رِئَتَيَّ الشَّهِيقَا.

ثُمَّ يَحْتَلّ فُسْحَةَ صَدْرِي انْتِشَاءُ...

بإيقَاعِه الْمُتَصَادِي يَهُزُّ الْعُرُوقَا.

ثُمَّ أغسِلُ بالنُّور وَجْهِيَ فَجْراً..

فيَجلُو الدُّجى

قَبْلَ أنْ تَطْلُعَ الشمسُ مِنْ خِدْرِهَا...

وتَزُفَّ الشُرُوقَا

دَرُّكِ اللهُ يابركَةَ النُّورِ والْعِطْرِ هَاكِ يَدَيّ..

امْنَحي مِرْفَقَيَّ الْبريقَا.

كَفِّري عَنهُمَا مَاقَدِ اقْتَرَفَا مِنْ ذُنُوب..

وَمَاقَصَّرَا في الأَدَاءِ حُقُوقَا.

ثمة الشَّعْرُ، حِينَ تُمَسِّدُهُ رَعْشَةٌ مِنْ حَنَانٍ...

فيَلْمَسُ نَبْضَ فُؤَادِيَ لَمْساً رَفيقَا.

فبنَفْسكَ لُطْفاً وعَطْفاً...

إذَنْ كُنْتَ بِالنَّفْس حَقاً خَليقا

وَإذا خُضْتَ في بركَةِ النُّورِ: فَامْشِ
الهُوَيْنَى...

إلى السدرَةِ الْمبتغَاةِ مَشُوقَا

إنَّمَا يَتَزَكَّى الَّذينَ إذا أبحَرُوا في خِضَمِّ
النَّقا...

تَخِذُوا مِنْ وَضُوئِهِمُ لِجِنَانِ الْخُلُودِ طَرِيقَا.

الموصل: ١٢ ذي الحجة ١٤١٤هـ- ٢٢ أيار ١٩٩٤م

الاستقلال الباطني للنص

في قصيدة (الإبحار في ماء الوضوء) للشاعر حكمت صالح تداخل الشعر مع حركات الفعل الإيماني في الطهور من غير أن تفقد القصيدة قيمتها وإنما تآلفت مع مفردات الوضوء مشكلة ذاتها الشعرية الخاصة، وتلك ميزة يمكن أن تلمح لهذه القصيدة بحيث لاتزيغ في مفردات الشيء الموصوف (الوضوء) فتصير شعاراً إسلامياً أو وصفاً آلياً لعملية الطهور على الرغم من كونها التزمت في انبنائها للآليات التراتبية المعتادة في الوضوء (الاستنشاق، المضمضة، غسل الوجه، غسل اليدين، مسح الرأس.. إلخ).

يمكن تحديد إحدى مزايا القصيدة في أنها دفعت بالماء نحو صعود داخلي (روحي) بخلاف ما عليه طبيعته المادية (الانحدار إلى أسفل) أي أنها عكست صفة الماء بطريقة ضمنية داخلية، فهو وإن كان يأخذ انحداراً أثناء الوضوء، لكنه يمتنع عن الانحدار ضمنياً بغية الوصول إلى عالم الروح الممزوج بعالم الشعر هنا:

يابركة النور والعطر هاك يدي.

امنحي مرفقي البريقا

فالبركة لا تأخذ عادة سوى صفة أرضية سكونية من حيث كونها محدودة بمساحة معينة غير أنها اقترنت هنا بإشارات علوية، فالبريق مقرون غالباً بالعلو (الشمس، القمر، البرق، النجوم) والعطر عادة ينتشر في الفضاء، والنور كيان علوي.

إن الماء وقد اقترن بلحظة قدسية (وقت الطهور) غدا في الوقت الذي هو فيه وسيلة للطهارة دالة شعرية أساسية في النص، فانبثقت بفاعليته استجابات دلالية وتركيبية أسهمت في تشكيل طبيعة القصيدة إذ ابتعثت على مستوى تركيبها جملاً مفتوحة طويلة اعتمدت في انفتاحها أسلوبياً على أداة الشرط (إذا) والظرف (حين) أي إن دلالة الماء وقد غدا مولداً شعرياً أساسياً (للصعود، العلو، الروح، فضاء الإيمان، انتشاء الإحساس) وراء هذا الامتداد الطويل نسبياً في تشكيل الجمل:

(١)

حين أرتشف الماء كي أتمضمض
بالزعفران

وأسقى من الكوثر الأزلي رحيقاً

سلسبيل يمازج مصل دمي في النواشر
يطفئ فيها الحريقا

(٢)

حين أستنشق الماء كلُّ طيوب الجنان

تعبق في رئتيَّ الشهيقا

ثم يحتل فسحة صدري انتشاء

بإيقاعه المتصادي يهز العروقا

ثم أغسل بالنور وجهي

فيجلو الدجى

قبل أن تطلع الشمس من خدرها

وتزف الشروقا

(٣)

وإذا خضت في بركة النور فامش الهوينى
إلى السدرة المبتغاة مشوقا

فضلاً عن أن فعل الوضوء - من حيث هو كل موحد لا يوحي شكل حركته التراتبية إلا بضرورة التحول إلى صيغة كلية عامة لاتنفصم وإلا عد باطلاً - ساعد على هذا الطول، ولذلك فإن الجمل المعطوفة بـ (ثم) في الاستدلال الثاني لاتنبئ عن التراتب والتعاقب وإمكانية الفصل إلا ظاهرياً (لغوياً) لكنهاعملياً لا تحتمل معنى الانفصال إذ انتظمها نسغ الماء الممتد إلى آخر الوضوء - القصيدة بفاعلية الحتمية الدينية أولاً وبفاعلية البنية الشعرية الكلية التي ولدها الماء ثانياً والتي تعد مسؤولة عن تشكيل رؤية النص فنياً (أتمضمض بالزعفران، أسقى رحيقاً، سلسبيل يمازج مصل دمي، يطفئ فيها الحريقا، يهز العروقا، أغسل بالنور، بركة النور، أبحروا، خضم النقا).

هذه البنية الكلية التي أحدثها الماء يمكن إدراك قيمتها بشكل أفضل من خلال رؤية التوازنات التي قدمتها القصيدة بين دلالة الماء في حالة الوضوء صرفاً ودلالته في حالة الوضوء الشعر.

(١)

- أرتشف الماء
- أُسقى من الكوثر
- أستنشق الماء
- أغسل وجهي
- الماء
- الشعر (يمسح)
- تمسده

(٢)

- أتمضمض بالزعفران
- سلسبيل يمازج مصل دمي في النواشر يطفئ فيها الحريقا
- طيوب الجنان تعبق في رئتي الشهيقا
ثم يحتل فسحة صدري انتشاء
- يجلو الدجى
- بركة النور
- تمسده رعشة من حنان
- يلمس نبض فؤادي لمسا رفيقا

فالعمود الثاني خرج من العمود الأول وشكل امتداداً له واستقلالاً عنه في الوقت نفسه، وتكمن قيمة الاستقلالية في أن العمود الثاني شكل بفاعلية الماء الشعرية دورة حياة كاملة، صار الماء يستنشق (هواء) وصار (دما) وصار (حنانا) ووسيلة إلى إحياء نبضات القلب ومنحها الدفء والرفق، أي إن الماء بذاته لبى متطلبات الكيان الإنساني روحياً ومادياً بحيث ابتعد عن أبجديات متعلقه الأول (الوضوء) كما يوضح العمود الأول.

تلك هي بنية الحياة التي أنجزتها القصيدة والتي تعد من أبرز ملامحها الباطنة، وهو ما كان سبباً وراء إحداث الحركة الفنية الداخلية في النص، ذلك أنه إذا ما تم (نظرياً) تنحية الأفعال الدالة على حركات الوضوء المقترنة بالصوت عادة (أرتشف، أتمضمض، أستنشق، أغسل، خضت في بركة النور) والصوت هنا محدد لقيمة الحركة ومستواها، نجد الحركة ذات طبيعة شاملة مطلقة (يحتل، يجلو، تطلع، امنحي، تخذوا) وهو مايشير إلى تجاوز العالم الراهن بعلاماته المحددة إلى عالم آخر أبهى:

إنما يتزكى الذين إذا أبحروا في خضم النقا
تخذوا من وضوئهم لجنان الخلود طريقاً.

ولربما فسر اتخاذ البحر المتقارب بتفاعيله المتلاحقة وإطلاق القافية (رحيقاً، الشهيقا، العروقا، مشوقا) شيئاً من رغبة النص في الوصول إلى ذلك العالم، ويؤكد هذا الطرح أن الزمن في القصيدة ليس ذا طبيعة تكرارية بل تجاوزية، فالعلاقة الفنية بين أزمنة النص علاقة اقترانية تسلسلية (أرتشف - يمازج) - (أستنشق - يعبق) - (أغسل - يجلو)

ففي الوقت الذي يستنشق فيه الماء يكون العبق، وحين يغسل الوجه يجلو الدجى، وهكذ دواليك، أي إن اللحظة الثانية (لحظة العبق مثلاً) تدخل في الأولى (لحظة الاستنشاق) تطغى عليها، تلغي حدودها، وتفتح لها أبعاداً تجاوزية جديدة بحيث لاتعاود الظهور في النص مرة أخرى بصورة ضمنية أو واضحة، مما يتيح الفرصة لظهور تتابعات زمنية دلالية جديدة.



قصة قصيرة



خمس وأربعون ثانية

"من وحي زلزال تركيا"

فرمان قره جام – ترجمة: علي نار
إستانبول

هناك حافلات للسفر من إستانبول إلى أضابازري ويالوى، وإلى بورصة وإزميت، لكنني دائماً أسافر بالقطار.

لم يعد أحد يرفع يده ملوحاً لوداع المسافرين خلف الحافلات كما كان في السابق، ولم تعد ترى من يطرق رأسه حزناً للفراق، ولا من يسكب الماء على الطريق خلف المسافرين تفاؤلاً بسلامة العودة!! كما لم يعد أحد يرفع يده طويلاً وهو يدعو للمسافرين.

والحقيقة أن المسافر ليوم واحد أو ليلة واحدة فقط يمكن ألا يعود أيضاً!! لا تنظروا إلى البحر أنه مكون من ثلاثة أحرف، ففضلاً على الأمور العادية التي في البحر، وعلى الزبد الذي تخلفه أغنيات أمواجه الزرقاء التي تلطم الشاطئ باستمرار؛ فإن في أعماقه أسراراً عميقة!! فيه اللؤلؤ والمرجان، والحيتان الضخمة، والصخور المرجانية، وتعلمت الآن أنه يتكون فيه خلال خمس وأربعين ثانية جبال من اللهيب.

كان الليل يغطي بصمته المطبق على النائمين، ونسائم السابع عشر من شهر آب الحارة تملأ جوانحنا، كنا نتنفس كطفل مستسلم للنوم في حضن أمه.

كنا والليل ننام وقد التف بعضنا على بعض في غاية من الود والإخاء، يثق أحدنا بالآخر ثقة مطلقة.

كتبت زوجتي في إحدى رسائلها: أتظن أن من السهولة بمكان أن تفرغ دقات الساعة في رأسك في هدأة الليل؟! بالتأكيد ليس سهلاً!!

يقولون: إن النجوم في تلك الليلة كانت تتحرك بشكل غير عادي فوق سماء الغابات الكثيفة.

في ذاكرتي كنت وحدك فقط، ورأيت أمي في المنام، كانت حزينة حتى تكاد تبكي، ظننت أنه سيحدث لك شيء ما، واغتممت جداً.

واتخذت الحيطة اللازمة.

وسادتي كانت مبللة من العرق، فقلبتها بعيد منتصف الليل، ودعوت الله لك، وترحمت على أمي.

التحفت بغطاء خفيف.. نافذتي مفتوحة.. أنت في قلبي.. وقلبي يكاد يبلغ حنجرتي!! عيناني مسمرتان في السقف.. وهكذا دخلت عالم النوم!.

على الجدار لوحة زيتية، وإلى جانبها أتخيل صورة كبيرة لك!

لا أدري كم الساعة؟! الجدار يتهاوى نحوي، ودوي مخيف لا مثيل له يقتحم غرفتي من النافذة، ومع الدوي الهائل سحابة كثيفة من الغبار والدخان تتجه نحو سماء إستانبول!!

أصوات الاستغاثة تتعالى من غرف النوم، منبهات السيارات انطلقت مذعورة لا تعرف التوقف، الكلاب تنبح، وبدت النجوم متكدرة بشكل غير معهود، انطفأت الأضواء، الصرخات والاستغاثات تتصاعد إلى السماء متعلقة بأجنحة الأصوات الرهيبة. صراخ طفل يشق الظلام، ويتردد صداه بشكل مؤلم بين الجدران المتساقطة.. أمي...

سقط شيء على رجلي، ولكن لم أشعر بالألم، قلبي هناك.. عقلي عندك.. جسمي فقط هنا!! روحي تخفق بأمل لا يحد.. الأمل.. لا إله إلا الله، هذا هو أوان الثبات والصبر، أعتصم بالله، أفكر فيك، أنت.. أنت.. أنت.. لا أنساك! أنت «أليفة» البالغة الخامسة والثلاثين! أنتَ فؤاد البالغ الخامسة والعشرين.. أنت شيرين البالغة التاسعة عشرة!! أما أنا.. فأنا فرحات.. فرحات.. بيدي الفأس أحاول الوصول إليك تحت الركام الإسمنتي المتهدم.

صوتك يأتي من الأعماق، يتسرب كالماء، يتحشرج كنعومة الحرير الأزرق، يقف الركام أمامي كالجبل تماماً، أنفاسك تنساب من تجاويف الركام الإسمنتي.. لو تمدين يدك فقط!! فأنا فوق رأسك تماماً. هنا .. لكنك لا تسمعينني، ولا تمدين يدك! عقلي وروحي وقلبي كلها عندك..جسمي معي فقط.

نحن وأنت كنا مثل الأصوات التي تصدر من الأسياخ الحديدية، أليس كذلك؟! أثر جرح واضح على جبهتي، أنت لم تسامحيني بعد!.

الليل والبحر لم يكونا ليلاً وبحراً فقط!! في هذه اللحظة تعلمت هذا.. خلال خمس وأربعين ثانية بدأت الأمهات يبكين فلذات أكبادهن.. ويصرخن ولدي.. ولدي..

وتعالت صرخات الأطفال.. أمي.. أمي..

كان أبي ينظر إليّ بعينيه الدامعتين وهو يخلل لحيته الثلجية، ويقول: يا بني الموت قريب منا مثل قرب سواد العين من بياضها. الرجاء في عفو الله دائم، ولكن لابد من المواجهة!.

* فرمان قره جام مدير الإذاعة السابعة في إستانبول.

* علي نار: رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في إستانبول.

أمير الشعراء البنغاليين:

السيد إسماعيل حسين الشيرازي

شعره وفكره

بقلم: أ.ق م. عبدالقادر
بنغلاديش

السيد إسماعيل حسين الشيرازي (١٨٨٠م - ١٩٣٠م) هو أحد الشعراء البارزين الذين لعبوا دوراً مهما في إنشاء الصحوة الإسلامية بالأدب البنغالي، وقد نال شرفا كبيرا في العقود الأولى من القرن العشرين الميلادي. فقد كان فذاً في أدبه وآرائه وتفكيره، وفاق في هذه المجالات الأديب الشهير مير مشرف حسين، والشاعر العبقري كيقباد (- ١٩٥١م)، ومزّمل الحق، والشاعر الوطني القاضي نذر الإسلام، والقاضي عبدالودود، وغيرهم من الشعراء البنغاليين، بل إنه أخذ طريقا مستقلا في هذا الصدد، فكان طريقه هذا هو الكفاح ضد الاعتداء والظلم وجور المستبدين ومؤامرات أعداء الدين الحنيف.

حينما تزعزعت عروش المسلمين، وانقسمت الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الكبرى، وانتهت الوحدة والأخوة بانقسام الخلافة، التي لم يبق لها من زمن طويل إلا الاسم والرسم، تحت راية الخلافة، نهض السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ - ١٨٩٧م) بكلمة الوحدة والأخوة والوئام والتضامن الإسلامي، وسعى سعيا حثيثا لوقاية الإسلام من الخرافات والوهن، فلبى دعوته مولانا منير الزمان الإسلام آبادي، والسيد إسماعيل حسين الشيرازي (١٩٣٠م)، ومولانا محمد آكرم خان، وغيرهم من المفكرين البارعين، والأدباء البارزين، لتأسيس الوحدة والوئام، وإقامة الأمن والسلام، ورفع المظالم في المجتمع الإسلامي، وقد اشتهرت حركة السيد جمال الدين الأفغاني بالحركة الإسلامية العالمية (Pan Islamic Movement).

وكانت هناك بقايا آثار حركة فيربادشاه ميان وحاجي شريعة الله بفريد فور، فكان هدف حركاتهم الحرية السياسية الكاملة للدول المسلمة عامة، ودولتنا هذه خاصة، وهذه الشخصيات دعت عامة الناس إلى أن يكافحوا لتبديل نظام الحكومة الذي لا يبنى على الإسلام أو يهاجروا إلى بلاد الإسلام، فهاجر الملايين من المسلمين إلى أفغانستان وفارس وشتى بلاد العرب، وبقي آخرون هناك، وبدؤوا حركة الخلافة لوقاية الخلافة الإسلامية واسترجاع ما بأيدي الإنجليز.

وقد بدأت حركة المعارضة في الهند بقيادة غاندي، واتفق معه مولانا محمد علي ومولانا شوكت علي على طرد الإنجليز من هذه البلاد، وفي هذا الوقت كان حاجي شريعة الله قد توفي، وحل محله في قيادة مسلمي البنغال إسماعيل حسين الشيرازي بعد أن رأى فيه كل من محمد علي وشوكت علي الرجل المناسب لهذا الدور.

وقد سافر وفد مكون من ستة أشخاص في عام ١٩١٢م إلى عاهل تركيا، وكان إسماعيل حسين الشيرازي عضوا في هذا الوفد، فكتب منها رسالة إلى البلاد، ونشرت فيما بعد بعنوان «رحلة تركيا» ثم رجع منها عام ١٩١٣م، فرأى أنه قد نشب خلاف عنيف بين حركة الخلافة وحزب المؤتمر، ومن ناحية أخرى كان قد أسس حزب الولاية بقيادة ديش بندهو صت رنجن، وكان شاعرنا من أعضاء حزب المؤتمر، ولكنه في هذه الفترة ترك حزبه، وقطع كل العلاقات بغاندي.

وتحمل مسؤولية نشر الصحافة الدينية والأدبية والسياسية. هذه هي صورة صادقة للأحوال السياسية التي تدور حولها أشعار إسماعيل حسين الشيرازي.

ولد الشيرازي سنة ١٨٨٠م بمديرية شيرازغنج، وبدأت حياته الشعرية منذ وقت مبكر، فقد بدأ قرض الشعر وهو طالب بالصف الرابع من المرحلة الابتدائية، ونال إحدى الجوائز وهو في الصف الخامس عندما ترجم قصيدة (النحل والزنبور) من اللغة الإنجليزية إلى البنغالية شعرا، فأثنى بعض من حضر على موهبته الشعرية وعبقريته التعبيرية، في هذه القصيدة فصّل حياة الدودة بحسن الأسلوب والأداء الذي يتردد فيه فكرة الإنسان، وإن كان في القافية شيء من الضعف، ولكننا نعجب حينما نرى أن طالب الصف الخامس قد ترجم قصيدة من اللغة الأجنبية إلى لغة الأم شعرا، حيث إنه ما كان له تبحر في الشعر والشاعرية، ولكن ذهنه الوقاد وملكته الطبيعية قد يسرا له ذلك.

إن الشيرازي قد صنّف في شتى المجالات من الأدب البنغالي، فقلمه يجري في الشعر والرواية والمقالة على السواء، فمن جهوده في الشعر (النار الملتهبة)و (القصيدة التعليمية الكبرى) و(الافتتاح)، و(الإثارة الجديدة)، و(اليأس)، و(قصيدة فتح الأندلس)، و(أهداب الحب) و(تحيات الغناء) وغيرها، إلى جانب أنه صنف

راي نندني، تارا بائي، فيروزه بيغم، نور الدين، وغيرها من الروايات البارعة، كما أنه صنف (السفر إلى تركيا) في مجلدين، وشيريا بهرمن (السفر إلى سوريا) وغيرها، من كتب الرحلات، وما عدا ذلك فقد ألف عددا ضخما من المقالات التي تدل على سعة علومه ومعارفه، وأيضا تدل على تفكيره في بناء المجتمع الإنساني على أساس النموذج الإسلامي، فمن أشهر مقالاته (الفكرة الخيرية)، و(تعليم البنات) و(تعليم الأدب والسلوك) و(حياة المرأة التركية) و(تمدن المسلمين في الأندلس) وغيرها.

إن السيد إسماعيل حسين الشيرازي كان أديباً كما أنه كان شاعرا، وإن دراسته الأدبية كانت عند خمود الأدب البنغالي لدى الأدباء المسلمين بعد مير مشرف حسين وكيقباد وقبل مجيء القاضي نذر الإسلام، وقد نشر «انل فربا» أولا في عام ١٩٠٠م حيث نجد فيها تصويرا صادقا لهذا العصر، ووصف أحوال المسلمين في هذه الدولة، وفي هذه الفترة نجد أن الشعراء والكتاب الهنود قد انهمكوا بالأساطير والخرافات الاجتماعية، وهذه الأفكار الضالة قد تركت أثراً ملموساً في أعمالهم الأدبية، ومن ناحية أخرى نجد أن الشاعر الشيرازي حاول أن يدخل الأفكار الصحيحة في أعماله الأدبية وقد وفق في كفاحه ومحاولته لبيان مميزات الدين الحنيف وتأييد أصول الإسلام في المجتمع بأشعاره وأعماله الأدبية توفيقاً كبيراً، فحياة شاعرنا تصوير صادق لكفاح متواصل في هذا الصدد، وكان كفاحه هذا ضد الملحدين والمستبدين.

إن الشيرازي قضى حياته مفكرا في إصلاح القوم والبلاد، وعبر عن ذلك بأشعاره، ولكن الأصول التعبيرية والقيم الأدبية أقصر من عاطفته وحرارة قلبه، حينما طبع «انل فربا» كثر الكلام حولها، وقد ذاعت شهرته من قبل، فلذا صار هدفا للأدباء، لأن أشعاره كانت مملوءة بالخيال والعاطفة بلغة بليغة فصيحة ومعان عميقة مع أنه ذكر فيها آثار الثقافة القديمة للإسلام والمسلمين وتاريخ المسلمين الذهبي.

بذل الشاعر قصارى جهوده في استرجاع ماضي المسلمين المجيد وعزهم التليد، وأراد أن يثير عواطف قومه، ويثبت حب بلاده في قلوب شعبه بأشعاره الثورية، وإن حدّ القومية عنده هي القومية التي تكون بالدين والمذهب، ونظريته هذه خلاف النظرة القومية العنصرية. إن شعراء الهنود في سلطة الإنجليز بذلوا جهودهم لتأسيس القومية الهندوكية، وإلى جانب آخر كان رائد القومية الإسلامية بالشعر السيد إسماعيل حسين الشيرازي ومزمل الحق وكيقباد. إن القومية الهندوكية تبنى على الدين الهندوكي، فلذا كان موضوع أشعارهم حينئذ يدور حول دينهم ووقائع تاريخهم، أو الأخبار التي تناسب مآثر تاريخهم.

ونحن نرى أنه ما كان للمسلمين من سبيل إلى النجاة إلا أن يرسم أدباؤهم عندهم مآثرهم الغابرة، فبدؤوا يدرسون الأدب والشعر، وشرعوا يثيرون الناس بالقومية الإسلامية، وهذه القومية كانت موضوعاً أساسياً في شعر إسماعيل الشيرازي. كما لعب دورا خطيرا في إصلاح القوم والوطن بأعماله الأدبية وقد نبذ الحياة في أغلال الاستعباد وفقدان الحرية ودعا إلى حياة جديدة وهي حياة الحرية والاستقلال، كما أبعد الظلمة الحالكة التي أحاطت بآفاق الهند بانحطاط الدولة على أيدي الإنجليز بمؤامرات مير جعفر علي خان ويار لطيف وامي صاند وراي ولوو، وأنشأ فكرة جديدة في نفوس مسلمي الهند وأشعاره توضح هذه الفكرة.

والشيرازي وإن استخدم ألفاظا سنسكريتية وعبارات مغلقة غريبة، فإننا نجد في أشعاره سلاسة ورقة يلذ بها القارئ، حيث إن القراء لا ينظرون إلى حسن اللفظ فقط بل يلتمسون ما فيه من حسن الأداء وعمق المعنى الذي يشبه حياتهم العادية، وهذه هي ميزته الفذة، ومن هذه الناحية نحن نستطيع أن نقول إن الشيرازي قد أثر في الشعر البنغالي تأثيرا خاصا بالفكرة العقدية، فلذا سعد بنيل شرف الريادة في هذا المجال، وصار مثالا حيا للشعراء بعده.

إن هدفه كان اطراح الآلام والمصائب عن الأمة البنغالية المسلمة خاصة، وعن جميع الأمة عامة، وإن كان لم يدرك النجاح التام، ولكنه قد خطا الخطوات الأولى القوية في هذا الموضوع.

قد تختلف موضوعات أشعار الشيرازي باختلاف الأزمنة وأحوال السياسة، فقد بذل أقصى جهوده وكفاحه لإزالة العوائق عن الحياة الفردية والاجتماعية بأشعاره الحماسية، فأشعاره في جميع مؤلفاته تجري على نسق خطابي، فاضطرمت الرغبة في الدعوة والتبليغ في قلوب الخاصة والعامة من الناس، فقد هدى الأمة إلى الطريق القويم وهو طريق الفلاح والنجاح، وشجع الأمة على طلب العلم وطرح الكسل والزخرفة، ولزوم العمل والتعليم العسكري للحفاظ على البلاد، ودعاهم إلى نشر تعاليم القرآن والحديث وتأليف كتب السيرة.

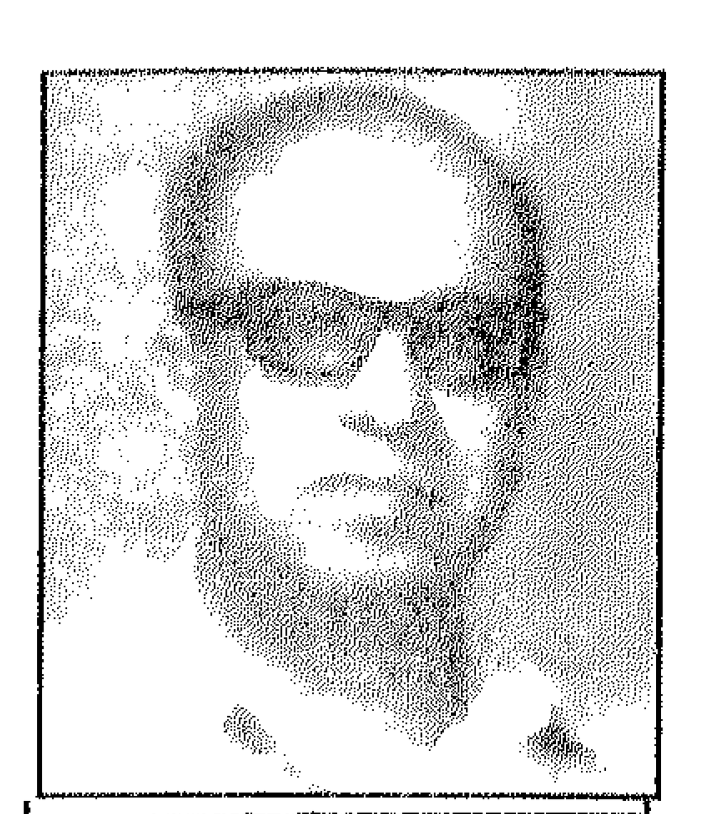
وأخيرا نستطيع أن نقول إن إسماعيل حسين الشيرازي هو من أعلام الإسلام الذين أسهموا في تأسيس الحضارة الإنسانية بكدهم وجهودهم، ومسحوا العبرات من عيون البائسين المعدومين بمساعيهم وخدماتهم الجليلة وملأ قلوبهم بالأمل بالأشعار البنغالية. كافح ضد الإنجليز والمستبدين والمتعصبين، فنجحت مساعيه أيما نجاح.

---

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية والفارسية - جامعة شيتاغونغ.

قصة قصيرة

زائر غير مرغوب فيه



بقلم / محمد يوسف التاجي
مصر

كنت في نقاش مع شيخي أرى أن الشيطان لا يمكن أن يتعقب المؤمنين بخاصة لأنهم مؤمنون بالله سبحانه، وكان شيخي يرى بخلاف ذلك أن الشيطان لا يزور العُصاة من خلق الله أو يترصدهم، لأن أمرهم بالنسبة إليه مفروغ منه، ولا يحتاجون إلى تضليله فهم ضالون بطبيعتهم. بل هو يترصد المؤمنين منهم الذين يتنكبون طريقه عملا بقوله سبحانه: **(فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين).**

ولما كنت فرغت لتوي من صلاتي القلقة، وانشغلت حينا عن ترديد أذكاري وأورادي التي تعودت عليها كل ليلة قبل أن آوي إلى فراشي،إذ بي أراه أمامي - لم أتنبه إلى أنه دق جرس الباب، وأني فتحت له أم لا ؟!- كان رجلا طويلا شديد النحافة يشبه إلى حد ما جاري. لا أكاد أتبين ملامحه من شدة بروز عظامه، ذا عينين ناريتين، شديدتي الغور، ذاصوت يشبه الفحيح ارتعدت له بمجرد سماعه يلقي عليَّ تحية المساء.

كنت قبل أن أراه مباشرة أقلب في رأسي فكرة أن أستغل فرصة الارتفاع المفاجئ في سعر سلعة ما، اشتريتها قبلُ رخيصة، لمضاعفة أرباحي منها، وبقي أن أحدّد مقدار الزيادة التي ينبغي أن أضيفها للسعر القديم لأحقق ذلك الربح، تمهيداً لإتمام أمر لايعلمه أحد سواي إلا الله. عجبت له يخبرني به واضعاً كفه على كتفي وهو يقول:- يمكنك إضافة كذا إلى السعر لتجمع أكبر قدر من الربح يُعينك على استكمال البناء.

- لكن كيف عرفت أني بسبيل رفع سعر هذه السلعة، وأن عندي بناء أود استكماله ؟!

- أبداً.. إنما أنا رجل على معرفة تامة بأحوال السوق هذا من جهة، ولعلك لم تنس أني تاجر أصلاً، وأني جارك القريب منك بحيث لايكاد يخفى عليَّ شيء من أحوالك وأحوال جيراننا الآخرين من جهة أخرى.

- لكن.. لماذا جئتني اليوم على وجه الخصوص؟!

- قلت أتسامر معك.. وأعينك قليلاً على همومك.

- لكنك تبدو وكأنك تردِّد ما بنفسي مما لايعلمه أحد سواي إلا الله ؟!

- ما أردت إلا أن أنصح لك.. فما لك تفهمني خطأ؟!

ومع أنه اختفى فجأة كما ظهر فجأة، فإني لم أستغرب ذلك لأني من البداية كنت أتوجَّس من زيارته هذه الغريبة. كيف جاء ؟! كيف انصرف ؟! كيف عرف ما بداخلي ؟! كيف حرص على أن يشغل عقلي بهذا الشكل الغريب المثير ؟! كيف ؟! كيف ؟!

بل إن إحساسي بالرِّعدة الذي صاحب حضوره صار يزداد بعد انصرافه أضعافاً مضاعفة!!

ولم أستطع أن أستمر في تفكيري هذا الذي أخذ بخناقي لأن جرس الباب رنَّ، فقمت لأفتحه وأستقبل ـ مُصعداً تنهداتي ـ شيخي الذي دخل إلى غرفة الجلوس وهو يسألني قبل أن يجلس: مالك؟!

ـ ماذا يبدو عليَّ؟!

ـ كأنك غريق انتُشلْتَ من جُبّ !!

ـ هو ذا..!

وبدأت أروي له كيف زارني الزائر الغريب، وكيف ارتعدت لرؤيته وتوجَّستُ منه خيفة، وكيف أطلعني على أمور مما كانت تدور في نفسي وحدي، لايعلمها سواي إلا ربي سبحانه. ثم ذكرت له ملحوظتي:دخوله وخروجه المثيرين إلى المكان، فقال:

ـ أو لم تعلم بعد من كان عندك؟! لقد كان زائرك هو الملعون، وأعاذنا سبحانه من مكره وشرّه.

ـ تقصد؟!!

فقال مقاطعاً: مَن لايُسمَّى.. نعم.. ألم تقرأ قوله صلى الله عليه وسلم **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم في العروق)**، ألا يكون بهذا عالماً بما كنت تحدث به نفسك؟!

ـ ولكنه جاء في صورة رجل من جيراني أعرفه!!

ـ ربما بدا لك كذلك، فالجن ـ وهو منهم على حد ماجاء بقوله سبحانه **(كان من الجن ففسق عن أمر ربه)** ـ لهم قدرة على التشكل والتمثل. وهي ولاشك ليست أول مرة يأتيك فيها؟!

هي أول مرة لظهوره في هذا الشكل. أما في المرّات السابقة، فلم يكن يأتي ظاهراً، كان يأتي في شكل وسوسة مُلِحَّة بالشَّر، كادت تودي ببيتي مرة مطلِّقاً أم الأولاد، وكادت تودي بمستقبلي. ومرة أخرى محرِّضاً على عمل حرام، وها هو ذا يأتي هذه المرة ظاهراً ليودي بتجارتي التي أقمتها منذ بدأت على الحلال الصِّرف!

ـ المهم ألاّ يودي بدينك ويقينك. ولعلك لاحظت أنه دهمك فيها بوقت صلاتك وذكرك حتى شغلك عنهما.. أليس كذلك؟!

ـ بلى..

ـ فلماذا زارك أنت خاصة؟!


ـ لا أدري.

ـ لكني أدري. إنه زارك وأتباعه زاروا أمثالك من المؤمنين، ولا أجاوز الحق حين أقول ترصَّدك وترصَّدوهم ليخرجوكم عن الجادة المستقيمة كما سبق أن قلت لك، هل صدَّقت الآن؟!. أما رأيك فيمسُّ المتقين حقاً.. أولئك الذين غلبوا أعداءهم الثلاثة: النفس والشيطان والهوى!! أولئك في حصن الرحمن حقاً.. ولايقربهم الشيطان مطلقاً.. ذلك واضح من اعتراف الملعون لربه حين قال : **(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين)**، وهو اعتراف مطابق لتقدير الله سبحانه الوارد في قوله: **(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)** كانت الأمور قد تكشَّفت لي تماماً حتى وجدتني أقول:

ـ لست محتاجاً إذن لأسألك عما أفعله في هذا الموضوع الذي كان معتنى صاحب الفتوى فيه هو هذا الملعون!!

ـ طبعاً .. طبعاً.. اضرب بفتواه عرض الحائط، فليس أكثر بركة من الرزق الحلال..قليله كثير.. هيا ياشيخ.

ألا ما أخبثه يوَد لو لم يُخْلَد في النار وحده. أن يجذب إليها من يجذب من خيرة خلق الله.. ألا لعنة الله عليه» ووجدتني أطوح بيدي في الهواء قائلاً: يا له من زائر غير مرغوب فيه حقاً!!



من تراث الشعر

وصف الحمى*

للمتنبي

وزائرتي كأن بها حياء ... فليس تزور إلا في الظلام(١)

بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت في عظامي(٢)

يضيق الجلد عن نفسي وعنها ... فتوسعه بأنواع السقام(٣)

أراقب وقتها من غير شوق ... مراقبة المشوق المستهام(٤)

ويصدق وعدها والصدق شر ... إذا ألقاك في الكرب العظام(٥)

أبنت الدهر عندي كل بنت ... فكيف وصلتِ أنت من الزحام(٦)

يقول لي الطبيب أكلت شيئاً ... وداؤك في شرابِكَ والطعام(٧)

وما في طبه أني جواد ... أضر بجسمه طول الجمام(٨)

تعود أن يغبر في السرايا ... ويدخل من قتام في قتام(٩)

فأمسك لا يطال له فيرعى ... ولا هو في العليق ولا اللجام(١٠)

فإن أمرض فما مرض اصطباري ... وإن أحمم فما حم اعتزامي(١١)

وإن أسلم فما أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام(١٢)

==========

* شرح البرقوقي لديوان المتنبي (٢٧٦/٤)

(١) وزائرتي: أي ورب زائرة لي - يريد الحمى وكانت تأتيه ليلا.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خز في جنبه علمان، والحشايا: جمع حشية، وهي ما حشي من الفراش مما يجلس عليه. وعافتها: كرهتها وأبتها.

(٣) يقول: جلدي لا يسعها ولا يسع أنفاسي للصعداء، والحمى تذهب لحمي وتوسع جلدي بما توردة علي من أنواع السقام.

(٤) يقول: إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا.

(٥) يقول: إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميقاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع، كمن أوعد ثم صدق في وعيده.

(٦) يريد ببنت الدهر: الحمى، وبنات الدهر. شدائده.

(٧) و(٨) الجمام: الراحة. يقول: إن الطبيب يظن أن سبب دائي الأكل والشرب فيقول: أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس في طبه أن الذي أضر بجسمي طول لبثي وقعودي عن الأسفار، كالفرس الجواد، يضر بجسمه طول قيامه في المرابط، فيفتر وينى.

(٩) السرايا: جمع سرية، وهي القطعة في الجيش تسري إلى العدوة. والقتام: الغبار، وأراد بدخول القتام: حضور الحرب.

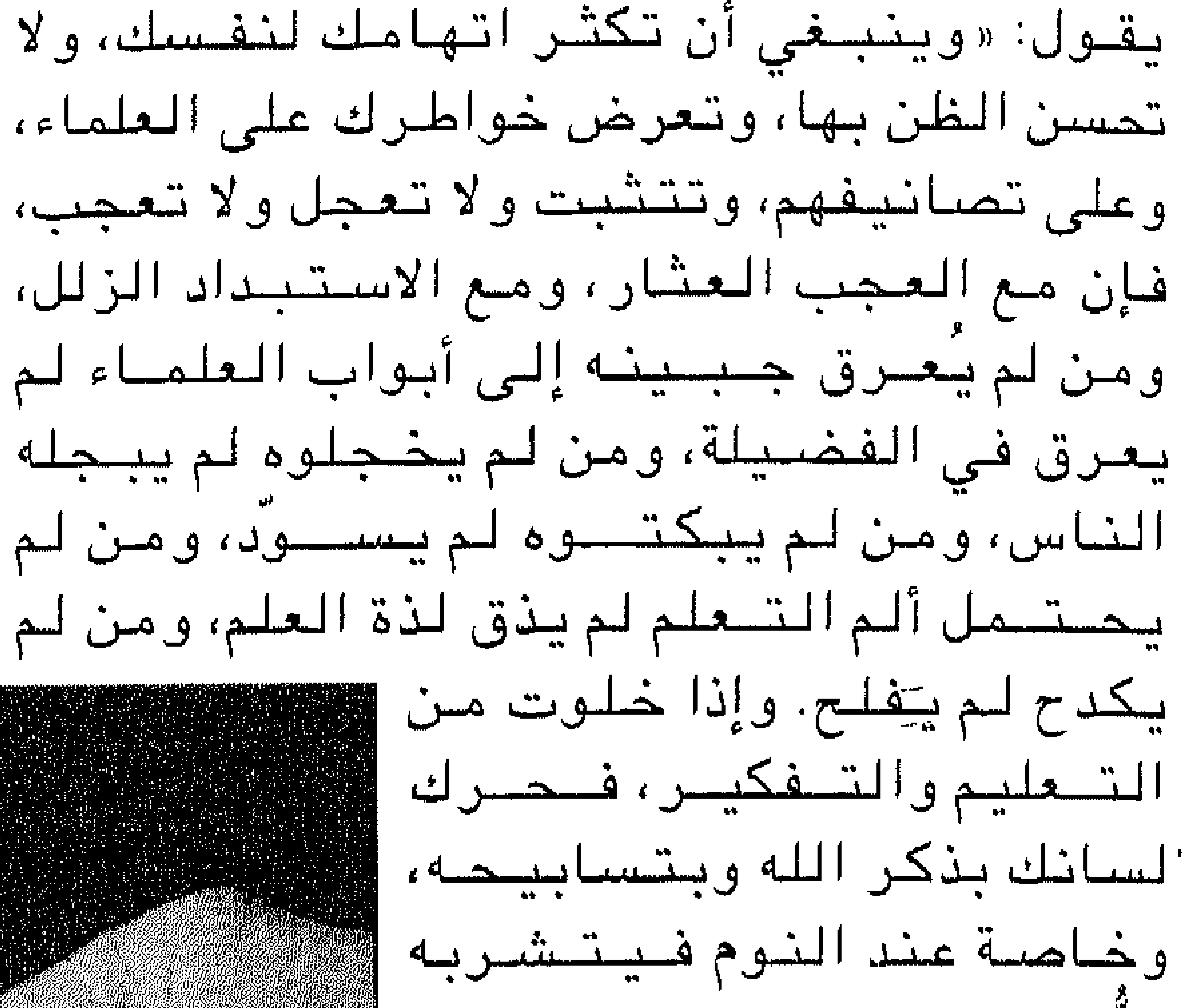
(١٠)فأمسك: أي الجواد. ولا يطال له: أي لا يرخى طوله، وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى.

(١١) أحمم: من الحمّى.

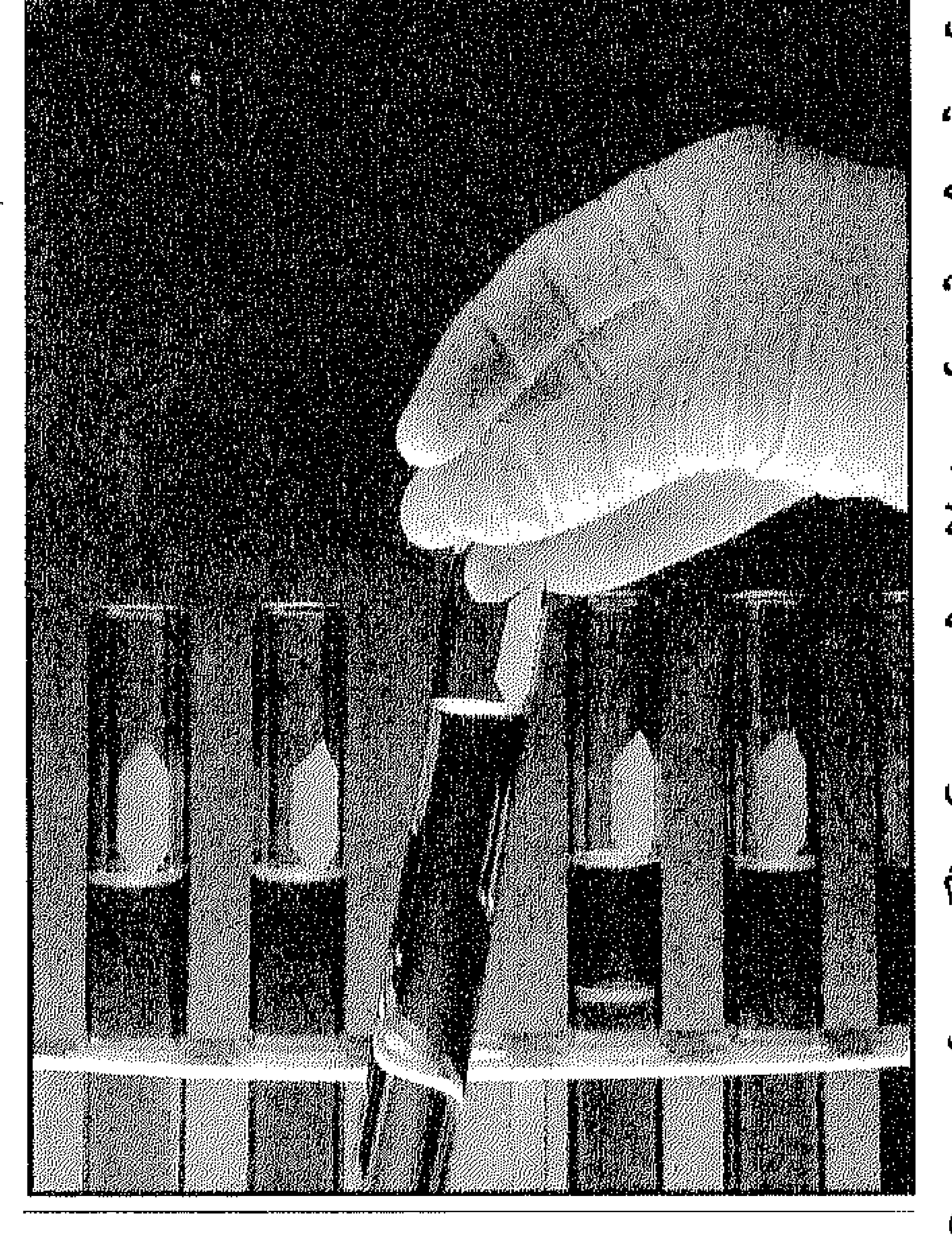
(١٢) الحِمام: الموت.

وصية جامعة للأطباء، وطلبة العلم*

عبداللطيف البغدادي (ابن اللباد)**



يقول: «وينبغي أن تكثر اتهامك لنفسك، ولا تحسن الظن بها، وتعرض خواطرك على العلماء، وعلى تصانيفهم، وتتثبت ولا تعجل ولا تعجب، فإن مع العجب العثار، ومع الاستبداد الزلل، ومن لم يُعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس، ومن لم يبكتوه لم يسوّد، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يَفلح. وإذا خلوت من التعليم والتفكير، فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه، وخاصة عند النوم فيتشربه لبُّك، ويتعجن في خيالك، وتتكلم به في منامك، وإذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا، فاذكر الموت وسرعة الزوال، وأصناف المنغصات، وإذا حَزَبَك أمر فاسترجع. وإذا اعترتك غفلة فاستغفر، واجعل الموت نصب عينيك، والعلم والتقى زادك إلى الآخرة، وإذا أردت أن تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه.



واعلم أن الناس عيون الله على العبد، يريهم خيره وإن أخفاه، وشره وإن ستره، فباطنه مكشوف لله، والله يكشفه لعباده، فعليك أن تجعل باطنك خيرا من ظاهرك، وسرك أصح من علانيتك، ولا تتألم إذا أعرضت عنك الدنيا، فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل، وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة، إلا أن يكون شريف الهمة جدا، أو أن يثري بعد تحصيل العلم، وإني لا أقول: إن الدنيا تعرض عن طالب العلم ،بل هو الذي يعرض عنها، لأن همته مصروفة إلى العلم، فلا يبقى له التفات إلى الدنيا، والدنيا إنما تحصل بحرص وفكر في وجوهها، فإذا غفل عن أسبابها لم تأته، وأيضا فإن طالب العالم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة، والمكاسب الدنيئة وعن أصناف التجارات، وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم، ولبعض إخواننا ... شعر.

من جدّ في طلب العلوم فإنه
شرف العلوم دناءة التحصيل

وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ لها، وحذق فيها، وصرف الزمان إليها، والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك، وإنما ينتظر أن تأتيه الدنيا بلا سبب، وتطلبه من غير أن يطلبها طلب مثلها، وهذه ظلم منه وعدوان، ولكن إذا تمكن الرجل في العلم، وشهر به خطب من كل جهة، وعرضت عليه المناصب، وجاءته الدنيا صاغرة، وأخذها وماء وجهه موفور، وعرضه ودينه مصون. واعلم أن للعلم عبقا وعرفا ينادي على صاحبه، ونورا وضياء يشرق عليه، ويدل عليه، كتاجر المسك، لا يخفى مكانه، ولا تجهل بضاعته، وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم، والعالم مع هذا محبوب أينما كان، وكيفما كان، لا يجد إلا من يميل إليه، ويؤثر قربه ويأنس به، ويرتاح بمداواته.

واعلم أن العلوم تفور ثم تغور، تفور في زمان، وتغور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه، وتنتقل من قوم إلى قوم ومن صقع إلى صقع.

* من كتاب: أطباء حكماء ص ٣٤ - ٣٨ تأليف د. عبدالجبار دية.

** هو الشيخ الإمام موفق الدين أبو الفضل عبداللطيف بن يوسف، ويعرف بابن اللباد، موصلي الأصل، بغدادي المولد سنة ٥٧٧هـ. كان طبيباً، ومتميزاً في النحو والعربية، وعارفاً بعلم الكلام، بلغ عدد مؤلفاته مئة وسبعين كتاباً، توفي في بغداد سنة ٦٢٩هـ.

رؤيـة.. في التصور الإسلامي للأدب

إبراهيم نويري
الجزائر

اعتنى الإسلام عناية خاصة بالكلمة الطيبة، واعتبرها سلاحه الأول في مواجهة الكلمة الخبيثة، واستئصال بذور الشر من أعماق مكنونات النفس والمجتمع.. لقد احتلت الكلمة في النصوص الإسلامية المقدسة، أو في علاقات وارتباطات المجتمع الإسلامي مكانة سامقة لم تصل إليها يوما في حضارات ومدنيات ما قبل الإسلام.. وهكذا وجدنا الكلمة الطيبة قد لعبت دورا طلائعيا متميزا وفاعلا، سواء على مستوى تأسيس المجتمع الإسلامي الأول في المدينة، أو على مستوى إنجازات ومكتسبات حركة الدعوة والفتح الإسلامي.

وعلى صعيد الكلمة الطيبة.. أو الكلمة المسؤولة يقف الأدب الإسلامي في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع الإسلامي، في المقدمة للذود عن مبادئ هذا الدين، والإسهام في الدعوة، وإعطاء الصورة الصادقة لحقيقة المجتمع وطبيعة الحضارة، التي ينشدها الإسلام.. ونحن هنا نود التوقف قليلا قصد التعرف على التصور الإسلامي للأدب، وأبعاد هذا التصور في نطاق علاقة الإنسان بالكون والحياة والعلاقات البشرية.

الأدب في التصور الإسلامي:

يرى الإسلام أن الأدب - كسائر الفنون - هو تعبير موح عن قيم حية، وهواجس إنسانية ينفعل بها ضمير الفنان أو صاحب الروح الشاعرة.

هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون والحياة، وبين الناس بعضهم بعضاً(١).

فالأدب - إذن - بالمعنى العام، أو وفق النظرة الشمولية تعبير متكامل عن الحياة في شتى لحظاتها وحالاتها المختلفة، أو هو إعادة تصوير انفعالي لمختلف الظواهر والحالات والتفاعلات الإنسانية والنفسية.

ونحن هنا نستطيع أن نميز بين ضربين من الأدب: ضرب يحاول أن يصور الإنسان في صورته المقهورة.. أي في لحظات الضعف.. فهو يتتبع باستمرار زلات الإنسان وعثراته وكبواته، بما فيها النابعة عن بشريته وطبيعته التي فطر عليها؛ ويحاول دائما، وبمختلف الوسائل أن يلطخ الفضيلة ويفسد العلائق الفطرية الطاهرة بين الناس، ويرى أن الأخلاق والحياء والمروءة إنما هي أغلال يجب إزاحتها.. ومن ثمة فإنه يحق لنا أن نسمي هذا الأدب: الأدب الأسود! أو أدب الانحلال!.

وضرب يصور الإنسان في حالاته الواقعية، ويقدر أن الإنسان ليس ملكا لا يعصي الله ما أمره ويفعل ما يؤمر، وليس شيطانا جبل على التمرد وطبع على العصيان، وليس حيوانا تحكمه غرائزه فحسب، هذا الأدب الذي يعبر

عن واقع الكائن البشري ويصف حقيقته كما هي غالبا ودوما تعبير صادق عن توازن حياة الإنسان ووسطيتها.. والمفهوم الإسلامي للأدب هو من هذا النوع الأخير.

يقول سيد قطب - رحمه الله -: «إن الأدب أو الفن المنبثق عن التصور الإسلامي أدب أو فن موجه، بحكم أن الإسلام حركة تجديد وترقية مستمرة للحياة، فهو لا يرضى بالواقع في لحظة أو جيل، ولا يبرره أو يزينه لمجرد أنه واقع، فمهمته الرئيسية هي تغيير هذا الواقع وتحسينه، والإيحاء الدائم بالحركة المنشئة لصور متجددة من الحياة.

كذلك ليست وظيفة هذا الأدب أو الفن هي تزوير الشخصية الإنسانية أو الواقع الحيوي، وإبراز الحياة البشرية في صورة مثالية لا وجود لها، إنما هو الصدق في تصوير المقدرات الكامنة أو الظاهرة في الإنسان، والصدق كذلك في تصوير أهداف الحياة اللائقة بعالم من البشر، لا بقطيع من الذئاب!»(٢).

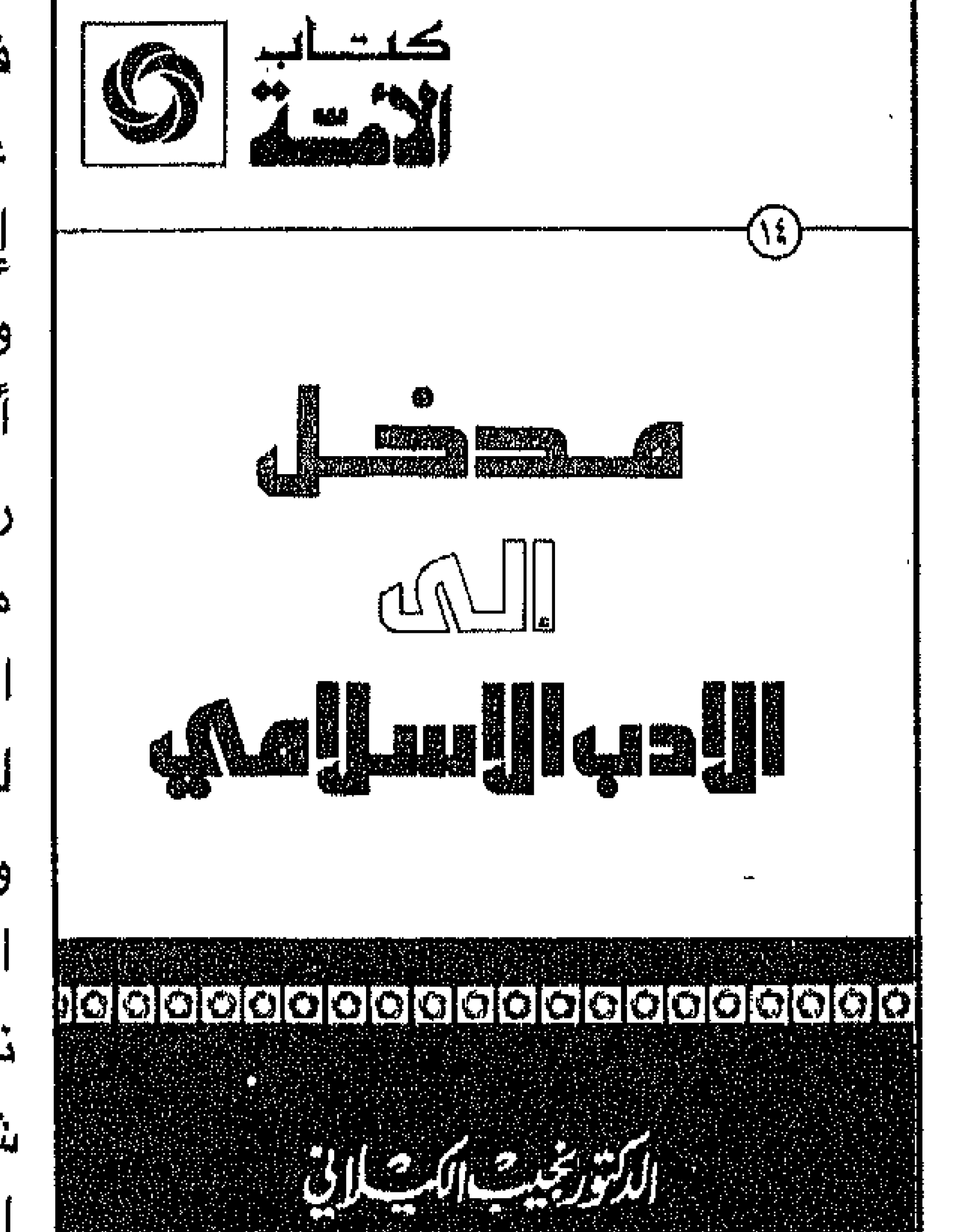
وهكذا يستقر في الذهن أن الأدب الإسلامي، أو الأدب كما يريده الإسلام هو الأدب الذي يدفع الإنسان إلى الأمام، ويطلقه من إسار التخلف، ويصور الحياة الواقعية بآمالها وآلامها سواء، ويشحن النفوس بالعزم، وينير العقول بالمعارف السليمة، ويدعو إلى التراحم والوقوف إلى جانب الحق والخير والعدل والجمال.

أما الأدب الذي يصطدم بالتصور الإسلامي، ولا يجد له مكانة في واقع المجتمع الإسلامي فهو الأدب الذي يتملق الحقائق، ويتاجر بعواطف الناس، ولا يقدر مشاعرهم، ولا يصور الكائن البشري إلا في لحظاته الهابطة المتردية.. لحظات الضعف أو الخضوع للضرورة، لا لحظات الترفع والسمو والارتقاء.

وبديهي أن هذا الأدب أدب مزور؛ ولو كان لا يغفل في انفعالاته التصويرية بعض الجوانب الحيوية المركوزة في فطرة الإنسان وتركيبته الطبيعية.

المضمون في الأدب الإسلامي:

يرى بعض المتحاملين على الأدب الإسلامي أن هذا الأدب يفتقر في مضامينه إلى الجوانب الفنية والجمالية - بسبب مرتكزه الأخلاقي - التي تُعتبر القيمة الحقيقية والمقوم الأساس لكل أدب.. والواقع أن الأدب الإسلامي يحرص أشد الحرص على مضمونه الفكري النابع من قيم الإسلام العريقة، ويجعل من ذلك المضمون ومن الشكل الفني نسيجا واحدا معبرا أصدق تعبير.. ويعول كثيرا على الأثر أو الانطباع الذي يترسب لدى المتلقي، ويتفاعل معه، ويساهم في تشكيل أهوائه ومواقفه.. إن هذا الأدب يستوعب الحياة بكل ما فيها، ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة(٣)؛ إنه ليس من الضروري في الأدب الإسلامي أن يدور الكلام على المفاهيم الدينية وتفصيلاتها..، إن نطاقه أوسع آلاف المرات حتى وإن بدا لبعض المتحاملين أنه أدب أخلاق فقط، إن من يعتقدون أن رواد الأدب الإسلامي اليوم منحصرون في بوتقة المفاهيم الدينية المباشرة في تعاطيهم للأدب - من الناحية الفنية - واهمون وبعيدون عن الحقيقة الموضوعية، ولعل روايات الدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله - خير شاهد في دفع تلك التحاملات المشبوهة.



يقول الأستاذ محمد قطب في هذا الصدد: «.. الشعر الذي يتحدث عن جمال الطبيعة الفاتنة، الذي يتحدث عن القوة، الذي يتحدث عن انطلاق الطاقة البشرية للعمل والإنتاج، الذي يتحدث عن العواطف الإنسانية النظيفة، الذي يدفع ويحرك إلى الأمام، الذي يفتح الأمل أمام البشرية، الذي يشعر الناس بجمال الحياة، وأنها جديرة بأن يحياها الإنسان، الذي يتحدث عن آلام البشر، الذي يدعو إلى إزالة المظالم وإصلاح الفساد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الذي يصف الحياة كما ينبغي أن تكون.. كل ذلك شعر إسلامي لأنه تعبير عن الفطرة النظيفة، ولو لم يُذكر فيه مرة واحدة اسم الدين ولا مفاهيم الدين المباشرة»(٤).

ونخلص من هذا إلى أن الأدب الإسلامي أدب موجه يخاطب الفطرة البشرية، كما يخاطب الضمير العفيف وأشواق الروح، ويشكل بذلك كله تصورا عاما للحياة ولعلاقة الإنسان بهذه الحياة، وعلاقة البشرية كلها بعضها ببعض.

ولكنه في كل ذلك له أسلوبه الخاص به وطريقته المتميزة في التناول والتقدير.. فهو باختصار: انفعالات المشاعر النظيفة بمؤشراتها النفسية والروحية تجاه الطموحات الإنسانية المتقدمة، كل ذلك مع عناية بالأبعاد الفنية والصور الجمالية المتناغمة مع مضمون أخلاقي ذي طابع إنساني كوني.

فليس هناك من قيود أو سدود - إذن - تحول دون انطلاقة المضمون في الأدب الإسلامي أو الفنون الإسلامية عامة.

فالأدب الإسلامي بإمكانه تناول أي موضوع في الحياة الإنسانية دونما تحديد أو تقييد، لكن له منهجه الخاص في تناول كل موضوعاته، فهو لا ينظر إلى الظواهر مقطوعة عن خلفياتها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وإنما هو منظور متكامل يستند إلى خلفية حضارية هي مقاصد الوحي الكريم.

الأديب المسلم وعملية البناء:

إن الأدب الإسلامي لا يمكن له أن ينطلق في عملية البناء الحضاري والتأسيس الاجتماعي إلا إذا كان الأديب المسلم واعيا ومدركا لدوره الحقيقي، مع استيعاب شامل للواقع الذي يتحرك فيه، وفقه متبصر بطبيعة وخلفيات الصراع الحضاري والفكري الذي تخوضه أمتنا.

إن الأديب المسلم لا يمكنه أن يقف بعيدا عما يجري، وإنما عليه أن يأخذ موقعه، ويسهم في حدود طاقته في عملية الإصلاح الاجتماعي، كمعالجة بعض الظواهر المرضية والتصدي لها بما يحقق المصلحة العامة لمجتمعه وأمته والإنسانية؛ ويمكن للأديب المسلم ممارسة الفعل الاجتماعي بمفهومه الواسع حتى يجعل من الأدب الإسلامي حقيقة واقعية ملموسة يحس بها الجميع.. ولا شك أن اتساع رقعة العمل الخيري يتيح إمكانية ممارسة هذا الفعل والارتقاء به إلى مستوى السلوك الحضاري الفاعل.

ومن جهة أخرى ينبغي أيضا الاهتمام بالأديب المسلم، لأننا حين نفعل ذلك نستطيع أن نسدي إليه النصح والتوجيه، ونذكره بحق المجتمع عليه؛ بأن يعيش قضاياه، ويعبر عن طموحاته وأمانيه، ويرسي - قبل ذلك - دعائم الحق والخير فيه، مع ريادة الآفاق المتنوعة المتكاملة التي تشيد بناءه الوجداني، مع نكران للذات وبُعد عن التماس الشهرة، واحتساب ذلك كله عبادة لله تعالى (٦)؛ إن الأديب المسلم مطالب اليوم بأن يفقه معادلة التوفيق والتوازن بين الحق والواجب.. وذلك طريقه إلى الوعي والالتزام.

وهذا الطريق واضحة منائره ومعالمه.. لأنه وجده الطريق المؤدي إلى تحقيق الرضوان الأعلى في الآخرة، ونفع الإنسانية اليوم في هذه الحياة التي نعيش، ومن جهة أخرى فإن المتبصرين بهذه المجالات من النقاد وأصحاب الفكر والرأي عليهم واجب مقدس، يمليه عليهم ويفرضه ضميرهم الديني وشعورهم النظيف، ألا وهو واجب مؤازرة الأديب المسلم في إبلاغ رسالته، وتنويره بالأفكار والآراء والنصائح والمقترحات التي تساعده وتفتح أمامه آفاقا رحبة، وآمادا شاسعة.. فيمضي في طريقه مطمئن السريرة، موصول الخطى، متوقد العزم.. وبتلك الصورة التكاملية الرائعة تؤدى الرسالات الكبيرة وتتفوق المهمات النبيلة الخيرة، وينتصر الحق والعدل.

١- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، ص ١١، دار الشروق، بيروت.

٢- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص ٢٨٤، دار الشروق، بيروت.

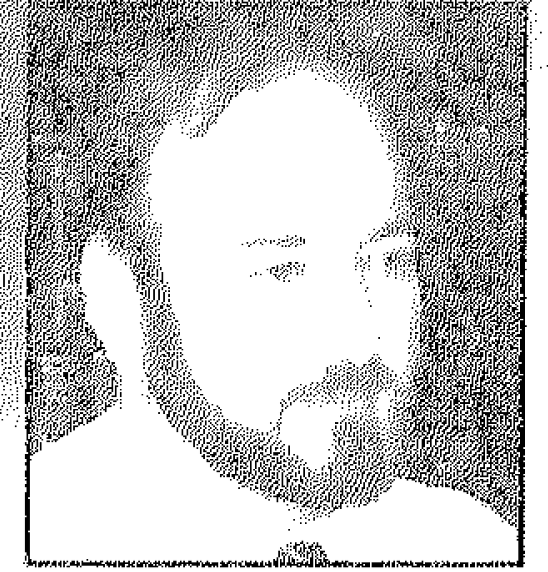
٣- انظر: د. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص ٣٤، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة.

٤- محمد قطب، معركة التقاليد، ص ١٣٤/١٣٥، دار الشروق، بيروت.

٥- محمد مراح، في الأدب الإسلامي، مجلة العالم اللندنية، العدد رقم ٢٨٨.

٦- د. محمد عادل الهاشمي، في الأدب الإسلامي.. تجارب ومواقف، ص ٣٣، دار المنارة، بيروت.





شعر / د. محمد وليد
سورية

سـريت بأحـلامي لدار أحـبـتي
وأنشـدها أشـواق روح دفـيـنة
يقاسي فـؤادي مـا ينوء بحمله
خرجت أغذ السير في مهمه السرى
وتسبح في عرض البحار مراكبي
ومـا أنا دار والبـلاد بعـيـدة
أكابد حـبيَ كالمآذن واقـفـا
ولم ترني غـيـرُ المساجد راكعا
أتعـرفني داري إذا مـا قـصـدتها
وتذكـر أحـلامي بهـا وخـواطري
وتذكـر همـسـاتي ولمسِ أناملي
أرصعـهـا بالدر في كل حـجـرة
وأطيـار أحـلامي ترف بخـافـقي
تركـتك يا داري وفي القلب غـصـة
حنانيك من دار فـمـا أنا زاهد
فـهل غـيـرتك الناس يا دار بعدنا
وأخشى الذي أخشاه أن يدرك الونى
وتنسى وصـالي إذ تعـذر وصلها
تسـائلني أمي مـتى يوم عـودتي
أقـول بعـون الله.. في كل غـدوة
دياري ديار العـ[illegible] تحـيـا بغـربة
ورغم ابتـلا[illegible]ـا تزال وفـيـة
سأسعى إليها [illegible]ـحا عن جـبـينها
وأسـألها أن [illegible]ـر البين والنوى

أبلغـهـا حـبي وعـتبي وحـرمـتي
وأحكي لهـا عـمـا أعـاني بغـربتي
ولكن عـيـني لا تبوح بعـبـرتي
ألا في سـبـيل الله قـصـدي وهجـرتي
تغـالب أمـواج الظلام بهـمـة
مـتى يوم مـرسـاها.. وأيان عـودتي
وأسـمـو بأشـواقي إلى حيث جنتي
وغـيـرُ إلهي لا يراني بذلتي
وتذكـرني من بعـد عـشـرين حـجـة
وتذكـر أيامـا قـضـتها بصحـبتي
وتذكـر فـرشـاتي وحـبري وريشـتي
وأكـسـو ثراها من خـيـالي ولوعـتي
وأشـواق أشـواقي تطير بصـبـوتي
كـأني يوم البين غـادرت مـهـجـتي
بريـاكِ لكـني عـنيت بغـربتي
وكـرُّ الليـالي.. ليلة بعـد ليلة
فـؤادي.. وتنسى تلكم الأرض قـصـتي
وتدركني قـبل الوصـال منيـتي
فـ[illegible]ـفق كل الكائنات لخـفـقـتي
لـ[illegible]ـودة أمـاه.. في كل روحـة
و[illegible]ـفـو لأنوار الهـدى والحقيـقـة
تحن إلى قـربي وتهـفـو لطلعـتي
همـومي. فـهم الدار همي ومـحـ[illegible]ـتي
فما البين من طبعي ولا الهجـ[illegible]ـتي



بقايا الذاكرة المحنطة

بدر الدين بريبش
الجزائر

تنفض يدها من غبار الطبشور وتعلق مئزرها الأبيض على تلك الشماعة الواقفة بشموخ منذ تدشين هذه المؤسسة.

كانت قبل أن تعود إلى البيت كعادتها تمر بالمكتبة، تشتري الجرائد لأبيها المتقاعد وبعض المجلات النسائية لها..

تسلك «نورة» نفس الطريق، تقابل نفس الوجوه التي تسند جدارات المدينة البائسة وتدخل البيت، تقدم نفس العرض، قبلة لأمها، سلام لأبيها ثم تعطيه الجرائد التي أدمنها منذ أن أقلع عن التدخين.. قال له الطبيب في آخر زيارة: يجب أن تقلع عن التدخين، إنك عصبي جدا.

– لكن أنا لا أدخن.. لقد أقلعت عن ذلك من زمن بعيد.

– عجيب؟؟ لديك نفس أعراض المدخنين.. ضعف الجسم، توتر الأعصاب اصفرار في العينين.

– أنا لا أدخن.. إنني أقرأ الجرائد فقط؟؟.

تدخل «نورة» بعد ذلك غرفتها.. تلقي بجسدها المنهك على السرير، لقد أحست بتعب شديد جعلها تطلق تنهيدات من العمق، نظرت في السقف، تجاوزته.. وراحت تداعب بعض الأحلام المستحيلة وعذابات هذا الزمن الصعب.. كم هو قصير هذا العمر؟.. اثنتا عشرة سنة تمر على تخرجي من المعهد وكأنها سنة.. بل شهر بل يوم أو أقل من يوم.. كم هو قصير هذا العمر؟.

ما زلت أتذكر قسم الدراسة.. الطاولة ما قبل الأخيرة..أتذكر الزملاء، نكتهم الضاحكة، خفة دمهم حينا وبلادتهم أحيانا أخرى.

كنت فاتنة القسم.. هذا ما يقوله عني الرفقاء.. وما تقوله رسائلهم وبطاقات العام الجديد. حتى فاتح شاعر القسم.. ما زلت أحتفظ بقصيدته الغزلية!!

تخرج نورة من هذا الحلم وهذه الجلسة، لتقفز مسرعة نحو الخزانة.. تخرج ظرفا كبيرا يضم بقايا من حطام الذاكرة.. فتأخذ منه صورة ورسالة. إنها رسالة فاتح، شاعر القسم والفتى الخجول جدا، ليس من عادته كتابة الرسائل الغرامية ولا مخاطبة الجنس اللطيف.

راحت نورة تحاكي الصورة، وتحاول قراءة الرسالة قراءة جديدة وهي تعيش الذكرى والحسرة، تعيش الحلم الصعب.. وهي تقرأ كلمات فاتح: نورة قد تتيه مني العبارات ولا أعثر على الكلمات التي تستطيع أن تصف ما يمتلكني من أحاسيس ومشاعر... نورة أنا لا أقول إنك ربة الجمال رغم أنك جميلة فعلا.. ولا أقول إن الأرض بعدك سوف تتوقف.. أنا إنسان بسيط أكره المغامرة وأكره الحب بالتقسيط، إني أحببتك لأكمل نصف ديني، فلا تضيعي الوقت واسمعيني.

ترفع نورة رأسها المثقل لتقابلها مرآتها الشاهدة على رحلة الضياع.. شاهدة أنه ضاع ما كان لديها، ما كان ذات يوم يجلب الخطاب إليها، حتى الذين يساندون الجدار، لم يعودوا يغازلونها كما كانوا حين تمر بهم في رحلة البيت والمدرسة.. والمدرسة والبيت وكشك الجرائد حتى هذه المرآة أصبحت تظهر لها تجاعيد هذا الوجه الذي أزالت قطرات الدمع عنه بعض المساحيق.

شعرها الذي كان يشبعه ظلمة الليل غزته شعيرات تبعثرت كما الثلج.

تهاوت المملكة.. وتمرد العرش حتى غبار الطباشير شارك في الجريمة وراح يعبث ببشرتها الناعمة.

أعصابها لم تعد من حديد، ضجيج الأطفال في القسم.. انحناؤها الدائم على هذا المكتب الخشبي الذي يشاركها الغرفة.. ورحلة العمر الطويلة.

حتى المدير لم يعد يحترم نورة كما في السابق، ولم تعد أصابعه تعبث بخصلات شعرها الناعم .. لم يعد يطيل في المصافحة كما كان.

مفتش المنطقة كان يزورها دائماً، ويغازل عينيها الزرقاوين!! ويمنحها قلمه المستورد كي تضع النقطة التي تحب، أسفل ورقة التقرير المحضر سابقاً.

مفتش المنطقة بعث لها هذه المرة تقريراً يعاتبها فيه، ويتحدث عن تقصيرها، وعدم جديتها في التحضير!!! أصبح سقف البيت يقترب منها أكثر.. وتكاد جدارات الغرفة أن تنطبق عليها.. والمرآة لم تعد تعكس صورتها جيداً.. بل هي لم تعد ترى شيئاً، فعيناها امتلأتا بالدموع، أخرجت نورة منديلا ورقيا، ثم كفكفت الدمع وراحت تنظر إلى رسالة فاتح وصورته وباقي بطاقات الأعوام التي كانت ذات يوم جديدة!! لماذا لا أحرق هذا الماضي المتعب؟

كل صويحباتي.. أصبحن أصحاب بيوت.. وأولاد.. إلا أنا. ما زلت أعيش وهم الماضي الذي لم يأت، أخذت نورة علبة الكبريت وراحت تحرق كل ما تبقى من الذاكرة والرسائل التي أصبحت قطعاً من العذاب.

- أحببتك لأكمل نصف ديني.. فلا تضيعي الوقت واسمعيني..

كانت آخر عبارة وقعت عليها عيناها قبل أن تأكل النار ما تبقى من الرسالة. حينها كان يتسلل إلى أذنها صوت مؤذن الحي.. ودقات أمها العجوز على باب الغرفة.

- نورة.. نورة.. انهضي لقد طلع الفجر، انهضي.

- لم تكن نورة قد نامت حتى تستيقظ، رغم كل هذا فإنها حاولت ترتيب أشيائها وإخفاء علامات السهر، حمرة عينيها الجاحظتين من كثرة الدموع والسهر.. أخذت نظارتها الطبية ذات اللون البني ثم خرجت من الغرفة مثقلة الخطوات كما تعودت كل صباح قبل الذهاب إلى العمل.

قبلة للأم، وتحية الصباح للأب العجوز الذي لا ينام بعد صلاة الصبح فيقرأ ما تيسر من القرآن، ثم يداعب حبات سبحته العتيقة، لقد لمح الأب توهج مصباح السرير لغرفة نورة.

هذا الضوء الخافت الذي لم ينطفئ طوال الليل، رغم كل هذا فإنه لم يسأل عن السبب.

ربما لا يريد إحراجها.. لكن أنا ما قصرت في حقها، هي التي ترفض المتقدمين كل مرة بحجة التعلم.. المستقبل.. الوظيفة.. حتى تجد من تـ.. حـ...ب.

دخلت نورة القسم، ووضعت محفظتها الثقيلة على المكتب ثم أخذت قطعة طبشور.. المادة لغة عربية. الموضوع: تعبير إنشائي.كل تلميذ عليه إخراج كراس المحاولات ويكتب في أقل من عشرة أسطر عن أهمية الوقت في حياتنا.

اقتربت من المكتب. تركت جسمها يسقط سقوطا حرا على المقعد علها تستعيد ما فقدته في تلك الليلة وهي تنتظر كتابات التلاميذ.. نورة نفسها لم تفهم معنى الوقت!!

إنها كالآخرين تجتر العبارات القديمة.. نورة متأكدة أن التلاميذ سوف يكررون نفس العبارات الجاهزة الراسخة في الوعي الداخلي.. الوقت كالسيف.. الوقت من ذهب..

- انتهى الوقت، سوف يقرأ كل واحد منكم ما كتب. ثم أشارت إلى التلميذ الأول الذي لم يستطع القراءة.. ربما لم يكتب شيئاً..

- التلميذ الثاني.. الثالث.. الرابع.. كلهم أعادوا حكاية السيف.. الذهب!!

إنهم يربطون كل شيء بالمادة - هكذا كانت تحدث نفسها قبل أن يقرأ خالد. تلميذها الممتاز علما وخلقا كانت هذه ملاحظة الأستاذة الموضوعة في كشف النقاط.

آه.. حتى الأساتذة يجترون نفس الملاحظات!! كأنها منزلة.. ولا يوجد في القواميس غيرها..

- خالد لن يستطيع الخروج عن المألوف.. كانت نورة متأكدة من ذلك.

- اقرأ يا خالد!

- كان صوته خافتا وهو يقرأ.. ليس الوقت من ذهب.. إنما الوقت هو الحياة، فإذا ذهب وقتك ذهبت حياتك.

- لم تصدق نورة الذي تسمعه من خالد صاحب إحدى عشرة سنة فقط!!

- خالد تعال! وهات كراسك معك.

تمعنت جيدا ثم راحت تقلب أوراق الكراس، وتقرأ بعض الكتابات المتناثرة هنا وهناك لتكتشف اهتمام خالد بتسجيل الحكم والأمثال والمعلومات المفيدة.

مازالت تقلب الصفحات حتى وقعت عينها على بقايا من الذاكرة:.

.. إنني إنسان بسيط. أكره المغامرة وأكره الحب بالتقسيط.. إني أحببتك لأكمل نصف ديني.. فلا تضيعي الوقت واسمعيني.

- خالد من كتب لك هذه العبارات؟؟

- لا.. لا، لم يكتبها لي أحد.. لقد نقلتها من أحد دفاتر أبي القديمة.

- فاتح!!

- هل تعريفينه أستاذة؟؟

- لا.. لا، كنت فقط أقرأ ما كان يكتبه من شعر وقصص على صفحات الجرائد،كان ذلك منذ إحدى عشرة سنة.. إذا هو الذي علمك أن الوقت هو الحياة؟

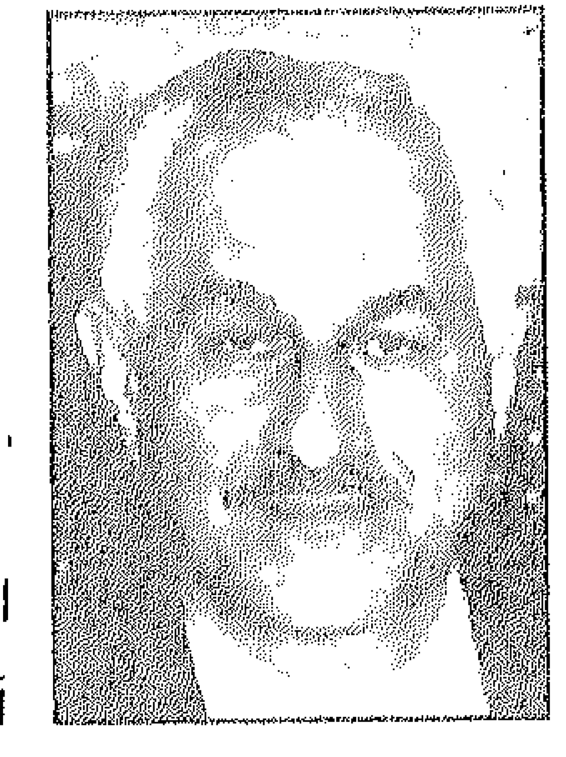
- عد إلى مكانك يا خالد، إنني منك أخذت درس اليوم!!

إن الذاكرة لا تحترق، ولا تنسى.. بل تحنط في انتظار ساعة المولد الجديد.

عدنان النحوي في ملحمته :

درة الأقصى

بقلم / د. جابر قميحة
مصر



الشاعر السعودي الدكتور عدنان علي رضا النحوي علم من أعلام رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وهو - أطال الله في عمره - مفكر ذو عقلية موسوعية، وله ما لا يقل عن سبعين مؤلفاً في المنهج الإسلامي، وفقه الدعوة، والسياسة الإسلامية، والأدب الإسلامي، والنقد الأدبي..

كما أن له عدداً من الدواوين الشعرية، منها: ديوان الأرض المباركة، ديوان موكب النور، ديوان جراح على الدرب، وله عدد من الملاحم مثل: ملحمة فلسطين، وملحمة الأقصى، وملحمة الجهاد الأفغاني، وملحمة البوسنة والهرسك، وآخرها صدوراً «درة الأقصى».

***

والذين عرفوا الملحمة عرَّفوها ونصب عيونهم «الإلياذة» و«الأوديسة». الملحمة في نظرهم عمل شعري قصصي طويل يدور حول بطولة خارقة، وأحداث تخيلية، تتجاوز حدود العقل والنظر، وتؤدى بأسلوب جليل.

ويرى بعض النقاد أن المطولات الشعرية الملحمية هي البديل الحاضر «للملحمة» بمفهومها الهوميري الذي أشرنا إليه، والبطولة في الملحمات التي نظمها الدكتور النحوي «بطولة حقيقية» فهي - إن لم تتجاوز حدود العقل - تجاوزت حدود العادة السائدة، والعرف السائر، وهذا المفهوم يعطيها صفة العظمة والجلال.

كما أن الحدث فيها حدث ممتد [illegible] كثير جداً من معطيات الفكر والشعور، وفي ملحميات النحوي انطلاقات من البسيط إلى العميق، ومن الخاص إلى العام الشامل دون أن يحس المتلقي بصدمة انتقال أو افتعال، ولعلها - إن لم تكن كلها - يسري في أعطافه شعور يمتزج فيه الحزن بالأمل، وهو حزن لا يهبط إلى درك اليأس والإحباط، كما أن الأمل لا يحلق في آفاق الأساطير «واليوتوبيات».

***

ومن فضول القول أن نقرر هاهنا أن الشاعر المسلم غير مطالب بأن تكون ملحمياته على النسق الهوميري في «الإلياذة» و«الأوديسة»، بل من حقه - إن لم يكن من الواجب عليه - أن يتخذ أو يبدع - من الأشكال الفنية ما يراه مناسباً، أو غير مصطدم مع عقيدته الدينية، وقيمه الخلقية من ناحية، وما ينبض بالقيم والمعطيات الجمالية من ناحية أخرى.

وقد سلك الدكتور النحوي هذا النهج في ملحمياته، ونرى فيها أن نسيجها الموضوعي تتلاحم فيه خيوط التاريخ بخيوط العقيدة، والقيم الدينية والإنسانية بالقيم الشعورية والتوهجات النفسية، مما يبرئ هذه الطروحات الملحمية من اتهام قد يخطر على الذهن وهو أنها «شعر تاريخي».

***

وآخر طروحات النحوي «درة الأقصى» وهي مطولة ملحمية من ١١٩ بيتاً على بحر «الخفيف» وروي «الدال»، وهي تتحدث عن استشهاد «محمد الدرة» الطفل الذي كان يسير مع أبيه جمال الدرة قرب مستوطنة نتساريم جنوب غزة، وذلك يوم السبت ٣ من رجب ١٤٢١هـ (٣٠/٩/٢٠٠٠)، فانهال عليهما الرصاص كالمطر، فاحتميا بحائط أسمنتي، واحتمى الطفل بجسد أبيه دون جدوى، واستشهد في حضن أبيه، وأصيب الأب في بطنه وساقه بعدة رصاصات جعلته فاقد القدرة، عاجز الحركة، وتفاصيل المأساة معروفة على مستوى العالم كله.

«درة الأقصى» عنوان هذه المطولة بنيله الشهادة تجاوز رابطة الدم التي تربطه بأهله - أبا، وأما،

أعماماً، وأخوالاً – إذ اكتسب باستشهاده «نسبا جديدا» فهو يضاف إلى «الأقصى» الذي بارك الله حوله، والذي انتهى عنده «مسرى» النبي صلى الله عليه وسلم، وانطلق منه إلى معراجه في السماوات العلا.

وإيحاء ثان: بالنفاسة والصفاء، والبراءة، والعبق الديني القدسي.

وإيحاء ثالث إلى أصحاب الحق، بأن يكون كل منهم درة، حتى تتعدد «الدرر» ويتألق سجل التاريخ بما يعكسه من نور وجلال.

وجاء مضمون هذه «المطولة» ليرسخ ويقوّي من هذه الإيحاءات الثلاثة ويجعل منها حقيقة نفسية لا يعتورها شك.

***

يستهل الشاعر مطولته بالمشهد المكروب، مشهد الطفل البريء الذي يحتمي بأبيه في قالب حواري، فالطفل المفزوع يتحدث إلى أبيه قائلاً:

ضمني يا أبي إليك فإن
خائف، والرصاص حولي شديد
ضمني واحمني فما زال
ينصب علينا رصاصهم ويزيد

في البيتين السابقين تتجسد أمامنا براءة الطفولة وطهرها وعفويتها، ولكن الشاعر لم يلتزم بهذا المنطق الطفولي، فأخذته حماسته ليأخذ مكان «الدرة» بعقليته السياسية الواعية، ونضوجه الفكري القوي، فنحس أن صوت الشاعر – لا هو الغالب فحسب – ولكن هو الوحيد المنفرد:

ضمني ضمني ولستُ جبانا
إن عزمي كما علمت حديد
أنا من أمة بناها رسول الله
والوحي والكتاب المجيد
غير أن الهوان رعب ففيه
نذر ولولت وفيه وعيد
أي هول أراه ثار وهذي
الأرض من حولنا تكاد تميد
لا تلمني أبي فألف سؤال
في فؤادي يتيه فيها الرشيد [illegible] **ج خلاء**
لا تخف يا بني، صبرا فإن
الله يقضي من أمره ما يريد [illegible] **فجّرتْ**
إنه الله وحده ملجأ الخا
ئف يأوي إلى حماه الشريد

قلت لي يا أبي: ملايين هم في الـ
ـأرض، نحن المليار أو قد نزيد
هل يرانا الأرحام في الأرض؟ هل
هب أبي أو مشفق أو نجيد؟
أين إخواننا؟ وأين بنو العم؟
وأين الأخوال؟ أين الجدود؟

والحوار السابق – ولا شك – ذو مضمون فكري وإنساني قيم، وهي قيمة أعلى بكثير من قيمته الفنية.

والتناسب بين الحوار والمستوى العقلي والنفسي لهذا الطفل الصغير المفزوع يكاد يكون مفقوداً، كما ذكرنا آنفا، وحسناً فعل الشاعر إذ عوض عن هذا المآخذ بعرض مشهد المأساة في براعة، وفنية راقية، موظفاً «الصوت» و«الحركة» في مصداقية رائعة، بحيث يبدو المشهد حيا متجدداً كأن المتلقي يراه رأي العين، بل يعيشه بكل مراحله المتعاقبة اللاهثة، ويتعانق الصوت الصاخ المدوي مع الحركة المتدافعة، وهي في مجموعها حركات غرزية، لا مكان «للترتيب الفكري» فيها، فرقعة الزمن أضيق من أن تتسع للفكر، وإعمال العقل.

وتوالى الرصاص والموتُ دفا
ق ودوّى نداؤه المفؤود
شده خلف ظهره واستغاثت
أضلع أو حناجر أو زنود
«يا أبي .. يا..» وغاب منه نداء
وطوته عنا فياف وبيد
أسكنته رصاصة، ورماه
في ذراعي أبيه سهم حقود
ضمه ضمة المودع والدمـ
ـع لهيب على الهوان شهيد
أسكتته رصاصة ثم أخرى
وطوى صوته النديّ حدود
رجعته كل الروابي دويا
وصداه على الزمان جديد

ومع عاطفة الأبوة المفجوعة يكتسب المشهد روحاً دراميةً حزينة حارة، وذلك في أبيات من أرقى ما نظم الشاعر، ومنها:

ضمه ضمة [illegible] الصدر يسـ
ـكب فيها حنانه ويجودُ
الحنان [illegible] الضا
ئع تيه أمامه ممدود
[illegible] **ج خلاء**
كل درب أمامه مسدود
[illegible] **فجّرتْ**
بالشوق منه دماؤه والوريد

***

ويصرخ الطفل – أعني الشاعر على لسان الطفل – موجهاً [illegible] الأخير من المشهد الدامي في الأبيات [illegible] نقده المرّ إلى العرب والمسلمين:

وابل صب فوقه فتهاوى
رمق لم يزل لديه يجود

مال للخلف وارتخى ساعداه
وارتخى منه عزمه المشهود

همّ لو يستطيع ضم فتاه
ودم فائر، وشوق شديد

أفلت الطفل من يديه فضمته
قلوب وفية وكبود

بين جنبيه خفقة المجد والتا
ريخ عادت طيوفه والجدود

***

وكان من الطبيعي أمام هذه المأساة أن يهزنا الشاعر ببكائية رثائية دامية، فيها من الحزن الدفاق قدر ما فيها من إدانة المجرمين الذين سقطت مروءتهم في الوحل، ولم يرحموا البراءة والخوف والرجاء والعهود، وتكون الإدانة أصرخ وأدمى حينما تنطلق من الأمهات الثكالى، والآباء المفجوعين:

يا حنو الآباء، يا لهفة الأم
تنادي أين الأباة الصيد؟

ثم تشف البكائية فتعزف روح الأبوة في الشاعر على أوتار الوجدان بأبيات تذكرنا بخالدة أبي العلاء المعري في رثاء الفقيه الحنفي، وهي أيضا دالية على البحر الخفيف، وتذكرنا كذلك بدالية ابن الرومي في رثاء ابنه، ومقال إبراهيم عبدالقادر المازني في رثاء الطفلة، يقول عدنان النحوي:

انثروا فوقه الرياحين والور
د فتزكو على دماه الورود

وأحيطوا جثمانه بحنان..
طاب منه حنانه المعهود

واسكبوا فوقه الندي من الطيـ
ـب فكم فاح طيبه والعود

وانسجوا من دمائه حلل المجـ
ـد عليها لآلئ وعقود

أنزلوه على الأكف لروض
رفّ فيه الندى؛ فهذا الشهيد

وتتسع دائرة الحزن لأن «الدرة» لم يعد مجرد طفل قتيل، بل رمزاً للطفولة المغتالة، والطهر الذبيح، وسرعان ما يستعيد الشاعر تماسكه، وتتسلل إليه روح الأمل، وهو يرى صوراً من البطولات شهداء على الدرب الذي هوى فيه محمد الدرة شهيداً، ويوجه نداءه إلى المؤمنين:

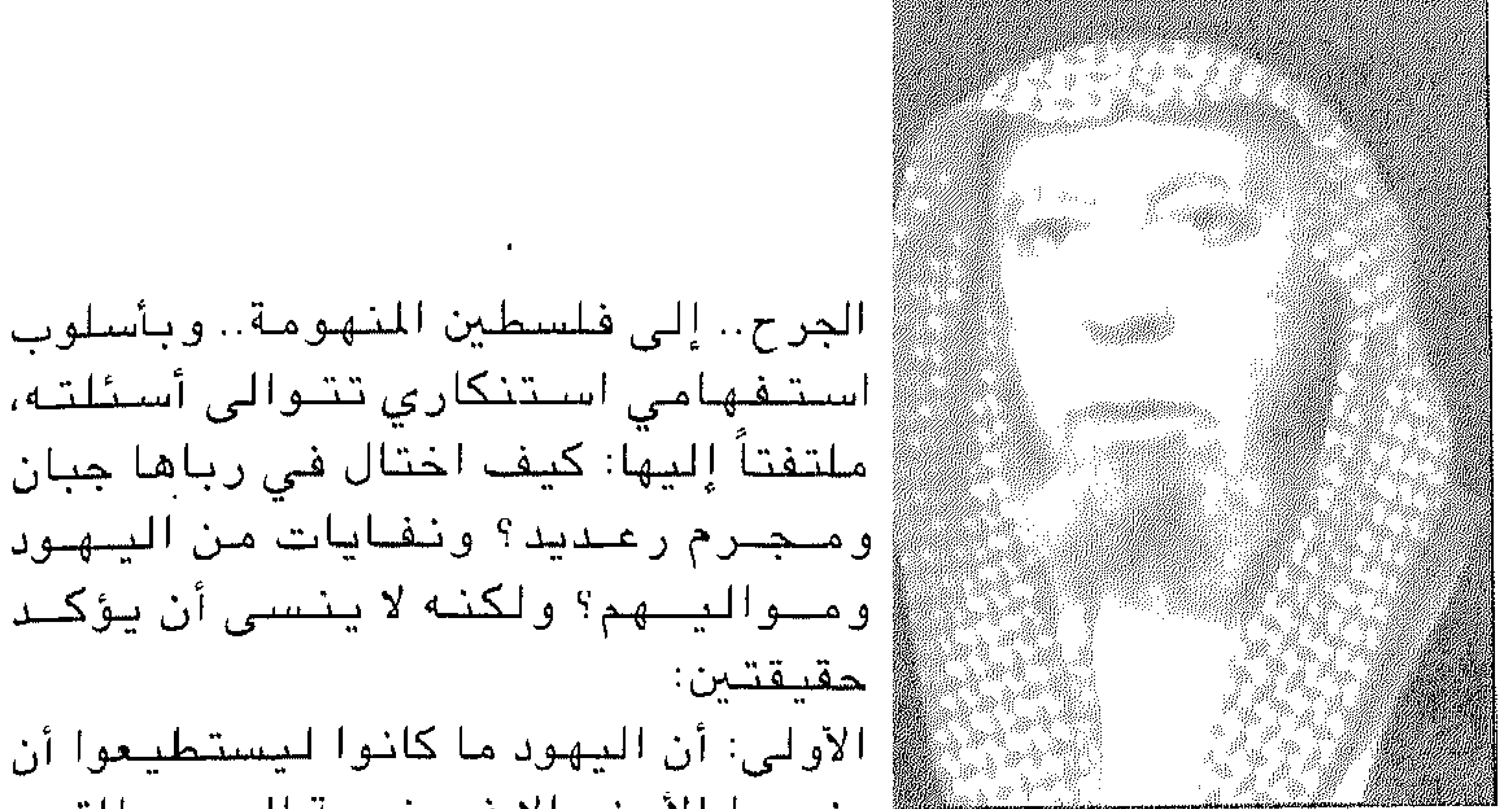
أيها المؤمنون قوموا إلى السا
...

واصمدوا واصبروا فإن حياة القد
ـاس في الساح ...

ويوجه بعدها نداءه إلى الأطفال ... (الأبيات من ٦٣ إلى ٧٤).

***

ويقودنا الشاعر بعد هذه المسيرة الباكية ...



د.عدنان النحوي

الجرح.. إلى فلسطين المنهومة.. وبأسلوب استفهامي استنكاري تتوالى أسئلته، ملتفتاً إليها: كيف اختال في رباها جبان ومجرم رعديد؟ ونفايات من اليهود ومواليهم؟ ولكنه لا ينسى أن يؤكد حقيقتين:

الأولى: أن اليهود ما كانوا ليستطيعوا أن ينهبوا الأرض إلا في غيبة الوجود للقوى العربية.

والثانية: أن مصير العدوان الاندحار والهزيمة والهلاك، هي سنة من سنن الله الأزلية يجب على اليهود أن يتذكروها ويعوها:

هذه عصبة اليهود فسلهم
أين عاد إذا دروا وثمود؟

***

وبقلب المحب ولسان العاشق يناجي الشاعر فلسطين، بعد أن شفه الوجد، وطال به الشوق:

يا فلسطين يا ربا المسجد الأقـ
ـصى حنيني إلى رباك شديد

أنتِ حق الإسلام، لؤلؤة الإيـ
ـمان، حق على الزمان أكيد

أنتِ للمسلمين ذروة مجد..
جمع المجد: طارف وتليدُ

ما عرفناك غير ساح جهاد
دار فيها ملاحم وجدود

أشرقت بالهدى رباك وماج
النور فيها، وأشرق التوحيد

ويسخر الشاعر في مرارة من العرب إذ جعلوا آلياتهم وعدتهم في مواجهة اليهود الصراخ المحموم، والمؤتمرات والتصفيق أمام نار العدو حديدهم وسلاحهم الحديث، ولا طريق للخلاص والتحرير وتحقيق النصر إلا الجهاد العملي الحق الذي يتطلب تكثيف الجهود، ووحدة الصف، واستشعار العزة والإباء، والحرص على التضحية والفداء، وكل هذه القيم:

عزمات تبني النفوس ويحييـ
ـها الكتابُ المجيدُ والتوحيد

وأعدوا بما استطعتم رباطا
من قوى ترهب العدا وتسود

... الله في الميادين ينزل
نصره الحق جل والتأييد

... يستبدل الله قوما
غيركم لا تضيع فيهم عهود

***

... عدنان النحوي من مأساة «الدرة» إلى ... مأساة الشعب والأرض والطفولة بالجهاد ... حتى يتحقق النصر المبين.

(*) مجلة القدس: العدد ٣١، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ/يوليو ٢٠٠١م.

جبل عرفات يخرج عن صمته

شعر / أحمد حسبو

عرفات ذكّر أمة المختار   واقرأ عليها نشرة الأخبار
فلربما أرعت خطابك سمعها   واسترشدت بالنصح والتذكار
ولربما بعد استماعك ترعوي   وتهبّ من نوم إلى استنفار
ولربما آن الأوان لكي ترى   ما قد دهاها اليوم من أخطار
إني أرى هذا التجمع فرصة   فحذار من إهدارها فحذار
فالمسلمون على ثراك تجمعوا   وتدفقوا من سائر الأقطار
حملوا الذنوب الموبقات وأسرعوا   يلقونها في ساحة الغفار
يوم له يهدي الزمان تحية   سيمر مر البارق السيار
فإذا أفاضوا من حماك عشية   عصفت بك الأحزان كالإعصار
لهفي عليك وقد وقفت مودعا   ونظرت نحو الركب باستعبار
أنا لا ألومك إن حفظت عهودهم   إن الوفاء سجية الأخيار
فاكسر جدار الصمت واقرع سمعهم   فلكم وراء الصمت من أسرار!!
واقرأ على الدنيا مآثر عزة   وأذع عليها سيرة الأطهار

***

أغضى حياء ثم ألقى نظرة   ضمت معاني الحب والإكبار
ثم استدار إلى الجموع وقد بدا   طلق الحديث مرتّب الأفكار
حمداً لمن جمع الحجيج بساحتي   وصلاتُه تترى على المختار
يا أمة بالشوق أرقب عودَها   كالروض يرقب عودة الأمطار
أنا لن أقدّم للحديث إليكم   لا وقت للتقديم والإكثار
لكن بذاكرتي مشاهد عشتها   ستظل ملء السمع والأبصار
فهنا. بكى خير العباد «محمد»   وروى الصعيد بدمعه المدرار
وهناك يخطبُ في الجموع مودعا   وكلامه فيض من الأنوار
وهنا. جثا «الصديق» يُرعدُ خائفا   وَجِلاً يحاذر غضبة الجبار
وهنا. أتى «الفاروق» يبكي بعدما   لاقَى «أويس» وفاز باستغفار
وهنا بدا «عثمان» في استحيائه   وعليه ثوب سكينة ووقار
وهنا «علي» قد تفجّر حكمة   ولباسه الإيمان خيرُ دثار
ولكم رأيت على صعيدي إخوة   فهموا معاني الحب والإيثار
عاما هنا حجّوا. وعاما جاهدوا   يرجون وجه الواحد القهّار
عزّوا ولم يُعطوا الدنية مطلقا   فالموت أسمى من حياة العار

***

فإلى متى تستقبلون دواهيا   حلت بكم بالشجب والإنكار؟
وإلى متى والغاصبون بأرضكم   يتصرفون تصرف الأحرار؟
وإلى متى تلك الحواجز بينكم؟؟   ولِمَ الحياةُ بذلة وصغار؟!
وإلى متى والقدْسُ ترقب فجرها   والليل يضرب حولها بحصار؟!
كل المنافذ دونها قد أغلقت   لم يبق غير الصارم البتّار
إما حياة بالجهاد كريمة   أو جنة فلنعم عقبى الدار

دفتر الأحوال



بقلم: حسني سيد لبيب
مصر

هواية فريدة استأثر بها، شغلته وشاغلته. واستغنى بها عن مخالطة الناس.

كل ذي موهبة يلذ له عرضها على خلق الله، أما عبدالمتعال فنسيج وحده.. فلا تتعدى الهواية أنه قبل أن يسلم نفسه لسلطان النوم، يجلس إلى مكتب صغير، يدون في كشكول كبير كل ما يريد تسجيله من أحداث تلفت انتباهه، وخواطر تعنّ له، ويحلل من جانبه دوافع السلوك لبعض الأقارب والأصدقاء والجيران. كأنه جبرتي عصره. سمى الكشكول (دفتر الأحوال).. ولا يعرف بالضبط أي صنف لذلك الدفتر، أهو سيرة ذاتية لحياة عبدالمتعال؟ أم هو تأريخ لحال الزقاق الضيق الذي يعيش فيه؟ أم هو تنفيس للغضب الذي يواتيه من جراء ضغوط العمل بمصلحة حكومية؟ أم هو دفتر للشكاوى لما يلاقيه من ظلم رؤسائه، وطبائع التسلط والاستبداد؟ نعم، رؤساؤه ينغصون عليه عيشته بينا هو - في قرارة نفسه - يرى أنه مثال الموظف الكفء النزيه المخلص. كما أن الدفتر مليء بمقتطفات من الصحف اليومية، مقتطفات منوعة، تشمل الأحداث السياسية المهمة وتعليق عبدالمتعال عليها، وتشمل الحوادث والقضايا، والخواطر والحكم، كما تشمل المقتطفات فقرات من مقالات بعض الكتاب، ولا يعدم الدفتر تزيينه ببضعة أبيات شعرية أعجب بها، أو ملخصا لقصة قرأها فأصابت هوى في نفسه.

وعبدالمتعال شديد الإعجاب بأبيات قرأها فكتبها في صدر دفتره بخط كوفي جميل، وزين الصفحة وأطرها بخطوط زاهية الألوان، تقول الأبيات كما قرأناها في دفتره:

إذا شئتَ أن تَحيَا سَلِيمًا مِنَ الأذَى
وحَظّكَ مَوفورٌ وعرضك صَيّنُ
لِسَانكَ لا تَنطق بِه عَوْرَةَ امرئٍ
فَكُلّكَ عَورَاتٌ ولِلنّاسِ ألسُنُ
وعَينكَ إنْ أبْدَتْ إلَيكَ مَسَاوِئًا
فَدَعْهَا وَقُلْ يَا عَين للناسِ أعينُ
وعَاشِرْ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحْ مَنْ اعْتَدَى
وَفَارقْ ولَكِن بَالتِي هِيَ أحسنُ

كتب عبدالمتعال غير مرة: «إن الوقت الذي أقضيه مع دفتري من أسعد الأوقات وأمتعها. فثمة أريحية وصفاء نفس، وهدوء متميز يجعلني أنسى متاعب اليوم وآلامه».. وتتناثر مثل هذه الكلمات في بعض الصفحات.

ذات مرة، جلست ابنته الوحيدة وقرأ صفحات من دفتره دون استئذان منه، استغرقت في القراءة إلى أن فوجئت به واقفا قبالتها، توترت قليلا، همّت أن تعتذر، أو تلتمس عذرا، فرحمها من كل هذا وطمأنها:

- اقرئي ما شئت، لكن حذار أن تطلعي عليه أحدا، أسمح لك أن تقرئي، لأنك قطعة من نفسي.

- هل تسمح لأمي أيضاً؟

- نعم.. لكنها لا تقرأ ولا تكتب.

- سألت هدى:

- متى اهتممت بتسجيل خواطرك؟

- بعد حصولي على الثانوية العامة، وكنت أنظر إلى ما حولي، وأتأمل وجوه الناس، وتنتابني الحيرة من أقوالهم وأفعالهم، فكرت في كتابة اليوميات، لأحداث وقعت لي، أو لغيري ممن لهم علاقة بي، وأكتب آرائي، كما ترين، أحببت أن أسلي نفسي.

شرد في البعيد. طلب من زوجته إعداد الشاي، وجلس مع ابنته، وطفق يذكرها بأحداث يوم ولادتها، منذ عشرين عاما، بحث عن (دفتر أحوال) قديم جدا، أخرجه من أحد أرفف المكتبة، ونفض عنه أتربة السنين، وأخذ يقرأ لها ما كتبه في هذا اليوم، وكان عبدالمتعال في حاجة إلى استعادة ما

حدث في ذاكرته، أكثر مما كان في حاجة إلى إطلاع هدى، وكانت متعته أن ابنته تستمع لما يقول باهتمام بالغ، وتوقف فجأة، وقال لهدى:

- إنه يوم لا ينسى، أستطيع أن أسرد كل التفاصيل من الذاكرة، فأنا لم أنجب سواك.. أنتِ زهرتي الوحيدة في بستان الحياة.

راح يذكر لها: كيف حملها بين ذراعيه بفرحة غامرة.. تحسست كفه وجهها المدور الأبيض الصافي بلون الحليب.. وطفق يقبلها وهو يحمد ربه على نعمائه. قد عانت الأم من الآلام قبل وأثناء الولادة.

واصل حديثه معها: بعد أن كبرت وصارت عروسا، واسترسل يحكي تفاصيل اليوم السعيد، ثم عاد يقرأ من الكشكول، فأدهشه ما قرأ من تفاصيل أخرى كان قد نسيها، ولذ له قراءة ما كتب، وهدى منصتة معجبة.. ومما كتب: أنه نفح القابلة أجرتها مضاعفة، وذكر في يومياته الخلاف الذي وقع بينه وزوجه حول اسم المولودة التي أراد أن يسميها (نعمة الله) واختارت زوجته (هدى) فخضع لرأيها.

تركته هدى، وانشغلت بالمسلسل التليفزيوني، ثم عادت إلى الكشكول، تقرأ ما كتب الآن:

«عبثت أميرة قلبي بأوراق الدفتر، وكنت سعيدا بهذه العبث، برغم أن الدفتر خاص بي لا أطلع عليه أحدا، لما فيه من أسرار شديدة الخصوصية، أسرار أخرى تتعلق بغيري.. ليس هناك أسرار أخفيها عن هدى».

تختلي الأم بابنتها، ولا يلذ لها حديث إلا عن الشبان الذين يتقدمون لخطبتها فترفضهم جميعاً، لا يعجبها أحد، فهذا عصبي، وذاك أصلع، وهذا جاحظ العينين، وذاك كلامه غير مريح. تعنفها مرة وتنصحها أخرى، ما من رجل يخلو من عيب، ولابد أن ترضى بواحد ممن تقدموا لخطبتها، لكن هدى مصرة على الرفض، وأبوها يتعاطف معها ولا يريد أن يفرض عليها رأياً، وشاء أن يدعها تختار بنفسها ما تحب وتهوى، وكثيرا ما يقول:

- من أصعب الأمور على نفسي، أن تعيش ابنتي في بيت زوجها مكدرة مهمومة.

قلقت الأم على ابنتها، خشيت أن يفوتها قطار الزواج، وإن كانت في سن لا يدعو لكل هذا القلق، هدى لا يتعدى عمرها عشر ربيعا، تعمل بشهادة متوسطة. إلا أن الأم عجلى كي تفرح بزفافها.

اختلى الأب - ذات مساء - بدفتره يقلب الأحداث القريبة، يقرأ كل ما يتعلق بخطاب هدى فوجد أن ابنته محقة.. فأحدهم تعدى الخمسين، والثاني تزوج مرتين، والثالث ما زال طالبا يصرف عليه أبوه، والرابع لا يعجبها شكله، قرأ بتأنٍّ، وتأكد له أن الخطّاب الأربعة غير مناسبين لها، إذن لابد من التروّي والتريث جلس إلى زوجته، باسطاً الدفتر، شارحا لها أحوال الأربعة، ناصحا إياها بألا تؤنبها وتبكتها، ويختم كلامه قائلا في ارتياح:

- يوما ما، سوف يأتيها العريس المناسب.

- ومن هو العريس المناسب؟

- لا أختاره أنا، ولا تختارينه أنت. ستعرفينه حين يدق قلب هدى فرحا، ويعلو البشر وجهها من أول لقاء.

***

رجع من عمله، كعادته كل يوم، وبيده جريدة الصباح وفي طياتها أرغفة الخبز الخمسة، سائرا بخطاه الوئيدة في الشارع الضيق المؤدي إلى الزقاق. اعترضه شاب محييا إياه، معرفا بنفسه:

- أنور فهيم متولي.. أسكن في هذا المنزل..

وأشار إلى المنزل الذي يقفان عنده.

- وأعمل في هذا المحل.

وأشار إلى محل الأدوات الصحية، والواقع بنفس المنزل. عبدالمتعال يعرف المحل منذ زمن بعيد...

- إنه محل..

- أجل.. محل والدي الحاج فهيم متولي.

- أهلا وسهلاً.. تحت أمرك..

- لا يصح الحديث على قارعة الطريق. تفضل في بيتنا أو محلنا القريب.

- كما تراني.. أنا عائد لتوي من عملي، متعبا.. تفضل أنت في المساء.

- وهو كذلك.

- وبعد أن حياه، رجع إليه بخطى مترددة..

- ما الموضوع؟

- خير إن شاء الله.

أكمل عبدالمتعال طريقه إلى أن وصل إلى زقاق (سلامة). ومن حين لآخر، يحيي من يلاقيه في الطريق. وقد سيطر عليه بعض القلق لموعد اليوم. إنه ليس على علاقة متينة بوالده. كما أنه لا يعرف أنور هذا. ولا يفطن إلى مقصده. ويرد عليه صوت من داخله يناصبه العداء دائماً. ومن تعرف من أهل الحي؟ علاقتك سطحية لا تتعدى التحية والسلام العابر، وقلما جمعك مع أحد الجيران حديث طويل، أو شغلك موضوع وتباحثت معهم فيه، وآثرتَ أن تكون العلاقات من بعيد، مؤثرا

السلامة وعدم التورط معهم في مداخلات أو مشاحنات...».

أعرض عن الصوت المناوئ، ليحيي أم سالم، بائعة الحلوى لأطفال الزقاق. وقف يتحدث إليها طويلا، يسأل عن صحتها.. وهل مازال الأولاد الأشقياء يعاكسونها.. وتبادلت معه الحديث غير العادي.. وإن كانت مدهوشة لتغير حاله، فما عهدته على هذه الصورة. وكان إصرار عبدالمتعال على إطالة الحديث مع بائعة الحلوى، محاولة منه لنفس ما يدعيه الصوت المناوئ من أنه يعيش بمعزل عن الناس، أو أنه رد فعل نفسي لزيارة أنور المتوقعة اليوم، وحاجته إلى سد فجوة يراها تفصل بينه وبين عالمه الذي يعيش بالتقرب إلى أهل الحي ومصادقتهم. ترك أم سالم، لكنها لم تتركه، فشيعته بكلمات زائدة تسأل فيها عن زوجته وابنته، وتدعو لهم بالخير، ولهدى على وجه الخصوص بأن يرزقها بابن الحلال.

دخل المنزل القديم. المدخل قبو مظلم. صعد الدرج المتهالك، قاصدا شقته. حث زوجته كي تهيئ البيت بسرعة لاستقبال الضيف. حاصرته بأسئلة كثيرة. أجاب باقتضاب، فلم تفهم شيئا، ووجدها في حيرة، لكن حيرته هو أشد، وطلب منها أن تشاركه التفكير في سبب الزيارة.. بادرته بلا تردد:

– المسألة واضحة وضوح الشمس.. سيأتي خاطبا هدى.

جلس الثلاثة إلى طاولة الغداء. لم يشأ إثارة الموضوع. آثر الصمت، تقطعه كلمات متناثرة على شفاه الثلاثة، كلمات متقطعة لا يجمعها رباط واحد.

وبعد الغداء، اختلى بنفسه وطفق يبحث في صفحات قديمة من (دفتر الأحوال) عن كل ما يتعلق بالحاج فهيم متولي وابنه أنور.

تفحص الدفتر في عجالة. الدفتر مجموعة كشاكيل تراكمت عليها أتربة السنين. أخذ ينفض القليل من التراب، ويبحث عن سطور كتبها هنا وهناك عن عائلة فهيم متولي.. ونقل السطور المبعثرة في أماكن متفرقة، ليصنع منها معلومة.

... الحاج فهيم، تقاذفته أمواج الحياة وهو صغير السن. عاش في بيت أمه المطلقة كالغريب، بعد زواجها من رجل فظ غريب الأطوار. عمل صبي حلاق. عامله الحلاق بقسوة، وكان يلذ له ضربه على قفاه، بمناسبة وبدون مناسبة، مرة يضربه لخطأ عارض وقع فيه، ومرة أخرى على سبيل المداعبة! وفي إحدى المرات ضربه على رأسه بالمقص الكبير، فترك المحل وهو يحمد ربه على نجاته من بين يديه الطائشتين. ثم عمل عند جزار، فانزعج من حركة الساطور السريعة. تساءل بينه وبين نفسه: ماذا لو أخطأ الساطور وأصابه؟ فهرب من المحل هائما على وجهه، فالتقطه رجل يصلح مواقد الكيروسين.

ورأى أن لهب الموقد إذا ما ارتفعت ألسنته أو انخفضت، حسب سلامة الجهاز أرحم بكثير من مقص الحلاق وساطور الجزار، وفجأة غيّر الرجل صناعته فاشتغل بأعمال السباكة، ولازمه فهيم كظله. لم يكن على دراية كافية، لكنه اجتهد في تعلُّمها وتعلَّمَها منه فهيم الصبي. نجح الصبي وفاق معلمه. فاستقل بعمله سباكا يشار له بالبنان. لكن ربح اليوم كان يصرفه كله في التدخين وأكل الكباب والكفتة والجلوس على المقهى مع رفاقه. عاكس بنات الحي كلهن. لم تسلم واحدة من مضايقاته...



والمعلومة التي صاغها عبدالمتعال من واقع دفتره لا تخلو من اجتهاده الشخصي واستنتاجه، لكنها لا تخلو من قدر كبير من الصحة. وبعد أن صاغ السطور السابقة، اضطرب القلم في يده، حين وقعت عيناه على سطور غريبة، فالشاب فهيم، عاكس زوجته فتحية وهي بنت، ضمن من عاكس من بنات حواء!.

نهض عن كرسيه، وذرع الغرفة جيئة وذهابا، وبركان غضب يشعل الحرائق في جوارحه. عاد يقرأ سطورا أخرى يقول فيها:

«لم أكن أعلم أن فهيم تمنى فتحية زوجا له. علمتُ ذلك بعد الزفاف، بعده بشهور طويلة من فتحية نفسها، وهي تفخر وتزهو بأن كثيرا من شبان الحي تمنوها زوجا، وذكرت فهيم ضمن من ذكرت».

هدأ قليلاً. حدث نفسه بأنها سطور قديمة ربما لا تعلق في ذاكرة فهيم الآن، مثلما هي لا تعلق بذاكرة زوجه، أو ربما هي لا تجد الآن، وقد تقدمت بها السن، حاجة للفخر والزهو بأيام الشباب. لكن دفتر الأحوال باق بصفحاته القديمة والجديدة، ليتك ما كتبت يا عبدالمتعال كلمة واحدة في الدفتر، إنه فيما يبدو صار مصدر قلق وينغص عليك حياتك.

شرب قهوته، وهو يعالج توتره ويعود له الهدوء، فيواصل تتبعه لسيرة الحاج فهيم، الذي تغير بعد زواجه من إحدى فتيات الحي. يبدو أن زوجه نازلي أحدثت تغييرا للأفضل، فعزف عن اللهو البريء وغير البريء، وادخر ما يكسب، حتى فتح الله عليه باب الرزق الوفير، فافتتح محلا للأدوات الصحية، واستعان بسباكين في سن الشباب. ومع تقدم سنه، عزف عن ممارسة المهنة، مكتفيا بما يكسب من التجارة. أنجبت نازلي أنور وسعاد، وعددا آخر من الأولاد لا يعرف عبدالمتعال أسماءهم. تملكته الحيرة، فهو لا يعرف متى ذهب فهيم للحج؟ أم أن لقب (الحاج) خلعه على نفسه؟ ربما أهدته له الناس توقيرا واحتراما. فلافتة المحل التي يطالعها تقول: «الفهيم للأدوات الصحية.. إدارة الحاج فهيم متولي وأولاده».

أغلق دفاتره، مكتفيا بما قرأ، استلقى على الفراش ملتمسا الراحة ولو لبضع دقائق، فلم يتبق على موعد الزيارة سوى نصف الساعة.

كانت زيارة ودية. لكنها عنده ذات معنى مغاير. قد أصابه ضيق، فأخذ يزفر من صدره. يزيح عنه هما ثقيلا، تلكأ في غرفته غير راغب في مجالسة ضيوفه. وزوجته كالقدْر الذي يغلي ماؤه. تكتم ما بصدرها، وتصطنع ابتسامة ثقيلة، تداري به ما ابتلاها به الله من زوج لا يحسن استقبال ضيوفه. وأرجعت الانطواء والعزلة اللتين يعيشانها إلى طبعه الغريب العجيب، مما جعل الناس تتحاشاهم. لكن عبدالمتعال يلحظ اهتمام فتحية الزائد وابتسامتها العريضة، فيزداد غيظه ويحدث نفسه: «حقا، تذكرت أيام زمان، واهتمام فهيم بها».. ثم يفيق لواقعه، حين يسمع وقع أقدام فتحية، تقترب من غرفته، فهم بالخروج سريعا، وظل على تقطيبة وجهه دون أن يدري أنه جهم الوجه. انتهرته قائلة:

– يا رجل.. انظر لوجهك في المرآة.. أهذه خلقة تقابل بها ضيوفك؟

نكص على عقبيه، فرحا بتعطل قليل أجازته له فتحية، ورغب هو فيه. واجه المرآة وهندم ملابسه، وحاول أن يزيل التقطيبة والتكشيرة عن وجهه، فلم يفلح. واستقر به الرأي في النهاية إلى أنه خُلق بهذه السحنة. دخلت هدى، فطلب رأيها في شكله وملابسه. قالت تمازحه:

– قمر منور..

فابتسم..

ضحكت هدى، تهللت أساريرها بالبشر..

– انظر إلى المرآة. قد نجحت فيما فشلت فيه أمي.

التقطت أمها الكلمات. وقالت في ضيق:

– ناصحة كأبيك.

ثم انصرفت. همس لهدى:

– ما رأيك في الشخص الذي جاء يخطبك؟

– الرأي لك. أنا لا أعرف الشخص، ولستُ براغبة في زواج الآن.

ارتاح لكلماتها، فهو غير راغب في تزويجها منه. ووجد أنه لا حرج الآن من مشاركة ضيوفه أطراف الحديث. ولج غرفة الجلوس محييا.. سلم على الحاج فهيم، غريمه، وابنه أنور، وزوجه.. وطفق يغدق على الجالسين عبارات التحية وواجبات الترحيب.

واحتفت بهم زوجه، بتقديم العصائر، وأطباق الحلوى، والمثلجات، ثم طوّفت بأقداح الشاي... تشعبت بهم الأحاديث في مواضيع شتى. وكان الحاج فهيم لسنا فطنا، وأكثرهم كلاما ومن بين ما قال التقطت أذن عبدالمتعال هذه الكلمات:

– ألسيت حرمك من عائلة كريمة. أعرفها منذ كانت طفلة.

ضحكت زوجه ولم تعلق. بينا جاهد عبدالمتعال ليحافظ على توازنه، ويعالج توتره، وإن كان يود أن يسدد عدة لكمات في صدره، بقبضة يده الضعيفة المرتعشة، التي ما تعودت على اللكم من قبل. حرص على أن يطبق شفتيه، حتى لا ينفلت لسانه بكلمات لن تعجب أحدا.

واسترسل الحاج فهيم يروي ذكريات صباه، معجبا بشقاوته أيام زمان. بينما أعيا التفكير عبدالمتعال باحثا في جعبته عن ذكريات تخصه، تكون فيها من الطرافة والدعابة ما يجعله ندا للحاج فهيم، لكنه فشل في النبس بكلمة واحدة. ذلك أنه غير لسن، وهو يعلم ذلك جيدا، ويعلم عن نفسه أيضا أن كل ما يريد أن يقول يكتبه في دفتر الأحوال، حين يختلي بنفسه، ويجد متعته الحقيقية في الإمساك بالقلم وتدوين كل شيء، مكتفيا بذلك، معرضا عن مشافهة الناس بما

يكتب. إنه نموذج للكاتب المصري القديم الجالس ليدون على الورق. إنه لا يقدر على مجاراة الحاج فهيم في أحاديثه، لكنه في المقابل يبزه في الإمساك بالقلم. وأخذ يحدث نفسه: «هناك فرق بين الثرثرة غير المجدية، والكتابة الواعية المفيدة»... وانطوى على صمته، يجترح من صدره آلاما دفينة. وود لو أتى بدفتره، ليقرأ عليهم بعضا من الطرائف، والمُلح والمداعبات. لكنه لا يقدر على فعل شيء. ذلك أنه محاصر بأحاديث كثيرة، لا فاصل بينها، ويرويها فهيم، بلا توقف، كأنه يخشى أن يصمت هنيهة، ولو ليتنفس، فيضيع منه تتابع الكلام. لذا ظل يلوك الكلام ويمضغه مضغا، والكل منصت، والزوج المضياف، تزرع بسمة عريضة على شفتيها، والزوج الضيفة تتزيا بالهدوء، وهي تسمع كلام زوجها الذي اعتادت عليه. وهدى معجبة بنفسها، ملكة متوجة على العرش!. قد أتاها كثير من الخطّاب تاهت مزهوة بجمالها وأنوثتها، تصنّعت الدلال. وزادها أبوها دلالا وتيها، بحبه وطيبة قلبه، وحرصه على تلبية طلباتها دون مناقشة.

ولم يتنفس عبدالمتعال الصعداء إلا بعد استئذان الثلاثة، واعدا إياهم بأن يرد الزيارة قريبا. جلس إلى مكتبه يدون في دفتره وقائع الزيارة، عارضا وجهة نظره في كل كبيرة وصغيرة، ومن أهم ما كتب: «لست براغب في أن تربطني بالحاج فهيم صلة نسب، أو صداقة، أو أي صلة، والأسباب معروفة لا تخفى على الفطن اللبيب».

تصدع بيت الأسرة بسبب هذه الزيارة. انقسم الثلاثة إلى حزبين: الأب وابنته في حزب، والأم في حزب ثان. يرى الأب أن أنور لا يناسب هدى، وأنه يرفضه حتى لو كان الرجل الوحيد الذي يتقدم لابنته. وترى الأم أنه أنسب شاب. انحازت هدى لأبيها، ولم تعلن سببا واحدا للرفض، ولما ضيقت الأم عليها الخناق، قالت:

– أرفض الزواج من أي شاب لمجرد الزواج. وليس بيني وبين أنور ما يحببني فيه.

تزفر الأم زفرات ضيق، وتقول محتدة:

– أنت فيلسوفة، كأبيك.

لعبدالمتعال أسباب جوهرية للرفض، وإن لم يصرح بها. ذلك أن الحاج فهيم لم يراع مشاعره، وأخذ يروي حكايات تافهة عن أيام صباه، مع زوجه أم هدى، وكان لابد أن يحترم مشاعره ومشاعر زوجه ربة البيت، شرد بفكره، ووجد أن إتمام زواج كهذا، من شأنه تقوية ارتباط فهيم بزوجه. تردد في كتابة أحاسيسه هذه، ثم اندفع يكتبها في نوبة شجاعة واتته، وكان صدره يتمزق ألما. ولما باح بها لزوجه احتدت وتراشقت معه بألفاظ آلمته، ورد عليها بألفاظ آلمتها. جاهدت هدى لتهدئ الثورة التي اشتعلت فجأة، وكان من الصعب أن ترضي الاثنين. إن تمسكت بالرفض، غضبت أمها، وإن غيرت رأيها إرضاءً لأمها. غضب الأب. انتابتها حيرة. وطفق الأبوان يتراشقان بالألفاظ ويتعاركان بها ليل نهار، واسودت المرئيات أمامهما، جمعت الأم ملابسها في حقيبة صغيرة، وتركت البيت، لتعيش مع أمها المسنة، ترعاها وتعودها في مرضها المزمن. وعاش عبدالمتعال يجتر ألم الفراق. تحاوره هدى، فيحيلها إلى ما كتبه في دفتره.



– الدفتر لا يكذب يا هدى. في الدفتر أحداث ووقائع تجعلني أرفض الارتباط به بصلة ما. ألم تلاحظي تعليقاته في زيارته الوحيدة؟

حثته كي يزور أمها. فوافق ليطمئن على صحة حماته. ذهب الاثنان، جلسا قليلا، وحرصت زوجته ألا تشير إلى خلافهما من قريب أو بعيد. حرصا على صحة الأم المسنة. استحسن ذلك. ورأى أن تقتصر الزيارة على السؤال عن المريضة، وفرحت حماته بلطفه وأدبه، واستأذنته كي تبقى أم هدى إلى جانبها أياماً قليلة، فوافق.. ثم عادت واستدركت ما فاتها وطلبت منه أن يبيت هو الآخر عندها، وتبيت هدى أيضاً، فتتبدد وحشة البيت، لكنه تحجج بعمله وانصرف وابنته.

عاود عبدالمتعال ألمه الغائر.

وزاد الطين بلة، ذلك الاستدعاء الذي أتاه من قسم الشرطة. وعرف ما بُيّت له بليل. فأنور الأرعن قد حرر محضراً ادعى فيه اعتداءه عليه في بيته، وأتى بشهود لا يعرفهم. نفى التهمة التي لم تحدث. نفى الادعاء الملفق. لكن الخسيس أتى بشهادة مرضية من مستشفى عام ليثبت ما به

من إصابة. واجه وكيل النيابة بالاتهام ثم أفرج عنه بضمان محل إقامته. نصحه المقربون أن يبحث عن محام، لأن التهمة جنحة تعرضه لعقوبة السجن، ودلوه على محام.

شرح للمحامي علاقته بالشاب وأبيه، وأعطى المحامي معلومات عن أسرة الخصم.

علمت زوجه بالمحنة التي يمر بها، فانخلع فؤادها، وتركت أمها المريضة المسنة، وعادت إلى بيتها تشد أزر زوجها، متناسية ما كانت عليه من غضب قالت:

– لم أكن أعرف أنه وضيع.. عندك حق..

عاشت الأسرة الصغيرة في حزن مقيم، لا يفارقهم ليل نهار، عاش الثلاثة في توتر وألم دفين. وأدى توتر هدى إلى ذهابها – دون علم أبويها – إلى الحاج فهيم، تؤنبه على مكيدة ابنه، وأكدت له أنها كرهته..

– ابني مظلوم. فعل ذلك كي يتزوجك. إنه يحبك..

– وأنا أكرهه..

– إن وافقتِ.. تنتهي القضية..

– كيف؟

– سيقدم تنازلا عن القضية.

– على أي أساس؟

– على أساس أن تصالحا تم بيننا.

– كيف أكون زوجا لرجل يلفق التهم بالباطل؟

– لا تعقدي الأمور يا هدى.

زفرت زفرات ضيق واحتقار. تركته عائدة إلى البيت لا تكلم أحداً، وأغلقت عليها الغرفة، مستسلمة لبكاء مرير. وحين استردت هدوءها، فكرت جديا في الزواج من أنور، من هذا الخسيس الوضيع. أعلنت ذلك لأمها، فنهرتها..

– لن يوافق..

– وأنت؟

– غير موافقة طبعا.

– طبعا، غير موافقة..

– لأجل خاطر أبي؟

– لأجل كرامة أبيك، لن أوافق..

– وإذا وافق أبي؟

– لن يوافق أبوك، إنه صامد في محنته، صخرة صلدة لا تلين ولا تنكسر في وجه المحن، ويرى أنه ابتلاء من الله لعبده المؤمن.

طفرت الدموع من عينيها، فأبكت الأم معها.

وانقطع عبدالمتعال للصلاة وقراءة القرآن، ولسانه يردد ليل نهار: «حسبي الله ونعم الوكيل».

ذات ليلة، جلس بمفرده، جامعا دفاتره، واضعا إياها على منضدة صغيرة، وقرأ بعناية كل ما يتعلق بخصمه، ونشأة أسرته غير السوية، واجتهد في جمع سطور من هنا وهناك، وأعاد نسخها في أوراق منفصلة، وذهب بها إلى محاميه ليطلعه عليها. طلب منه قراءة الأوراق جيدا. إنها تدعم موقفه. لابد للقاضي أن يدقق في ماضي الأسرة، كي يعرف الحقيقة. ولا يقتصر فهمه للقضية على أنها محضر إصابة في واقعة ضرب، وشهادة مرضية، وشهود زور مأجورين.. أوراق القضية ملفقة، أما أوراقه فلا تكذب، إنها من دفتره الخاص.. أوراقه تسرد وقائع وأحداث كتبت بأمانة وصدق، ليس وراءها من غرض سوى جلاء الحقيقة. وإذا ما جمعت الأوراق بترتيبها الزمني، تتضح الأحقاد الدفينة ونوازع الشر لدى الابن الأرعن وأبيه المستهتر.

وحين سأله المحامي عن مصدر المعلومات، انبسطت أريحيته، وطفق يحدثه عن دفتر الأحوال، الذي يدون فيه كل شيء، منذ سنوات طويلة، واستمر الحديث عما خطه اليراع في أربعين سنة، ربما أكثر.. ورأى في الأوراق التي بين يديه دليل إدانة للأسرة كلها. فالنشأة غير السوية، فعلت فعلها في الأب وابنه، ومن هم على شاكلتهما، فكان الاستهتار، والاستهانة والاستخفاف بمشاعر غيرهم.. وكانت الأحقاد التي دفعت الابن المأفون إلى تلفيق تهمة..

تناول المحامي الأوراق دون أن يكاشفه بأنه لن يعتمد عليها في دفاع، فقد وجد موكله شديد الانفعال، فأراد أن يهدئ ثائره، وحين همّ بالاستئذان، قال المحامي:

– لو تصالحتما، تحسن الوضع لصالحك.

ثار..

– لا تصالح..

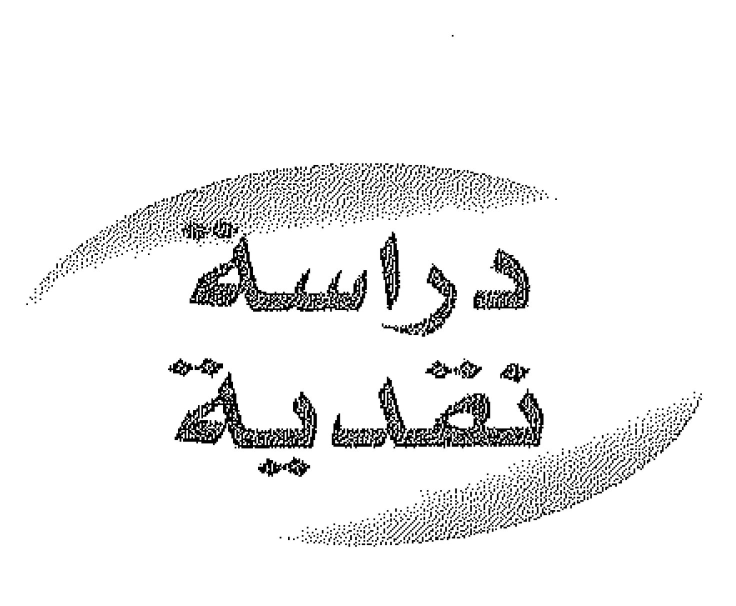
أطلقها مدوية دون تردد. فصمت المحامي قليلا، فاندفع مستطردا:

– يا أستاذ، تعلم جيدا أنه لا توجد جريمة كاملة. حتماً سينكشف التزوير والتلفيق.

نظرت القضية في عدة جلسات، استغرقت عاما ونصف، حكم بعدها بإيقاف التنفيذ، وأقنعه المحامي، بعد جهد جهيد، أن الحكم يعني البراءة، فاستراح، وأرجع الفضل في هذا إلى الأوراق التي نسخها من دفتره، وأعانت المحامي في دفاعه، لكن المحامي لم يستعن بها، ولم يقرأها، وإنما رتب دفاعه بطريقته الخاصة، ولم يصرح له بذلك، بل تركه يعتقد فيما يرى.. لهذا خلت يوميات عبدالمتعال – لأول مرة – من ذكر الحقيقة، وكيف له أن يذكرها، وهو متأكد من أوراقه التي ظن أنها أفادت المحامي. كيف يعرف أنه في هذه الواقعة لا يكتب الحقيقة، وهو يرى أنها الحقيقة!

وانكب يكتب في دفتره، عن القضية التي كان فيها متهما ومحاميا في وقت واحد!





سمير أحمد الشريف
الأردن

دخول عالم جهاد الرجبي يعني أولا الوقوف مع الالتزام الذي يبرز من خلال كتاباتها كمدماك أول تقيم عليه معمارها الفني الذي قد نختلف معها في نسبة تحققه في عملها هذا.

كثيرة هي المدارات التي ولجتها الكاتبة ولامستها فصول نصها الذي يقترب من القصة الطويلة من حيث إن إطلاق مسمى الرواية يظلم النص ويظلم الرواية بناءً فنياً وتنوع شخصيات.

«لن أموت سدى» القصة الفائزة بجائزة رابطة الأدب الأسلامي العالمية بالمرتبة الأولى تحكي عودة الوعي المتأخرة ورحلة العودة إلى الله والنفس والوطن والقضية، إنها قصة (وائل) الذي رحل تاركاً بلاه تحت سياط الصهاينة وهرب إلى أوربا كافرا بالمقاومة الشعبية الانتفاضة تعويضاً عن ضعفه وباحثا عن الدولار، هذا الوائل يكتشف عقم مشروعه الهروبي فيقرر العودة لكي لا يموت بلا مقابل، لكن ضريبة هذا الوعي المتأخر تكون الموت الذي حاول وائل أن يستقبله واقفاً فلم يستطع لأن الوعي المريض لا يكون غرسة مثمرة في أرض الرباط.

الأدب الإسلامي - المجلد الثامن - العدد الواحد والثلاثون ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

قلنا إن الالتزام يسم هذا العمل المعجون بوعي فكري وإخلاص واضح للإسلام معتمداً على موروثنا الثقافي - حضننا في وجه كل العاديات - ... «ألا يثير دهشتك أن يُهاجم الإسلام بكل هذا العنف والشراسة حتى تخالها معركة حياة أو موت، حرب ثقافية، سياسية، عسكرية، والمستهدف هو الإسلام»(١). تمثل هذا الوعي بالتصدي للأفكار المغلوطة عن الإسلام وإدحاضها كأن يقاس الإسلام بحامليه: «نور لم تعد تثق بأي عربي، حاولتُ مراراً أن أجعلها تفهم أن الإسلام يحكم عليه بذاته لا من خلال المسلمين»(٢).

كذلك الانتصار للمفاهيم الإسلامية التي حاولت جهات عديدة تشويهها، مؤكدة أن الإسلام تقدَّم كل المبادئ باحترامه المرأة ومنحها كينونتها أما وزوجة وابنة. «الإسلام قدَّم الحل المثالي للمرأة حين أحل الطلاق»(٣).

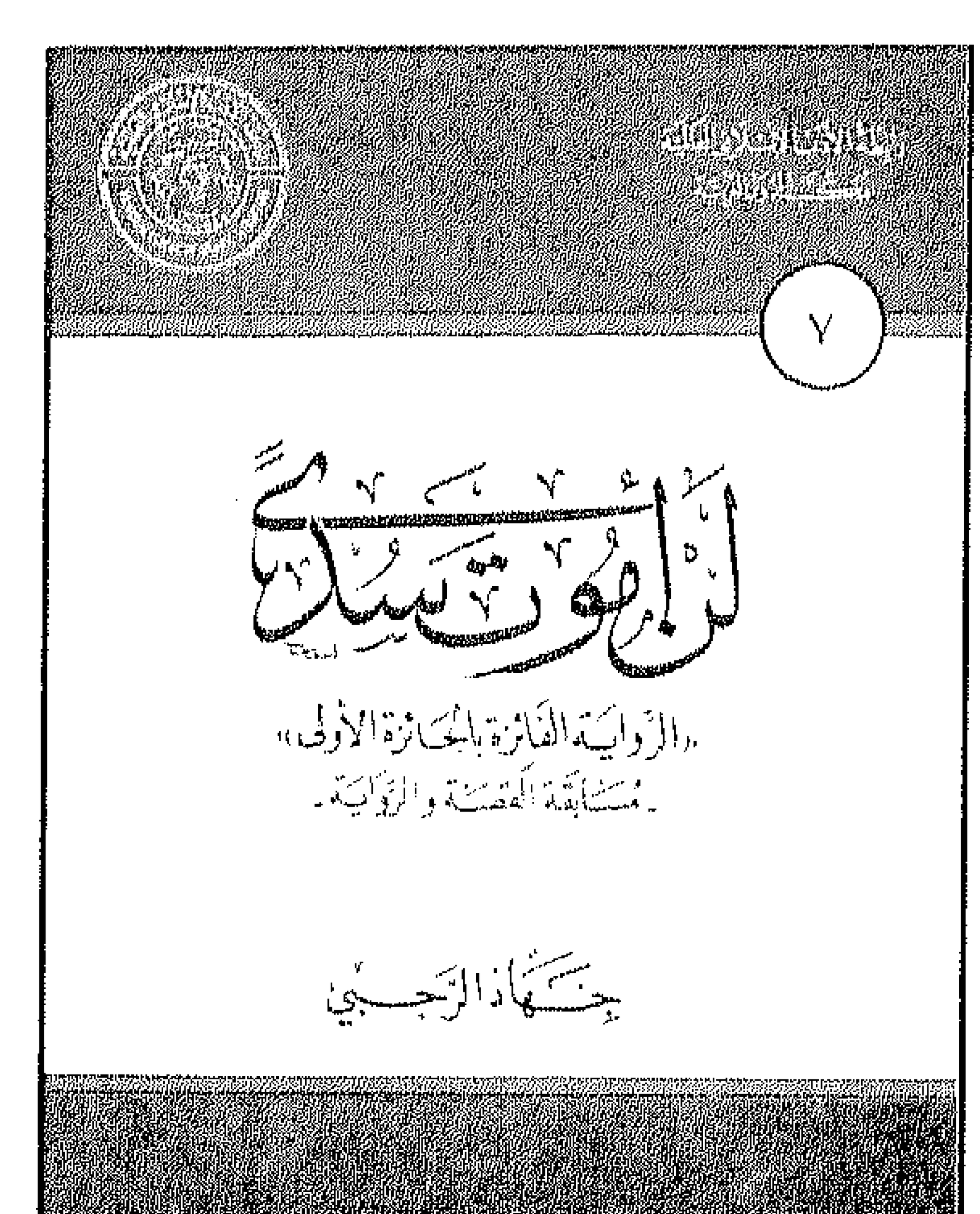
واقرأ معي هذا المنطق الدقيق والجدل الهادف البعيد عن الصراخ، تقول الكاتبة على لسان المرأة الأجنبية التي أنصفت حضارتنا: «احتجت عشر سنين من البحث والعمل لأكتشف أن ما تركه المسلمون أعمق أثراً وأقوى تأثيرا، أتعرف لماذا؟ لأن الفراعنة ينتزعون منك الدهشة والخوف، يلونون وجهك بالإثارة ولا يمنحونك غير الشعور بعظمتهم، بينما يدهشك المسلمون بحضارتهم ويمنحونك القدرة على الاستمرار من حيث توقفوا»(٤).

هذا الوعي على الإسلام وبه جعل شخصيات القصة تنطق بما يتفق مع هذا الدين فيما يتعلق باستقبال المولودة الأنثى على عكس الشائع من استنكار وتقطيب وجه واسوداد سحنة «كانت (الأم) سعيدة كما لم تكن سعيدة من قبل،ابتسامتها هزمت ارتعاشات جسدها المتعب.. بطن أمه بدأت تكبر ويكبر معها الدعاء «يا رب بنت».. انظركم هي جميلة يا وائل»(٥).

الإسلام الذي تكون إرادة الإنسان خاضعة لإرادة الله، جعل الجد يتمثله سلوكاً ودعوة وغرس مفاهيم في ذهن الطفولة باستخدام القدوة؛ ففي الطريق للمسجد والطفل يقود جده يتساءل الطفل ببراءة:

«لماذا لا تصلي في البيت يا جدي؟
إن كنت متعبا يمكنك أن تعود..»(٦).

هذا الجد يجسد تمثله بالإسلام وعيا وسلوكا



وقدوة بتعليم الطفل ما يجب تجاه قضيته ومغتصبي وطنه، وها هو يغرس في عقل الطفل خطابه التحريضي بمنطق هادئ بعيد عن الانفعال والافتعال ضد المحتل الغاصب:

«بكى وائل، قال لجده إنه لا يريد أن يكره حاييم، نهض الجد بتثاقل ثم قال:

«قد تحبه يا وائل ولكن تذكر أنه لا يمكنه أن يحبك، فهو يرى والده الذي يجر والدك إلى المعتقل بطلا وسيقول بأن عمك الشهيد ليس سوى مخرب! عليك أن تتذكر دائماً أنهم أعداؤنا، وأن أرجلهم فوق رؤوسنا وعلى أرضنا، قد نصبح يوما أصدقاء، ولكن ليس هنا، ليس في فلسطين وليس في زمن يكون ميزان القوة فيه بأيديهم»(٧).

الالتزام هنا يستمد من القرآن الكريم يغرف من معين التراث الذي انعكس بوضوح على سطور القصة مثل: هذا فراق بيني وبينك

- أهل مكة أدرى بشعابها.
- سواسية كأسنان المشط.
- حسداً من عند أنفسهم.
- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(٨).

[لن أموت سدى] مرافعة جميلة عن فلسطين القضية والأرض والإنسان والمبدأ، وهي قصيدة فخر تمجد انتفاضتنا المباركة ولعنة في وجه اللاهثين خلف أوهام المجد الزائف. «كل الناس يعيشون في الوطن إلا الفلسطينيين، فالوطن هو الذي يعيش فيهم... فالأم التي تزغرد لابنها الشهيد وهي تبكي تملك قلباً يتسع للوطن مهما كان كبيرا»(٩).

هذه القصة تقربنا من وجه الأحداث في غزة والضفة، وتتابع الأفعال الجهادية بجرأة ووعي، وترصدها بعمق وصل درجة التفلسف، «عندما يسعى المرء لمعرفة حقيقة الحياة عليه ألا يتجاوز الموت حتى لا تكون حقيقته وهماً كبيراً يسير به نحو النهاية دون أن يشعر»(١٠).

هكذا جاءت فصول هذا العمل، عزفاً جميلاً على إيقاع مبدأ شمولي عالمي خالد هو الإسلام الذي يعلمنا كيف نعيش الحياة بأمل المنتصر، ولذة العابد، وطمأنينة المفكر، ويدفعنا للموت مضحين بكل زائل من أجل حياة أبدية وسعادة لا تزول.

استهلال الفصول كان موفقا آسراً، وانفتاحها على فضاءات رحبة باستخدام جمل تثير الدهشة وتشد انتباه القارئ «عندما يصبح المكان عددا لا نهاية له من الأجزاء الصغيرة يفقد قدرته على تجميع نفسه»(١١).

مستخدمة بإيجابية لافتة تقنية التقطيع السينمائي لبداية الفصول ونهايتها، إضافة إلى توفيقها باختيار عناوين الفصول التي كانت معبرة مثل: الهموم تصحو باكراً.

هذه التلقائية وهذه العفوية، وهذا الصدق البعيد عن الافتعال مع ما رافقها من صورفنية جميلة مثل: دمعة انكسار تغسل الوجه المرتعش.

نظرة غاضبة أطلت من عينيه.

انفجر ينبوع الضحك»(١٢).

كل ذلك أسهم في إيصال المضامين بيسر وسهولة.

هذه الإيجابيات جميعا لم تخل من نواقص، يلاحظ في هذا الإطار القصدية المسبقة في رسم الشخصيات فهل محض صدفة مثلا أن تضع العجوز الأجنبية كتاباً في حقيبتها يشيد بالإسلام حتى تستشهد المؤلفة بمطولات منه تصل إلى صفحة ونصف الصفحة من الرواية!؟.

كذلك يمكن ملاحظة بروز مستوى الخطاب الفكري واللغوي بين الشخصيات بشكل متساو دونما مراعاة لمستوى الشخصيات الفكري مع ما رافق ذلك من استطرادات مقحمة لا مبرر لها فنيا كما في صفحة (٥٠) كان يمكن لفصول القصة والقصيرة جدا أن تكون أطول بإعطاء أبعاد ملحمية للأحداث، وهي مهيأة لذلك من خلال تنامي العلاقات وتشعبها.

كذلك كان لطغيان الجانب الفكري على الفني مزالق جعلت رسم شخصية المرأة الأجنبية يعطينا انطباعاً متناقضا، فهذه التي تعتقد بالإسلام وتؤمن به، الأصل أن يدفعها إسلامها إن كان حقيقياً لإعلانه حتى لا يظل أسير الظلام والصوت الخافت، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن هذه المرأة تقع في تناقض برفضه الإسلام والسلوك الغربي في آن معاً ذلك عندما تطلب من وائل أن يضيع الوقت بالحديث لتبديد وقت الرحلة الطويل(١٣).

يقودنا هذا إلى الحوار الذي كان قاسماً مشتركاً بين الفصول جميعاً وفيه ظهرت الفلسفة والإطالة وبعض الخطابية، ناهيك عن الاهتمام بظاهر الشخصية عموما دون تركيز كاف على دواخل الأشخاص وتتبع خلجاتها بإحكام من خلال

استخدام تيار الشعور الذي كان يمكنها به كسر إطالة الحوار الذي أتاح المجال لبروز بعض الذهنية مما أوقع الكاتبة في مباشرة هي في غنى عنها.

إذا ما تذكرنا خصوصية المكان في العمل القصصي، وتنامي الشخصيات، واعتماد السرد تقنية أساسية للقص وتيار الشعور الذي لم يكن حاضرا بفاعلية مرضية أدركنا كم ستكون روعة هذا العمل لو كان توظيفها فاعلاً.

تألقت الكاتبة عندما تعرضت لنقد الذات دون أن يجرفها الانفعال، وذلك بتوجيه اللوم للمسلمين - على لسان الأجنبية - الذين تثاقلوا عن إيصال فكرهم للآخر وسكوتهم عما يقوم به المستشرقون «الإسلام يتعرض لكثير من التشويه عندنا، وأنتم لا تتحركون، بل أنتم إحدى أدوات التشويه، عد للتاريخ لتعرف عمق الهوة بيننا وبينكم»(١٤).

[لن أموت سدى] جهد مبارك، يستحق الدرس والقراءة والمتابعة، والشكر لمجلة فلسطين المسلمة التي أتاحت لهذا الصوت الجريء الانطلاق، ولرابطة الأدب الإسلامي العالمية التي مكنتنا من قراءة هذا العمل والوقوف على تفاصيله؟(×).

---

(١) لن أموت سدى، ص ٩٨، ط ١، من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية - ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار البشير - عمان.
(٢) المصدر السابق ص (٩٤).
(٣) المصدر السابق ص (٤٠).
(٤) المصدر السابق ص (٤٠).
(٥) المصدر السابق صفحات (٦٧، ٦٨، ٧٦).
(٦) المصدر السابق ص (٧١).
(٧) المصدر السابق ص (٧٢).
(٨) المصدر السابق ص (٢٣، ٣٩).
(٩) المصدر السابق ص (٦٤).
(١٠) المصدر السابق ص (٦٣).
(١١) المصدر السابق ص (٦٩).
(١٢) المصدر السابق ص (٦٠ - ٦٤).
(١٣) المصدر السابق ص (٣٢).
(١٤) المصدر السابق ص (٩٨).
(×) نشرت مجلة الأدب الإسلامي دراسة نقدية سابقة لرواية (لن أموت سدى)، وذلك في عددها ٧٤/٥ بقلم: أ. عبدالرزاق ديار بكرلي. التحرير.



بلد .. الظافرين

محسن عبدالمعطي - مصر

فلسطين
يا أملاً للفؤاد
ويامنتهانا
قلوب العروبة تهفو إليك
تؤلفها عاصفات الحنين
مشينا إليك السنين الطوال
ولم نقطع الدرب
لكننا
بذلناجهودا
ونلنا كثيرا
لأجلك يا أم
أنت منانا

***

عرفنا الطريق
سنمضي إليك بعزم الأسود
لنُرجع يا أم مجد الجدود
ونُصلح ما قد تهدم
نرفع صوت الأذان الحبيب

***

دعينا نسافر .. كيما نؤدي
حقوقك يا بلد الظافرين
ونأسو الجراح
ونورُ الصباح
يبدد يا أمُ صرحَ الظلام.

قصة قصيرة

صباح أبي نويصر!!

ثويني بن محمد آل عليوي
السعودية

تخرج في صباح يواري وجهه عنك.. عيناك مغرورقتان بالنعاس.. تدعكهما متثائبا قبل أن تخرج مفاتيح السيارة من جيبك.. ينظر إليك هذا الصباح بعينه الصفراء.. فتداري نعاسك.. تلصق بوجهك نظارة سوداء.. تدير المفتاح.. فتبدأ سيارتك بالثرثرة التي تخجلك أمام الناس عند الإشارة الحمراء.

– أتخجل مني يا عزيزي؟

– لماذا لا تكفين عن الثرثرة؟

– ألم أقل لك مراراً بأني بحاجة إلى مال يغلق فمي.. هل تملك نقوداً؟

تتحسس جيبك.. لا يوجد بها سوى علبة الدخان.. تتناول واحدة تسابق أصابعك إلى شفتيك المتيبستين.. ثم تشعل عود ثقاب تظلم به صباحك.

– لماذا تهدر المال فيما يحرق جوفك.. أنا أولى به.

– عدت إلى الثرثرة.

– إنك تحرجني عندما تخرج الدخان من بين شفتيك ومنخريك.. ألا يكفي فعلي أنا هذا.

– أنت من يحرجني، فرائحتك الكريهة تعرفها شوارع الرياض.

– لا أظن بأن رائحة من اللفافة التي تدخنها ستكون بأفضل مني.

تتحسس ذاكرتك.. لا يوجد بها سوى أيام بيضاء.. كانت زوجتك تعد فيها إفطارك قبل ذهابك إلى العمل.. كان هذا قبل أن تتكور بطنها عدة مرات.. وقبل أن يتكور رأسك بهذا الدوار المرهق.

***

تحاول الدخول إلى مكتبك.. لا تستطيع.. رأسك المتكور يمنعك.. كنت تعلم مسبقاً أن تكوره في اطراد مستمر.. ولكنك في كل مرة تمارس تلذذك بهذا الدوار.. تظل ساهماً.. تحدق في المشهد الذي أمامك.. أنت ودفاترك.. تسطر أحلامك على أوراقها.. يربكك النقاش المعتاد في غرفة والديك.. يتسرب غبار نقاشهما من بين شقوق الباب.. فيملأ أوزاقك.. تسعل أحلامك.. تحاول أن تنفض عنك هذا الغبار.. لكن أحلامك ظلت تسعل وتسعل حتى أفقت بين أربعة حيطان كابوسية.. مليئة بالأوراق المغبرة.. مكتوب على بابها «الأرشيف».

– يا الله! على بابك يا كريم.

إنه أبو نويصر قادم كالعادة بالشاي الأسود كما ترغب؛ لعله يزيل عن رأسك هذا الدوار.. ما بالك تنظر إليه وكأنك تراه لأول مرة.. وتظن بأن هذه الصدرية التي يرتديها من خيوط الهم الحديدية فهي تقوس ظهره.. يناولك الشاي ويصبِّح عليك.. تأخذه مصبِّحاً وأنت تتفحص وجهه.. ترتطم بعينيه.. تنكص نظرتك.. لعينيه بريق غامض.. لا تستطيع أن تسمع منه أي خبر عن حاله.. أهو سعيد أم تعيس؟ هل يكفيه مرتبه القليل أم لا؟ هل يتكور رأسه بدوار مرهق؟ لا تعتقد ذلك؛ لأن مثله لا يملك سيارة ثرثارة أو زوجة لا تعدّ له إفطاره أو أحلاماً ظلت تسعل حتى خروج الروح.

***

عيناك معلقتان بسقف الغرفة.. صوت دقات الساعة يملأ أذنيك.. تتنبه إلى عينين تطلان عليك من السقف.. إنهما عينا أبي نويصر.. لهما بريق يريد محادثتك.

– تشرق وتغرب يا ولدي.

هي جملته التي يرددها دائماً على مسامعك.. الآن تشعر وكأنك تنظر بعينيه.. تنظر إلى نفسك.. يذهلك كم تبدو قزماً.. وكم يبدو هذا الدوار قزماً أيضاً.

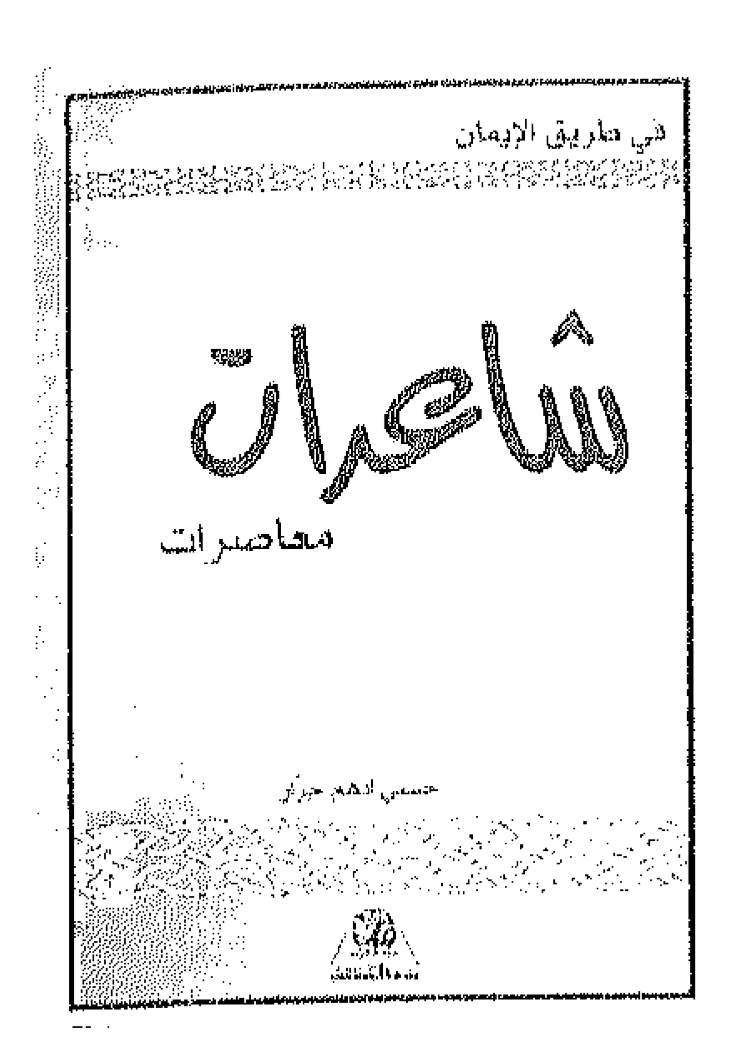
***

تخرج في صباح يبدو قزما...

– يا الله! على بابك يا كريم.

من مكتبة الأدب الإسلامي

شاعرات معاصرات



كتاب : شاعرات معاصرات
تأليف: حسني أدهم جرار.
الناشر: مؤسسة الزيتونة في عمان
عرض: كمال عفانة

صدرت دراسة أدبية مميزة للأديب الأستاذ حسني أدهم جرار، بعنوان: «شاعرات معاصرات»، تناول فيها بالدراسة والتحليل خمس شاعرات إسلاميات معاصرات هن:

- أمينة قطب من مصر.
- أمينة المريني من المغرب.
- إنصاف بخاري من السعودية
- جوهرة السفاريني من فلسطين.
- نبيلة الخطيب من الأردن.

وجاءت هذه الدراسة - ضمن سلسلة أعلن عنها المؤلف في مقدمة الكتاب بعنوان «في طريق الإيمان» في (٢٠٢) صفحة من القطع الكبير.

وتمتاز هذه الدراسة بالموضوعية والشمول في آن معاً، فقد قدم لها بمقدمة ضافية، أودعها خلاصة تجربته مع الأدب الإسلامي على مدى عدة عقود، واستعرض فيها دور المرأة المسلمة «قديماً وحديثاً» في خدمة الأدب الإسلامي، والدعوة الإسلامية.

وقد شلمت الدراسة تعريفاً بحياة الشاعرة، ورحلتها مع الشعر منذ نعومة أظفارها. وأهم الموضوعات الشعرية التي كتبت فيها، وما يميز شعر كل واحدة من هؤلاء الخمس، وأهم الخصائص التي طبعت شعرها، وأهم الآثار الأدبية للشاعرة وأنشطتها الثقافية، ثم ينتقل إلى دراسة نماذج من شعرها دراسة أدبية معمقة، ثم يختم بإيراد ثلاثة نماذج شعرية لكل واحدة منهن.

والمتتبع لهذه الدراسة يلحظ أن كل واحدة من الشاعرات الخمس قد خصصت الجزء الأكبر من شعرها لخدمة الدعوة الإسلامية والأدب الإسلامي، وهذا نابع من التزام كل منهن بدينها وبقدسية ما تنافح عنه وتدعو إليه.

فأمينة قطب بدأت بكتابة القصة وصدرت لها مجموعتان قصصيتان قبل أن تنظم الشعر. وهما: «تيار الحياة» و«في الطريق».

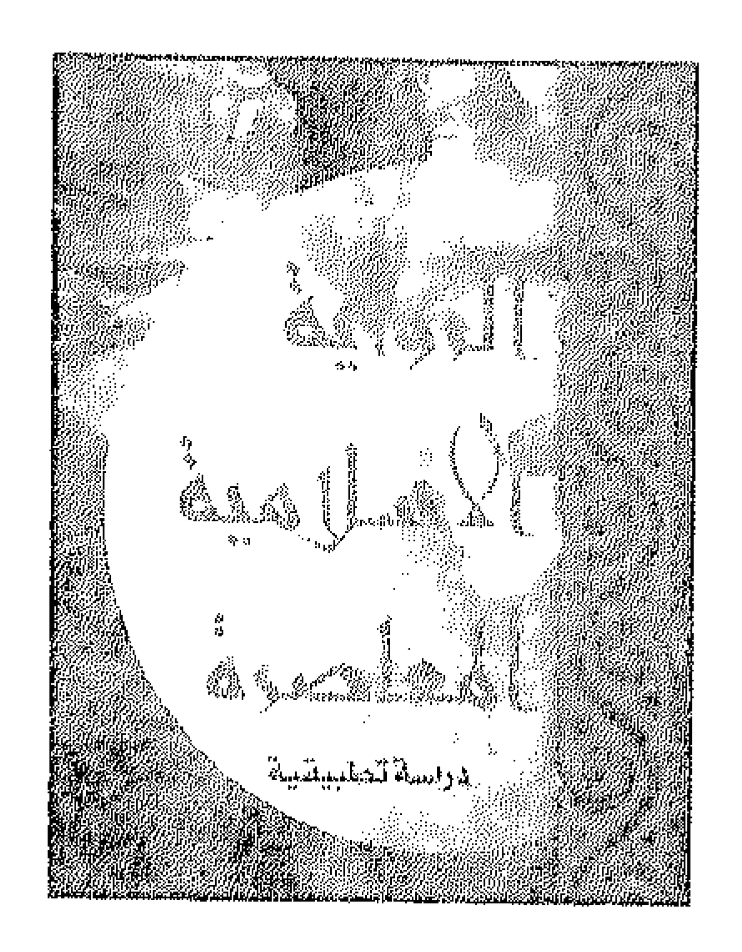
والشاعرة المغربية أمينة المريني تمتلك ناصية الشعر وأدواته، فهي تكتب القصيدة العمودية ذات النفس الطويل، وتكتب كذلك قصيدة التفعيلة، وقد تميز شعرها بعمق وعذوبة تجاوزت قيود الوعظ والخطابة المباشرة إلى عوالم الإيحاء الجميل والخيال المشرق، وقد فازت بالجائزة الثانية في الشعر في مسابقة الأديبات التي أجرتها الرابطة عن ديوانها (عاشقة).

وقال المؤلف عن الشاعرة السعودية إنصاف بخاري: إن شعرها تميز بأنه شعر عطاء إنساني وبث وجداني ينبض بالحياة، تزينه صفاء النفس ورقة العاطفة وسحر البيان وحسن النفاذ إلى القلب.

أما في حديثه عن الشاعرة الفلسطينية جوهرة السفاريني، فقد بيّن أن هذه الشاعرة قد ولدت في ظلال النكبة ورضعت من لبانها، وجعلت من شعرها وقفاً خالصاً للوطن وقضاياه، فجلّ شعرها يحمل في ثناياه هموم القضية الفلسطينية.

وقال عن الشاعرة الأردنية نبيلة الخطيب، إنها عبرت عن آلامها وأحزانها وما يعانيه شعبها وأمتها الإسلامية من ظلم العدوان على ثالث المسجدين الشريفين وأهله، وهو شعر بوح وجداني ثرّ تتعدد فيه الوسائل الفنية من تصوير وتعبير فني جميل. وقد فازت نبيلة الخطيب بالجائزة الأولى في الشعر في مسابقة الأديبات التي أجرتها الرابطة عن ديوانها (عقد الروح)، كما فازت بالجائزة الأولى من مؤسسة البابطين الشعرية لعام ٢٠٠١م.

الرواية الإسلامية المعاصرة



دراسة تطبيقية للدكتور حلمي محمد القاعود
الناشر: نادي جازان الأدبي - السعودية
عرض: بدر بدير حسن

بدأ الدكتور حلمي القاعود دراسته هذه باستهلال وتمهيد وأكملها بخاتمة، وبينهما كانت فصول الكتاب السبع، والتي تناول في كل فصل منها عملا روائيا لروائي مختلف، وفي الاستهلال والتمهيد أشار الباحث إلى عدة ملاحظات. منها أن دراسته هذه تهتم بفن الرواية الإسلامية باعتبارها جنسا أدبياً مهما يمكن أن يدعم الأدب الإسلامي بالكثير من القيم الفنية من منظور إسلامي، وأن الاهتمام بالشعر غلب على الاهتمام بالقصة والمسرحية وغيرهما من فنون الأدب، وأن هذه الدراسة إنما هي قراءة تطبيقية لأبرز الأعمال الروائية الإسلامية مبرزة أهم ما بها من عناصر فنية إيجابية أو سلبية، مركزة على جماليات هذه النصوص الأدبية الروائية، وقد تمكن الباحث من تقديم الأسس التي يبرز بها «الرواية الإسلامية المعاصرة» مشيراً إلى الفارق الجوهري بين أثر الرواية البوليسية في نفس القارئ من حيث المتعة وإثارة الخيال فقط، وأثر الرواية الفنية الأخرى حيث معالجة الحياة ومواقفنا منها وقيمها وأثرها الأعمق في نفوس القراء، مشيراً إلى استخدام كل صاحب مبدأ فردي أو جماعي لفن الرواية باعتبارها أداة فعالة في عرض أفكاره، مما يؤكد نفعية الأدب مهما أنكر بعض الناس ذلك الأمر الذي دفع الكتاب الإسلاميين إلى التعبير عن حياتهم وقيمهم الإسلامية والاجتماعية مثل علي الجارم ومحمد سعيد العريان وعلي أحمد باكثير وغيرهم.

ويؤكد المؤلف أن الرواية الإسلامية لم تأخذ حقها كما يجب بالنسبة للشعر الإسلامي وغيره من فنون التعبير الأدبي وذلك لحاجتها إلى ثقافة شاملة ووقت طويل مما لا يتوافر لبعض الأدباء الإسلاميين، مع ملاحظة سيادة النماذج الروائية التي لا يتبنى أصحابها التصور الإسلامي، أما بالنسبة للرواية الإسلامية فعددها قليل وكتابها قليلون وعلى رأسهم جميعاً الروائي العظيم نجيب الكيلاني الذي جاوزت رواياته الأربعين وآخرها روايته «مملكة البلعوطي» والتي بلغ فيها قمة الواقعية الإسلامية كمذهب أدبي.

وأشار المؤلف إلى أن مسابقة رابطة الأدب الإسلامي العالمية قد كشفت عن موهوبين جدد في فن الرواية الإسلامية مثل علي أبو المكارم الذي أدهش النقاد والمهتمين بالرواية ومثل جهاد الرجبي، وسلام أحمد إدريسو الذي يتوقع له المؤلف أن يكون نجيب محفوظ الرواية الإسلامية، كما أشار إلى فريق آخر من الكتاب الإسلاميين أصحاب المستوى المتوسط الذين تقصر بهم وسائلهم أحياناً عن بلوغ غايتهم مثل الدكتور عماد الدين خليل في رواية «الإعصار والمئذنة» وعصام خوقير في روايته «السنيورة». وأشار المؤلف أيضا إلى أدب المسلمين من غير العرب، وحاجتنا إلى ترجمته إلى العربية أسوةً بما يترجم من آداب الشعوب الأوربية، ومن أمثلة الأدب الإسلامي المترجم رواية «الهجرة من أفغانستان للأديبة الأفغانية» «مرال معروف» ويرسم المؤلف بعض خطوات إحياء الرواية الإسلامية كالمسابقات، وتشجيع دور النشر المهتمة بالأدب الإسلامي للروائيين الإسلاميين، وضرورة المتابعة النقدية للرواية الإسلامية، وترجمة الرواية الإسلامية غير العربية إلى العربية.

وهذه الدراسة التطبيقية تعد قياما عمليا بواجب دعا د. حلمي القاعود الكتاب في هذا الكتاب إليه حين تناول سبع روايات إسلامية لكتاب إسلاميين بالتحليل والنقد أولاها «مملكة البلعوطي» لنجيب الكيلاني وآخرها «الرجل الظل» للروائي عبدالرزاق حسين، وبينهما روايات «الإعصار والمئذنة» للكاتب العراقي عماد الدين خليل و«الهجرة من أفغانستان» لمرال معروف ثم «سقيفة الصفا» للروائي السعودي حمزة محمد بوقيري، ورواية «لن أموت سدى» للكاتبة الأردنية جهاد الرجبي والفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورواية «العائدة» لسلام أحمد إدريسو والفائزة بالجائزة الثانية.

وما أحوج الأدب الإسلامي والرواية الإسلامية إلى مثل هذه المتابعات النقدية التي تحدث أثرها السحري في نفوس المبدعين الشباب، وتساعدهم في الثبات على طريق الإبداع الأدبي الإسلامي.



شعر: بامغار موحا
ترجمة: بواجلا بن الحسن
مراكش - المغرب

أبدأ باسمك يا ربي وأفتتح
ربي أكره كل خير لم تبارك فيه
ما دامت هنالك في الوقت هجرة
فمهما يحصل لي لن أقلق بالمرة
كم إنسان سيموت
كم إنسان سينتقل إلى العالم الآخر فانيا
كم من إنسان سنجده هنالك معانيا
أرأيت من ارتكب صاعا من الذنوب
آثاره في الدنيا ستنجب سوءاً حتى يملأ عدة دروب

***

ربي أنزلي طريقي وذللْ صعابه
لكم اقترفت من ذنب عندما كنت صغيرا
وكم سجل عليّ من المعاصي بعدما كبرت.
أرى مكاني عندما تحين ساعة المنون،
حيث يلقى بي من شفا جرف لأستقر في أسفله.
لن أعود إلى دنياكم،
تركت داري وخلّفت حقولي،
لن أنال إلا ما قدمته لنفسي.

***

لم يفرح بثيابي من غسلني،
عليّ أسمال ممزقة أعطانيها صاحب المزرعة،
رعيت قمحه وحرسته من فحيح كل زوبعة،
حتى ذرّى حبه، ووزنه وحمله،
ولم يترك لي سوى التبن لأنام عليه،
أنا مثل ذلك الراعي،
الذي رعى الغنم في زمهرير الشتاء الثلجي،
حتى إذا ما جاء اللبن والزبد لم يلتفت إليّ
لم يعطني أجرتي فتركت بُرْنُسي ونعلي،
من لم يتصدق سيندم كثيرا،
الموت حق وأنا المتهاون،
ظهرت علاماته،
منذ أن أخذوا الطواحن من فمي،

انقضى زمن الضحك فداخلي حزين،
لا أستطيع أن أمضغ اللقمة ولا أن أبلعها،
كنت كالطاحونة عندما كنت صغيرا،
يستمر الطحن ويأتي الناس بأكياسهم المثقلة حبوبا.
الآن صرت مسنا لا أرى شيئا،
إن رحى أضراسي لا تطحن الطعام،
انغلق باب نفسي وغادر الكلام جوفي،
ثم قلبي ولم يبق لي ما أقول..
هل أنتظر الشباب والقوة وأنا في نزول؟!!

***

ضعف نظري ويبس ما بين عيني،
خسفت عيني فهي غائرة معتمة،
حمّ الموت فماذا أعددت له؟!
بدأت تتضح علاماته عليّ،
لا أعرف ولا أتبيّن من يأتي إليّ،
جلست أمام الباب، وكلما مر إنسان أتساءل من هو؟
إذا كان مؤمنا سلم وأعاد السلام،
ومدّ يده إلينا واسترسل في الكلام،
وإذا كان كافرا لم يكلمني وغض عني ناظريه،
يظن الأحمق أنه يملك زمام نفسه وسيستمر قويا.
انظر إلى العمر إذا امتد سيصير قصيرا،
لا تستحيي الشيخوخة، فهي تنادي جهارا.

***

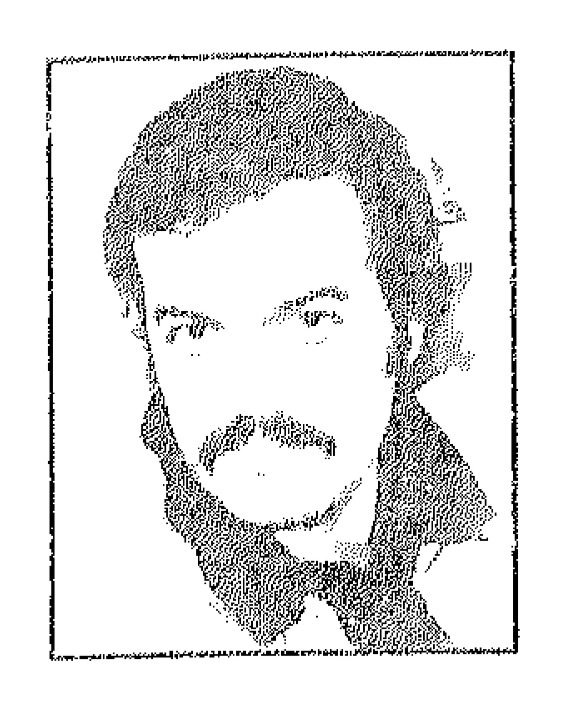
الصمم هو الذي يدمي نفسي،
الصمم هو الذي يكدر نفسي، ويزيد من تعاستي،
لم أعد أسمع من يناديني،
لم أعد من أهل هذا المكان، ولم أفارق هذا المكان، لا أذهب إلى السوق، ولا أمسك المحراث وأسابق الزمن.
صرت كحجر الرحى أقبع باستمرار في مكاني،
عندما يكون حفل العقيقة عند جيراني،
أقول في نفسي: متى سأدعى إلى الحفل مع أخلائي،
ولما قدم الجار صحب كل أهلي إلى داره،
وقال لي ابني: نم هنا يا أبت،
بعد قليل سنأتيك بالعشاء،
وجثم على صدري حزن عميق،
مع من أتحدث وأنا وحيد،
فالليل طويل وفراشي غير معد للنوم، غير وثير،
أنا كسقط المتاع، أنا آنية الماء الفارغة.
عندما أزور الحلاق أبكي في قرارة نفسي مولولا،
ذلك الرأس الذي عهدته قد شهد تحولا،
أنا كشجرة التين التي اقتحمها شهر أيلول.
اصفرت أوراقي والتُوتْ،
يوجد المرض دائما في صدري،
زرت الطبيب، فحصني ثم قال:
انتشر الإعياء داخل جسدك
أعالج من به جروح،
أما الشيخوخة فلا أملك لها دواء.
لقد نضج حصادي فاقبله يا ربي

***

ربي أرجو رحمتك حتى لا يشمت بي إبليس،
لكنني لم أسر على طريق الطاعة،
كثير من الناس لا يصلون،
ويتشبثون بالدنيا وينتظرون الشفاعة،
رأيت الرجل يشهد بخلاف ما رأى،
فضاعت الشهادة،
مصيري ممر طويل ودامس،
لا حطب، لا فتيل، لا مشكاة،
من يضيء لك قبرك؟ من يضيء حواليك؟
لا قنديل لديك.
انظر إلى عفو الله،
كم تركت صلاة الجمعات!
انظر إلى عفو الله.
كلما زرت السوق وجدت ناسا بلا عقول.
جئت لشراء بعض العجول،
فرأيت رجلا يمسك عجلا بكلتا يديه،
ويقسم عدة مرات أنه أعطي أربعين،
فقد أضاف بهتانا وزوراً عشرين،
لبسه إبليس اللعين،
لماذا الكذب وقد ضمن رزقك الرزاق الكريم؟!
أبدأ باسمك ربي وأفتتح،
يا من ندعوه أن يهدينا إلى الخير والطاعة،
أبدأ باسمك ربي وأفتتح،
ربي أكره كل خير لم تبارك فيه.

تمثيلية

أيام بيضها الإسلام



سميح سرحان
سورية

المشهد الأول

الفصل الأول

المدخل: السلاجقة:
يفتح الستار على القائد السلجوقي «ألب أرسلان» وحاشيته وهم في كامل عتادهم ولباسهم الحربي في ذاك الزمن.
المكان: آسيا الصغرى (نيقية). المعركة ملازكرد.
الزمن: ١٠٧١م.
رجل أول: الله أكبر، أيها القائد!
رجل ثان: إنها معركة قوية، تلك التي خضناها مع الروم البيزنطيين
القائد: نعم.. إنها الأولى.. الحمد لله.. أيها الرجال لنكن على حذر من الأعداء؛ لأن شيمتهم الغدر!.
الرجل الثالث: إن فضل الله عظيم علينا.. ألحقنا بهم هزائم وخسائر فادحة!.
القائد: أحسنتم.. أحسنتم يا رجال.. بارك الله فيكم.. ووفقكم إلى النصر المستمر.
الرجل الثاني: الله أكبر.. نحن الآن قرب عاصمتهم أيها القائد!
القائد: لقد تمكنا الآن بحماية الله ورعايته أن نتقدم بجيوشنا السلجوقية إلى عمق الأراضي البيزنطية
الرجل الأول: لقد طاردناهم.. وتمكنا منهم!
القائد: صحيح.. إلا أن هزيمتهم، جعلتهم يرسلون إلينا أن نهادنهم، وقبلنا الهدنة!.
الرجل الثاني: بارك الله في الجهود النبيلة المسلمة.
القائد: علينا أيها الرجل. أن نرعى ما أخذناه من أراضٍ، ونحافظ على كل شبر منها، وأن نكونَ حذرين من الفاطميين في مصر، حيث تحالفوا مع أعدائنا النصارى ضدنا!..
الرجل الأول: الله أكبر! كان الله في عوننا جميعاً! (يخرجون ثم يعودون).
الرجل الثالث: أيها القائد.. إن البيزنطيين يظنون أننا ضعفاء، بسبب الهدنة التي رضينا بها!.
الرجل الثاني: هم الذين طلبوها ويهددوننا؟! ماذا قالوا؟!
المراسل (مع الحاشية) ومعه رسالة يقرأ منها:
أيها القائد: يقول الإمبراطور البيزنطي: «لا هُدنةَ إلا بالرّيّ».
القائد (بعصبية): أو يقول هذا؟! أي لن يتوقف إلا في مدينة الريّ أيها الرجال!
الجميع: فلنكن على حذر.. وعلى استعداد دائم!
القائد: لنكن مستعدين جميعاً.. فالقتالَ القتالَ.. وعلى بركة الله!.
الرجل الأول: فلتبدأ المعركة.. ولنتقدم!
تطفأ الأنوار... وبدأت المعركة.. (مؤثرات صوتية)
الرجل الأول: الله أكبر.. الله أكبر..
الرجل الثاني: لقد تمكن الجيش السلجوقي من أسر الامبراطور رومانوس الرابع «ديوجنيس».
الرجل الثالث: يا الله.. إن البيزنطيين يتقهقرون!.
الرجل الأول: إنهم ينهزمون.. الله أكبر.. يقتلون.. قضينا على معاقلهم.. استولينا على عديد من مدنهم..
الرجل الثاني: لقد أصبحتْ نيقية في يدنا!
الله أكبر.. الله أكبر، لقد انتصرنا على بيزنطة!!
الجميع: الله أكبر... انتصرنا على بيزنطة!!
يخرجون.
يدخل راويان: يسلط على كل واحد منهما الإضاءة:
الأول: فتحت هذه المعركة أبواب آسيا الصغرى للسلاجقة.
الثاني: أخذوا يوسعون ممتلكاتهم على حساب الأراضي البيزنطية..
الأول: استولى سليمان بن قتلمش على الكثير منها.

الثاني: وتوّج ذلك باستيلائه على أنطاكية (عام ٤٧٧ هـ).

الأول: ناهيك عن الأراضي التي استولى عليها الأمراء الأقل شأناً من سليمان.

الثاني: ومن بينها قلاع ومدن هامة ومن بين أولئك الدانشمند - وشاكا..

الأول: وخوشك وغيرهم.. فكان لابدّ أن يعمد الأمبراطور البيزنطي ألكسي كومنينوس إلى الاستنجاد بالغرب النصراني.

الأول: فرفع النصارى شعار نجدة البيزنطيين الأرثوذكس ضد المسلمين.

الثاني: فاتحين بذلك حروباً، وعرفت فيما بعد بالحروب الصليبية، ودامت مئتي عام..

«ستار..»

المشهد الثاني

يدخل أحد المقدمين: والآن أيها الإخوة الكرام، نتابع مشاهد أيام يضيئها الإسلام

المشهد الثاني: عنوانه الصليبيون

صوت من داخل الجمهور: (يصرخ): قف..قف!

المقدم: «يتساءل»: مَنْ؟ مَنْ هناك؟!

شخص بجانبه: من الذي يزعج هدوء مسرحنا؟

رجل من الجمهور الذي صرخ: يقترب من خشبة المسرح: هذا المسرح ليس ملكا لكم!! إنه ملك الجمهور الحاضر كله!

رجل ثانٍ يخرج مع الأول: نعم.. علينا أن نفهم كلّ كلمةٍ تُقال منذ البدء.. وتوضحوّن لنا ما نسأل؟!

المقدم: وماذا تريدون أن تسألوا؟

الأول: مَنْ هم الصليبيون؟

المقدم: نعْمَ السؤالُ سؤالُكمْ، يا حسامَ الدين أخبر القومَ مَنْ هم الصليبيون؟ وما أسباب مجيئهم إلى بلادنا؟!

يفتح الستار على ثلاثة من الرواة.. (تلاحقهم الإضاءة):

الأول: امتدت الفتوحات الإسلامية إلى آسيا وأفريقيا و أوربا واستخلصت الأراضي من النفوذ النصراني..

الثاني: صار الناس في دولة السلاجقة يعيشون حياة بذخ وخيلاء..

الثالث: فصار الضعف يدبّ في هذه الدولة، حيث مات القادة الكبار وخلفهم من كان يحكم بالسلطة والدنيا، فضاع ما بناه الأجداد وأهدر ما استشهد من أجله الأتقياء.

الأول: حقد النصارى على الإسلام والمسلمين نتيجة لذلك..

الثاني: فاستنجدوا بالدول النصرانية المجاورة..

الثالث: وتحمس رجال دينهم.. من أساقفة ورهبان، وتجسد حماسهم في سلب بيت المقدس من المسلمين.. ثم الحد من الزحف الإسلامي المستمر الذي كاد أن يعم العالم.. وتوقيفه.

الأول: غفران ذنوب وخطايا كل من يشارك في حملة حروبهم التي بدؤوا يستعدون لها..

الثاني: ظنوا أن الأراضي المقدسة في فلسطين تفيض.. لبناً.. وعسلاً!

الثالث: فاجتمع الإقطاعيون.. والتجار، والأمراء من جنوب

فرنسا وشمالها.. وإيطاليا.

الأول: فالتقى الجميع في القسطنطينية، ووجدوا دربهم مفتوحاً أمامهم فتغلغلوا فيما لم يكونوا يحلمون به.

الثاني: فعبروا آسيا الصغرى..

الثالث: اعترضهم الجيش السلجوقي.. وجرت معارك كبرى..

الأول: تقدم من خلالها النصارى.. متجهين إلى أنطاكية وحاصروها ثمانية أشهر واستولوا عليها.

الثاني: ساروا إلى بيت المقدس.. حاصروه شهراً... ثم ... سقط بأيديهم.

الثالث: فعلوا ما تأباه الأديان.. من فظاعة، وشناعة، وانتهاك!

الأول: بلغ عدد القتلى في ذاك الوقت، ما يزيد عن سبعين ألفاً..

الثاني: سالت الدماء أنهاراً في المسجد الأقصى.. وفي الحارات والدور..

الثالث: سَبَوْا النساء وقتلوا الأولاد..

الأول: نهبوا الأموال، وحرقوا الدور..

الثاني: هتكوا الأعراض كما يحلو لهم.. وحوّلوا المساجد إلى كنائس! ودور العلم إلى خمارات!.

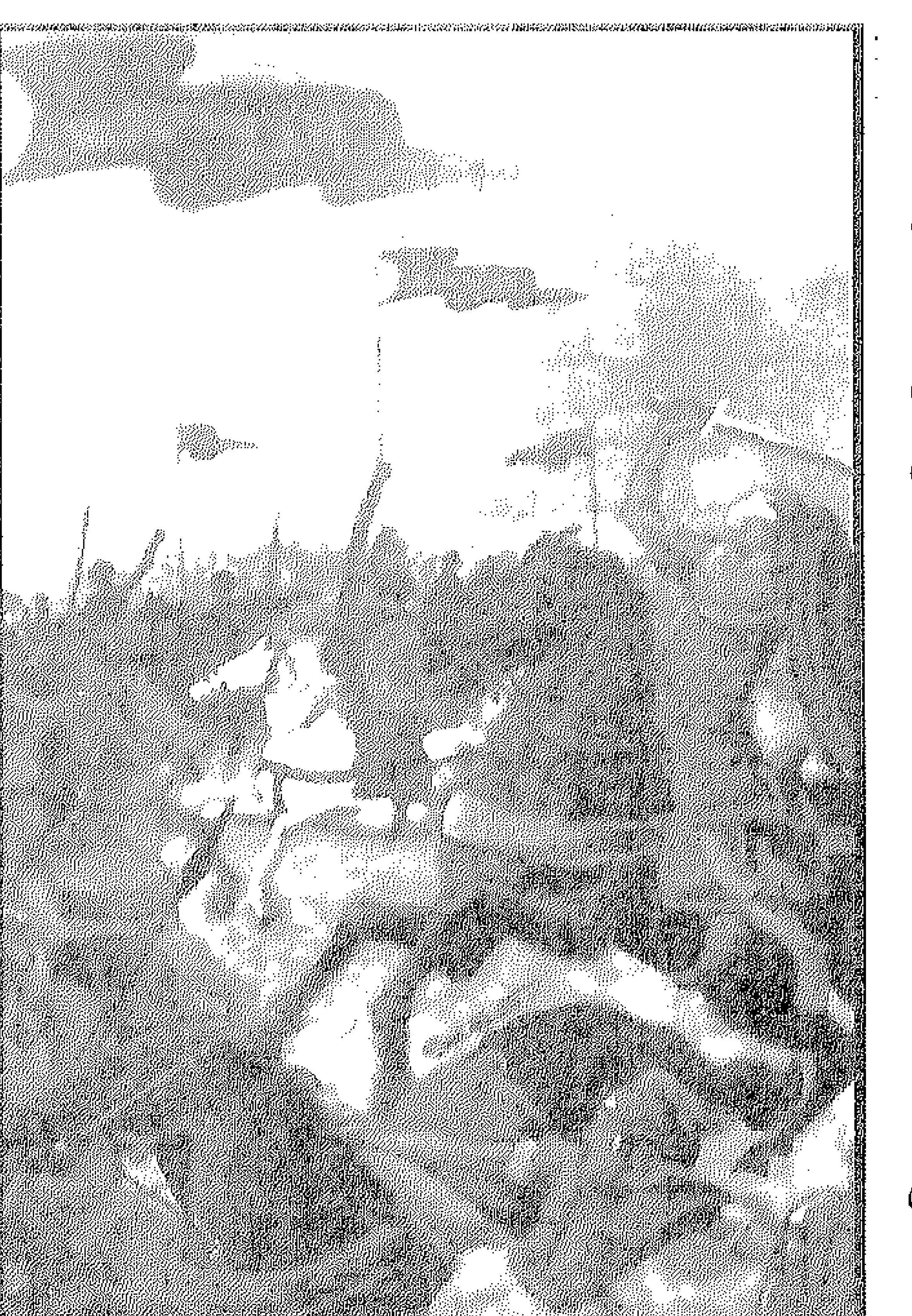
الثالث: استقر الصليبيون في البلاد الشامية، وأسسوا إمارات عديدة.

الأول: امتدت هذه الإمارات: من خليج الإسكندرونة، إلى عسقلان.. ومن خليج العقبة، إلى شمال الرها.. شرق تركيا الآن!.

«في هذه الأثناء» يدخل شاعر من شعراء العصر المعروفين.. ويلقي أبياته المصورة لوحشية الصليبيين:

أحلَّ الكفرُ بالإسلام ضيماً
يطولُ عليه للدين النحيبُ
فحق ضائع وحمًى مباح
وسيف قاطع ودم صبيبُ
وكمْ من مسلمٍ أمسى سليباً
ومسلمةٍ لها حرم سليبُ
وكم من مسجدٍ جعلوه ديراً
على محرابه نصبَ الصليبُ
أتُسْبَى المسلماتُ بكلِّ ثغْرٍ
وعيشُ المسلمينَ إذن يطيبُ؟!
أما للهِ والإسلام جندٌ
تدافع عنه شبانٌ وشيبُ
فقل لذوي البصائر حيث كانوا
أجيبوا اللهَ ويحكمُ أجيبوا

ويشيع الحزن والقهر في هذه الأمة وتمضي مئتا عام في ذل وخنوع واستبداد إلى أن هيأ الله رجالاً صادقين يرفعون راية الجهاد مدافعين عن دينه.. أمثال عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود والقائد الملهم صلاح الدين الأيوبي الذي حرر بلاد المسلمين من رجس الصليبيين..



الجميع: الله أكبر.. الله أكبر..

«ستار»

الفصل الثاني

الأيوبيون

يفتح الستار على: صلاح الدين الأيوبي...القاضي بهاء ابن شداد.

ابن أخ صلاح الدين/ تقي الدين عمر القائد العسكري/ مظفر الدين كوكبري. مع رجالات أخرين.. بملابس حربية..

صلاح الدين: الحمد لله لقد أسس عماد الدين زنكي حركة الجهاد الإسلامي ضد الإفرنج في وقت عصيب!

القاضي: حقاً، فقد تمكن من توحيد سورية وآسيا الغربية..

تقي الدين: لقد سخر كافة موارده وقوته في خدمة الجهاد في سبيل الله ضد الإفرنج.

مظفر: لقد علمنا دروساً عظيمة حيث أنشأ مدارس الدعوة الإسلامية التي افتقدناها..

صلاح الدين: الحمد لله.. لقد تمكن من تحرير مملكة الرها من الصليبيين بعد حصارها

ثمانية وعشرين يوماً.. وكانت ضربة عنيفة موجعة.. ولأول مرة يقوم للمسلمين قوة ضد النصارى.

الجميع: الحمد لله والشكر له.. الله أكبر..

صلاح الدين: لكن.. استشهد عند أسوار «قلعة جعبر» دون أن يحقق ما أراد ضد النصارى.

القاضي: الحمد لله أن ابنه نور الدين تابع خطاه.

صلاح الدين: نعم.. وقد تمكن من توحيد العالم الإسلامي في الجزيرة وبلاد الشام..

القاضي: لقد ضم دمشق نهائياً إلى حكمه.

صلاح الدين: تمكنت مع عمي أسد الدين عندما استنجد به «شاور السعدي» وكنت معه سنداً له.. وضممت مصر بعد ما تسلمت وزارة عمي أسد الدين بعد وفاته.

مظفر: حمداً لله أنك تمكنت بتوفيق من الله أن تضم مصر بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد..

صلاح الدين: نعم.. كان ضعيفاً، ولم يقاومني أحد.. رحم الله نور الدين محمود.! يا رجال!! إننا الآن نتابع المهمة الملقاة على عاتقنا.. ادعوا الله أن يوفقنا بنصره..

تقي الدين: يا عماه!! أيها القائد!! بارك الله لك فيما تحكم.. فقد تمكنت الآن من ضمّ: - مصر - وبلاد النوبة، وشمال أفريقية، والحجاز، واليمن، وسورية.

صلاح الدين: الحمد لله.. كونوا متيقظين جميعاً.. لقد خضنا كثيراً من المعارك.. لكن الآن..

القاضي: أيها القائد: - لقد مكثت ست سنوات وأنت ترتب الأوضاع الداخلية في مصر والشام.. من أجل معركة فاصلة مع النصارى المعتدين..

صلاح الدين: هو استيلاء هؤلاء الكفرة على بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى وثالث المسجدين الشريفين أيها القاضي بهاء.. يتحرشون بنا.. ونصبر على مضض!.

مظفر الدين: نحن طوع أمرك أيها الأمير.. لقد حاول (أرناط) حاكم الكرك الصليبي أن يعبر البحر الأحمر ليسيطر على مكة والمدينة ويتحكم بطريق التجارة والحجيج على الرغم من الهدنة التي بيننا!؟.

صلاح الدين: أعلم يا مظفر لقد اعتدى على قافلتنا.. وقد استهتر أيضاً بديننا ونبينا، وأقسم بالله لأقتلنّه.. يا بن أخي!!

تقي الدين: أمرك أيها الأمير.

صلاح الدين: لقد استكملنا استعداداتنا.. وعلينا الآن أن نعلن النفير العام! ونهيئ الكتائب المجاهدة.. ونعلن الجهاد في كل مكان!

الجميع: ليكن ذلك.

صلاح الدين: يا مظفر! إن السرية التي قدتها بالقرب من صفورية واشتباكك مع الإفرنج وانتصارك عليهم فتح لي الطريق إلى حطين!

القاضي: الله أكبر! أيها الأمير بارك الله في جهودك!.

صلاح الدين: يابن أخي: ستكون قائداً للجناح الأيمن، وأنت يا مظفر الدين ستكون قائداً للجناح الأيسر وسأكون قائداً لقلب الجيش. وأنت أيها القاضي بهاء ستكون مرافقي وصاحبي.

القاضي: على بركة الله.. يا رجال..

تقي الدين: إذن ليعبر جيشنا نهر الأردن، ونتحرك إلى طبريا.. وعلى بركة الله.. يخرجون.. تُطفأ الأنوار.. ثم تُضاءُ.. إيذاناً بمرور وقت المعركة!

يدخل الرجال:..

رجل أول: الله أكبر .. لقد انتصر جيشنا في معركة حطين ضد الصليبيين!

رجل ثان: استعصت القلعة علينا.. إلا أنها سقطت بعد ذلك.. وتساقطت معها كل المناطق المجاورة.

رجل ثالث: لقد تمكن صلاح الدين بعد معركة حطين - أن يسقط عكا وتبْنين.. وصيدا.. وجبيل.. وبيروت.. وعسقلان.. والداروم.. وغزة.. وبيت لحم.. والنطرون..

الرجل الأول: وبعد ثلاثة أشهر تمكن من تحرير بيت المقدس بعد حصاره أسبوعاً وقد تسلمه صلحاً!.

الرجل الثاني: الله أكبر! لقد ارتفعت معنويات المسلمين.. وهللوا مكبرين ساجدين لله العظيم.. الله أكبر!

الرجل الثالث: لقد ولول الصليبيون وصعقوا

بانتصارات المسلمين.. إنها ضربة قوية على وجودهم.
الرجل الأول: أما سمعتم.؟
الرجال: ماذا؟
الرجل الأول: عندما علم «البابا أوربان الثامن» بسقوط القدس في أيدي المسلمين.
الرجال: ماذا فعل؟
الأول: يتابع: سَقَطَ قلبُه!
الجميع: ماذا؟!
الأول: نَعَم.. وَقَع ميتاً من هول الصدمة!
الجميع: الله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد.!!
الرجل الثاني: إنّ خليفة البابا غريغوريوس الثامن الكاثوليكي.
الجميع: ما به!
الرجل يتابع: بدأ في حملة صليبية ثالثة جديدة.
الرجال: الله أكبر.
الرجل الثاني: طلب هذا البابا من النصارى:
أولا: الصيام يوم الجمعة كل أسبوع لمدة خمس سنوات.
ثانياً: الامتناع عن أكل اللحم مرتين في الأسبوع.
ثالثاً: نذر الكاردينالات بالتجول مشياً على الأقدام في فرنسا وإنجلترا وألمانيا للدعوة إلى تلك الحملة الصليبية اللئيمة..
الرجال: الله أكبر!
الرجل الأول: لكن يا رجال!..
الجميع: ماذا؟!
الرجل الثاني: هذه الحملة لم يعد لها هدف ديني كالحملات السابقة.. لأن النصارى بدأت تَرجم الجُباةَ بالحجارة لفشلها الديني، ومكاسبها التجارية...
الجميع: الله أكبر!!
يدخل صلاح الدين ورجال الحاشية:
القاضي: أعزك الله أيها الأمير!
تقي الدين: وبارك الله بالجهود التي قمت بها.. لقد خضْت أربعاً وسبعين معركة وكنت فيها القائد الملهم الذي يرفع راية الله مرفرفة خفاقة!
يدخل مع الركب الشاعر أبو الحسن بن علي الجويني، يرحبون به ويطلبوك منه الإنشاد... **فينشد:**

تسعون عاماً بلادُ الله في كمد
وليس للدين والإسلام أعوان
فالآن لبى صلاحُ الدينِ دعوتَهم
بأمر مَنْ هو للمعوان معوانُ
إذا طوى اللهُ ديوانَ العبادَ، فما
يُطوى لأجرِ صلاحِ الدينِ ديوانُ
الجميع: الحمد لله!!
يخرجون ويكون صلاح الدين آخر الخارجين،، وإذ:
بصوت من داخل المسرح يجعل صلاح الدين يتوقف ليجيب على ما يُسأل عنه:
صوت من جمهور المسرح:
الصوت: صلاح الدين الأيوبي قف!..
(صلاح الدين يقف في المسرح ناظراً للجمهور..)
يتقدم السائل: صلاح الدين الأيوبي مَن أنت؟
صلاح الدين: مسلم بسيط من مسلمي هذه الأمة.
السائل: والدُك؟!.
صلاح الدين: والدي نجم الدين أيوب بن شاذي جاء من قرية تدعى دَوين. من إقليم «آران في أذربيجان» مع أخيه أسد الدين شيركوه.
السائل: نسبك؟
صلاح الدين: أنتسب إلى أسرة كردية من أكراد الرداوية..
السائل: ولادتك؟
صلاح الدين: شاء الله أن أولد في قلعة تسمى «تكريت».. قرب بغداد عام ٥٣٢ هـ ثم ترعرعت في الموصل.. وقضيت فترة شبابي في بعلبك.. تدربت فيها على الفروسية ومقاتلة الرجال.. وممارسة السياسة.
السائل: عملكُ في دمشق؟
صلاح الدين: أسندت إليّ رئاسة الشرطة فيها.. فطهرت المدينة من عبث اللصوص والقتلة.. وجعلت الأمن والاستقرار مستتباً.
السائل: وفي مصر؟
صلاح الدين: خرجت مع عمي أسد الدين شيركوه لنجدة «شاور السعدي» الذي ثار ضد الخليفة الفاطمي العاضد.. وتمكنت مع عمي ضمّ مصر إلى حكم نور الدين محمود سنة ٥٦٤هـ..!
السائل: صلاح الدين الأيوبي ما علمك؟

صلاح الدين: حفظت القرآن الكريم.. فهمت قواعد اللغة... عرفت مبادئ النحو.. تفقهت بالدين.. ولزمت المسجد الأموي في دمشق.. أجلس إلى العالم عبدالله ابن عصرون.. فاقتبست الكثير من علمه.. وتوجيهاته.. وخلقه.

السائل: صلاح الدين.. أيها القائد المظفر! ما الذي جعل القائد الفرنسي «غورو» عند دخوله دمشق واحتلاله.. يخاطب قبرك بقوله: هاقد عدنا يا صلاح الدين؟!

صلاح الدين: يفرحون بانحسار الدين الإسلامي وضعف المسلمين لأنهم يخافون من انتشار عدله، وسيطرة حكمه!

السائل: كيف انتصرت على أعدائك؟

صلاح الدين: بالإيمان بالله.. واتباع نهج السلف الصالح.. قال الله تعالى:

{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إنْ مَكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور}.
«الحج: ٤٠-٤١».

يخطو عدة خطوات إلى وراء وقبل مغادرته المسرح.

يظهر راويان: يضع صلاح الدين يده على بطنه ووجهه متجه نحو المخرج..

الأول: غشيت صلاح الدين حمى صفراوية، واشتد عليه المرض، ومات فجر الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩هـ تسع وثمانين وخمس مئة من الهجرة.

الثاني: مات وعمره سبع وخمسون سنة، لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرياً.

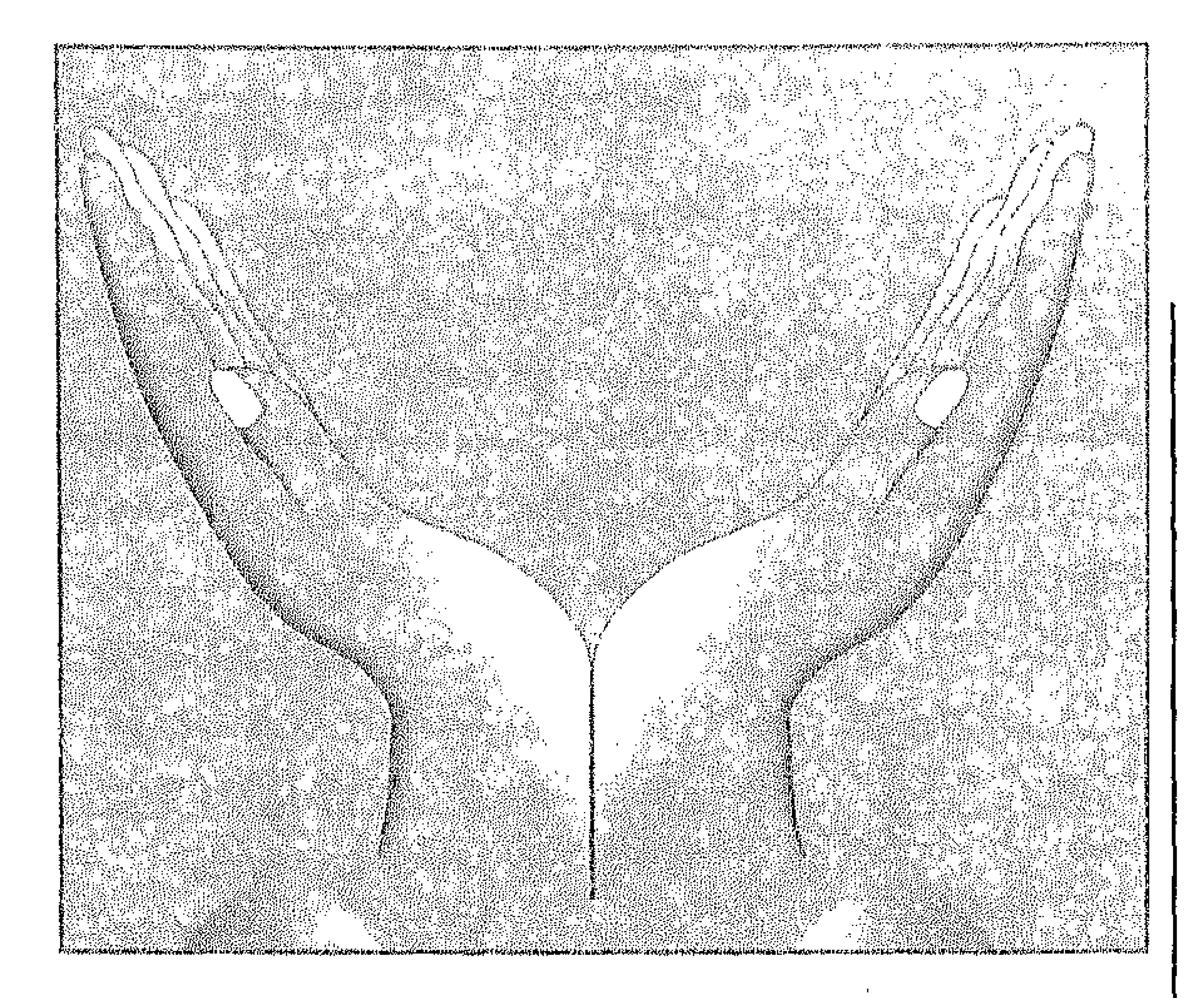
الأول: وديناراً واحداً. ولم يخلف مالاً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا مزرعة.. ولا شيئاً من الأملاك..

الثاني: يا صلاح الدين.. نم هنيئاً في قبرك. رحمك الله، وغفر لك، وأدخلك فسيح جناته!!

يبدأ إغلاق الستارة وصوت المقرئ يرتل:

{يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي *}.
[سورة الفجر: ٢٧-٣٠].





مناجاة

د. يوسف نوفل - مصر

هكذا حال الحياة التقاءٌ وافتراقْ

واعتدال، وانبساط، والتواءٌ، وانشقاقْ

لا يكونُ الأمرُ فيها واحداً فيه الوفاقْ

بل تراه اليومَ يُسراً وغداً مرّ المذاقْ

وترى في الأمس بشراً وحبوراً وانطلاقْ

بينما اليومَ تقاسي مِحنةً فيها اشتياقْ

لصديق، أو قريب، أو خليل، أو رفاقْ

قد يرينا الله فيها من بلاء لا يُطاقْ

أو نعيم تَرْكَنُ النفس إليه بانسياقْ

إنّها الأيامُ تمضي مسرعات في سباقْ

في سكون الليل أبكي بالتياع واختناقْ

أبعثُ الآهات حيرى كلها دمعٌ مراقْ

يا إلهي أنتَ ربي، أنت فرد أنت باقْ

يسّر الأحوال إني خائف يوم التلاقْ

لماذا يتجاهل د. يوسف عزالدين ريادة باكثير للشعر الحديث؟!

عبدالله الطنطاوي
سورية

استمتعت بقراءة المقال الذي كتبه الدكتور يوسف عزالدين في العدد الرابع والعشرين من مجلة الأدب الإسلامي الزاهرة، وبعد قراءته، تساءلت: هل كان المضمون يقع تحت هذا العنوان (أيهما السابق في التجديد ونظم الشعر الحديث؟) فالعنوان يتضمن:

١- أيهما السابق في التجديد؟

٢- أيهما السابق في نظم الشعر الحديث؟

ويعني كلاً من الشاعرين المبدعين: نازك الملائكة، والسياب.



وكان فيما قاله الدكتور عن السبق في التجديد.

«ولو أن بدراً اعتمد على الأساطير العربية، والتراث الضخم، وأصالة هذا الأدب، وطوّره، لكان تجديداً». إذن.. ما كان ما فعله تجديداً، والله أعلم.

ثم يتابع الدكتور:

«بخلاف السيدة نازك الملائكة التي حافظت على الديباجة العربية، وجدّدت بكلّ رفق وتؤدة، وبحدود مقبولة، إضافة إلى حسّها الموسيقي المرهف، لأنها تعزف على العود، وتتذوق الأنغام الجميلة». ما شاء الله! معلومة مهمة أضفناها إلى معلوماتنا عن الشاعرة الكبيرة المبدعة، شفاها الله وعافاها، وأعادها إلى حظيرة الشعر والنقد، فقد شغر مكانها أو كاد!.

ثم يتابع الدكتور - ومعذرة لتقطيع كلامه، وبإمكان القارئ أن يصل ما انقطع من كلامه:

«لهذا فإنّ بدراً أكثر إحساساً بالتجديد والتطور، لأنه أكثر اتصالاً بالشعر الإنكليزي، وكان شديد العناية بدراسته، وتتبع تطوّره وتجديده طالباً، وتأثر به شاعراً».

أستميحك العذر يا دكتور، لم أفهم ما قلت.. فمن المجدد في رأيك؟ نازك أم السياب فيما نقلته عنك؟

ثم... ألا ترى معي ثقل اسم التفضيل (أكثر) في استخدامها مرتين فيما لا يتعدد؟ أليس كلمةِ (أشد) مثلا خيراً منها؟

على أي حال.. ننتقل إلى البند الثاني من مقال الدكتور: أيهما السابق في نظم الشعر الحديث؟ يعني التفعيلة.

كأني بالدكتور حصر الريادة في نازك والسياب ابتداء، كأني به كان ينظر إلى مقالي (مع رواد شعر التفعيلة) الذي نشرته في مجلة (الآداب) في العدد التاسع (أيلول ١٩٦٩) أي قبل واحد وثلاثين عاماً.. أجل.. أقول: كأنه كان ينظر إليه، وهو يعدّد بعض الأسماء التي كنت ناقشتها في مقالي، أعني الشعراء والكتّاب: نازك - السياب - أبو حديد - باكثير - أبو شادي - د. كمال نشأت - الزهاوي - غالي شكري - صلاح عبدالصبور - لويس عوض - نا جي علوش - إنعام الجندي - النويهي - سيد قطب - مختار الوكيل - د. عبدالهادي محبوبة - عبدالرحمن شكري - خليل شيبوب..

وما أحسب الدكتور لم يقرأه، ولم يقرأ الردود الكثيرة عليه، فقد استمرت أكثر من سنة، شارك فيها الدكتور سيد ياسين، والدكتور كمال نشأت،

وغالي شكري، وسليمان فياض، وسواهم، وكان في بعضهم حدّة، ولكنّ أيا منهم لم يستطع دحض ما توصلت إليه في دراستي، من أن رائد شعر التفعيلة هو الشاعر علي أحمد باكثير الذي سبق نازك والسياب بضع عشرة سنة، ولست أدري ما إذا كان الدكتور يوسف لا يعد ترجمة مسرحية كاملة (روميو وجولييت) وتأليف مسرحية كاملة، بفصولها الأربعة أو الخمسة، وبصفحاتها التي جاءت في حوالي مئتي صفحة، نظمهما الشاعر باكثير شعراً حرًا.. شعر تفعيلة.. وأفادت نازك من بعض آرائه في شعر التفعيلة، وعدّه السياب رائد الشعراء الذين ينظمون أو يشعرون على الطريقة الجديدة، طريقة شعراء التفعيلة..

أقول: ألا يكفي هذا، مع ما نظمه باكثير فيما بعد، ليقرّ الدكتور بأن باكثير هو السبّاق، وهو الرائد؟

الدكتور من قراء (الآداب) ومن كاتبيها، و(الآداب) كانت وما تزال، مجلة الأدب الأولى في الوطن العربي، منذ ظهورها، وما كان أديب أو متأدب إلا ويطلع عليها، وكثير منهم يقتنونها..

ثم إني نشرت ذلك المقال في كتابي: (دراسات في أدب باكثير) المطبوع عام ١٩٧٥م، ثم نزل - سهواً - في كتابي (فلسطين واليهود في مسرح علي أحمد باكثير) عام ١٩٧٧م، وأحسب أن الدكتور لم يطلع عليهما حتماً. وكان الأستاذ الشاعر الناقد محمد الحسناوي فيمن شارك في الردّ على بعض هؤلاء، كالدكتور سيد ياسين. قال الحسناوي في العدد الثامن من مجلة (الآداب) عام ١٩٧٠م ردا على سيد ياسين الذي نقد مقال (مع رواد الشعر الحر) للكاتب عبدالله الطنطاوي الذي دلّل بالحجة والاستقصاء على ريادة باكثير للشعر الحر، أو الحديث، أو شعر التفعيلة، من دون بدرشاكر السياب، أو نازك الملائكة، أو فريد أبي حديد، أو أحمد زكي أبي شادي، أو لويس عوض، فإذا بالسيد ياسين يستلب الريادة من الرجل، ومن كل رائد على ظهر الأرض، إذ يقول: «وكما أننا لا نستطيع - من وجهة النظر العلمية - نسبة التحولات الكبرى في التاريخ إلى أفراد أعلام - لاشك في عظمتهم - فنحن هنا أيضا إذا ما التزمنا بالمنهج العلمي في دراسة الأدب - لا نستطيع أن نسلّم بأن فلاناً من الأدباء، هو الرائد الأول للقصة القصيرة، أو للرواية، أو للشعر الجديد» - الآداب: ١٩٦٩/١٠ - .. هكذا إذا ما التزمنا بالمنهج العلمي! وأي منهج هذا المنهج العلمي؟ ولكن.. هل هذا النوع من المعرفة - ولا أقول العلم - هل يبطل دور (العوامل الذاتية التي تتمثل في الجهد الخلاق للأدباء، ونوعيّة تكوينهم الثقافي، وانتماءاتهم الأيديولوجية والاجتماعية التي تؤثر تأثيراً حاسماً في نوعية إنتاجهم؟..

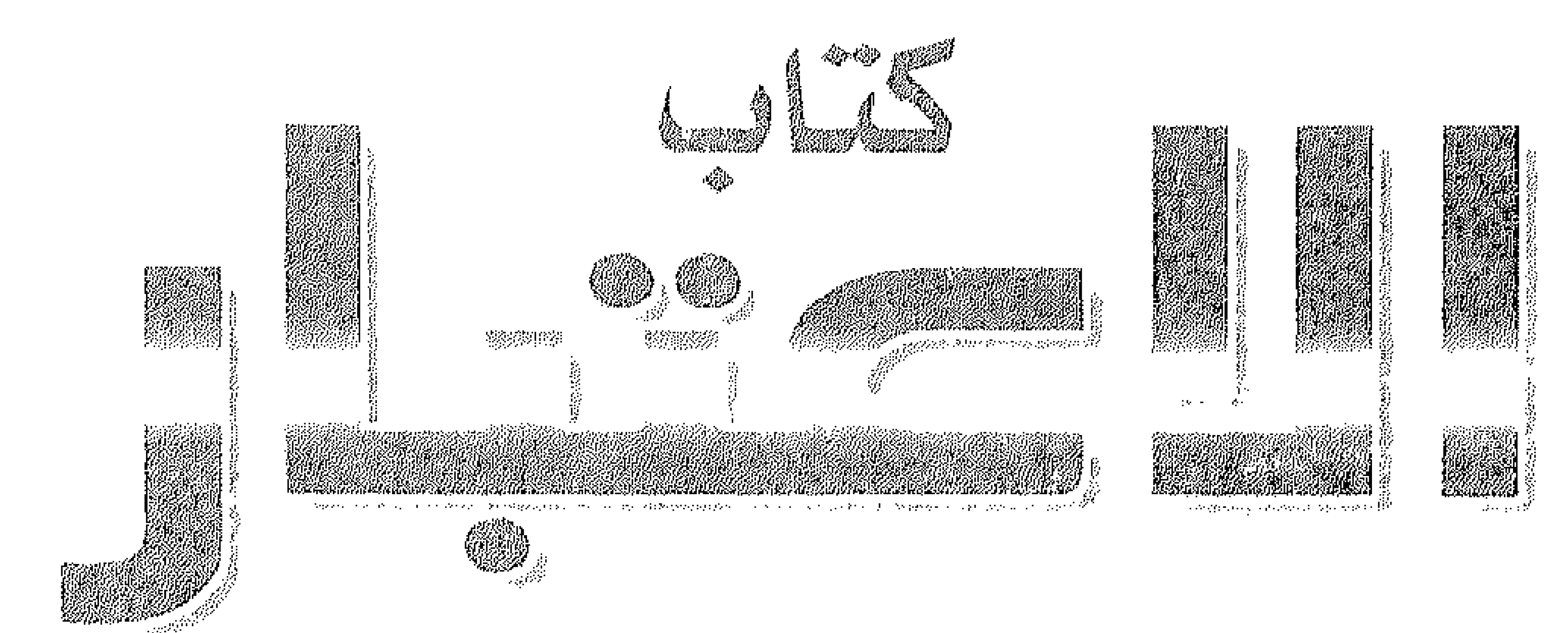
هذه العبارات من كلام سيد ياسين نفسه، فما الجريمة التي اقترفها عبدالله الطنطاوي لما - أجهد نفسه للعثور على الرائد «الأول» للشعر الجديد»؟ - انظر كتاب (في الأدب والأدب الإسلامي) تأليف محمد الحسناوي ص: ٢٦٣.

كنا نظن أن الموضوع قد حُسم، بعد كل تلك المناقشات والردود التي لم يستطع واحد من كتابها أن يدحض ما انتهيت إليه، من أن باكثير هو الرائد - كما قلت - وعندما التقينا الشاعرة الرائعة نازك في فندق الصخرة في لبنان عام ١٩٧٢ بحضور زوجها الدكتور عبدالهادي محبوبة لم تنكر ريادة باكثير، ولكنها لم تكن تعرف عنه هذا، كما كان السياب الذي كان يهديه دواوينه، ويكتب له في الإهداء كلمات يعترف فيها بسبق باكثير في هذا المضمار، كماجاء في مقدمة مسرحية (أخناتون ونفرتيتي).

وقد نشرت وقائع هذا اللقاء في جريدة (الحياة) اللندنية في العدد ١١٢٧٥ تاريخ ٢٨ من كانون الأول ١٩٩٣ وأرفق - لجلتنا الحبيبة - صورة عنه، وصورة عن مقالي في (الآداب) للاطلاع، واطلاع من يشاؤون عليهما.

لقد أشار الدكتور إلى باكثير إشارة عابرة، ولكنه كان قد حسم الأمر من العنوان، ومن الكلمات الأولى التي قرّر فيها، أن نازك والسياب أول من جاء بشعر التفعيلة: «وحسب هؤلاء أن الشاعرين - السياب ونازك - هما أول من جاء بالشعر الحر» والأمر ليس كذلك، وهذا لا يضير شاعرينا الكبيرين المبدعين: نازك والسياب، لأن هذا حقيقة تاريخية يجب احترامها، وردّ الفضل إلى أهله.

علي أحمد باكثير
صاحب الريادة المسلوبة



"لأسامة بن منقذ"

رسالة لنيل درجة الماجستير
إعداد : سامر محمد البارودي

كانت الأمة الإسلامية إبان الحروب الصليبية أحوج ما تكون إلى من يوحد صفوفها، ويضم شتاتها، ويعيد إليها قوتها ومنعتها في عصر آلت فيه أحوالها إلى الفوضى والاضطراب، حتى غدت مسرحا للصراعات الدامية فيما بينها، وكانت دول الإفرنج تتربص بالمسلمين مثل هذه الفرصة السانحة، فاستغلت ضعف الأمة واضطراب أحوالها، وسعت لبسط نفوذها على أقطارها مدفوعة بحقد صليبي متأجج، ومتناسية خلافاتها كلها، وأخذت تحاول تمزيق العالم الإسلامي بالقوة حينا، وبإثارة الفتن أحياناً أخرى، ولكن ما لبث المسلمون أن أفاقوا من غفلتهم على الواقع المرير، فأخذوا يجمعون الصفوف، ويلمون الشعث، ويسعون إلى إعداد أمتهم ورفعها إلى مستوى المعركة التي فرضت عليها.

وكان لابد لتلك الأحداث والحروب أن تستثير الشعراء والأدباء، وأن تخلف أدباً متنوعاً، وإن كان متفاوتا بين الجودة والضعف، وقد اصطلح على تسمية هذا الأدب بأدب الحروب الصليبية.

وكان من أجمل ما وصل إلينا من هذا الأدب كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، الذي يعد أول كتاب في أدب السيرة الذاتية في العالم، وبدا وكأنه مسرح واقعي للجهاد والنضال، ودليل هاد للفرسان الأبطال، وقد دارت ذكريات أسامة الذي كان من أبطال الحروب الصليبية وفرسانها حول أحداث جسام رآها بعينه أو شارك فيها بنفسه، كما خاض كثيرا من معارك الجهاد والنضال، ثم سجل ذلك كله بأسلوب قصصي شائق وسيرة فنية فريدة، وكان الدافع الرئيس إلى تأليف هذا الكتاب لدى أسامة هو رغبته في أن يستخلص العبرة والعظة من مذكراته التي تجمع بين الصدق والطرافة وعفوية الأسلوب.

ولقد كان ما قدمته من أول الدوافع التي حدت بي إلى اختيار هذا الكتاب ليكون موضوعاً أتقدم به لنيل درجة الماجستير، ولاسيما أنه ليس من اللائق أن يدرس كتاب الاعتبار عدة دراسات أدبية في مئات الصفحات وبلغات مختلفة، ثم لا تكتب عنه دراسة عربية، توضح مكانته بين السير العربية والأجنبية، وتدرس أسلوب عصره ومصطلحاته، وتظهر منزلته في نظر الدارسين العرب وغيرهم، ويمكن أن أضيف إلى ما تقدم أن كتاب الاعتبار قد كتب على هيئة سرد للقصص البطولية ولمناحي الحياة المختلفة مما يدعو الدارسين إلى أن يتجاوزوا ما فيه من الإمتاع للتركيز على ما فيه من فوائد جمة. أهمها أنه يعد وثيقة تاريخية لحقبة من أهم حقب الإسلام، كما أنه صورة واقعية لأحوال المسلمين الصليبيين تظهر بصورة صادقة المفارقات العجيبة بين المسلمين في رفعة حضارتهم وبين الصليبيين في بدائيتهم وانحطاطهم.

ولقد كان مما سهل علي المضي في هذا البحث أن الكتاب قد حقق تحقيقاً جيدا، وإنما وجدت بعض الصعوبة في تحديد أسس البناء الفني للسيرة الذاتية والملامح الفنية لها، إذ تفاوتت آراء الدارسين فيها على قلتها، بالإضافة إلى أنها في أغلبها دراسات نظرية لم تتناول بالتطبيق سيرة معينة، ولم تسلط الأسس الفنية عليها، ولقد بذلت جهدا مضنياً في الحصول على آراء المستشرقين حول كتاب الاعتبار فقد كانت مبثوثة في عدد من الكتب والدوريات بلغات متعددة.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسمه على خمسة فصول مع تمهيد تحدثت فيه عن إسهام بني منقذ في الحروب الصليبية، ثم ألحقت بهذه النبذة آثار أسامة المطبوعة والضائعة وقد بلغت ما يقارب عشرين كتاباً كانت نتيجة للتربية العلمية القويمة.

وقد خصصت الفصل الأول للحديث عن كتاب الاعتبار من حيث دواعي تأليفه، وتاريخ التأليف، وتوثيق نسبة الكتاب إلى أسامة، ومخطوطته، ثم طبعاته ومصادره التي ساق منها حوادث كتابه وقصصه.

وأما الفصل الثاني فقد كان لدراسة الجوانب الموضوعية لأن كتاب الاعتبار يوضح كثيرا من أطراف الحياة الإسلامية والصليبية في ذلك العصر سواء منها الجانب السياسي أو الديني أو الاجتماعي أو الثقافي أو التربوي أو الحضاري.

وخصصت الفصل الثالث لدراسة فن السيرة الذاتية، إذ تناولت جوانب شخصية أسامة من طفولته إلى أواخر شيخوخته وفق تطورها الزمني، كما تناولت أسلوب التقرير والسرد والنزعة القصصية والتشويق في أسلوب الكاتب والواقعية والمبالغة في سرد الحوادث. وموقف الكاتب إزاء العقبات التي واجهته والأزمات التي وقع فيها. كما تناولت الحديث عن التداخل الزمني في أحداث الكتاب والاستطراد فيها، فأسامة الذي كان يكتب سيرته عن طريق الاسترجاع بعد أن وافى التسعين قد أغفل قاصداً التواتر الزمني لأحداث سيرته تبعاً لهدف الكتاب وهو جمع قصص الاعتبار والاتعاظ المؤثرة.

فقد استطعت تأكيد الرأي الذي يعد سيرة أسامة بن منقذ

أول سيرة ذاتية في العالم كله، إذ إن أسامة قد سبق بيبس الإنجليزي وريتز الفرنسي صاحبي أقدم مذكرات في الأدب الغربي بخمسة قرون.

وأما الفصل الرابع فقد خصصته للدراسة الفنية من حيث الألفاظ واستعمال الدخيل والمعرب والعامي، كما أحصيت المصطلحات الحربية الواردة في الكتاب بعد شرحها. ثم تناولت الحديث عن التراكيب من حيث بناء الجملة وعفوية اللغة، وأوضحت سمات الحوار الذي كان يميل إلى العامية، مما جعلني أتحدث عن لغة الحياة اليومية كما تبدو في الكتاب.

وقد جعلت الفصل الخامس والأخير للحديث عن منزلة الكتاب في نظر بعض الدارسين المستشرقين والعرب الذين أكدت آراؤهم مجتمعة الأهمية الكبيرة التي يحتفظ بها كتاب الاعتبار. فهو في نظرهم وثيقة تاريخية مهمة، وسيرة فنية فريدة تعالج كثيراً من النواحي الاجتماعية لأهل ذلك العصر، وتلقي الضوء على الحياة العامة في الشام ومصر في أسلوب قصصي جذاب ولغة سهلة دارجة، مع براعة في تقديم شخصيات إنسانية إيجابية، بالإضافة إلى تمثيل هذه السيرة للفروسية الفريدة، والرجولة الفذة لدى الجندي المسلم.

تم ألحقت بالكتاب خاتمة وسرداً للمصادر والمراجع التي أفاد منها هذا البحث.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكر كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأستاذي الدكتور عبدالقدوس أبو صالح المشرف على الرسالة الذي لم يأل جهداً في توجيهي ونصحي لما يخدم هذه الدراسة الأدبية.

الذاتية، إذ تناولت جوانب شخصية أسامة من طفولته إلى أواخر شيخوخته وفق تطورها الزمني، كما تناولت أسلوب التقرير والسرد والنزعة القصصية والتشويق في أسلوب الكاتب والواقعية والمبالغة في سرد الحوادث، وموقف الكاتب إزاء العقبات التي واجهته والأزمات التي وقع فيها. كما تناولت الحديث عن التداخل الزمني في أحداث الكتاب والاستطراد فيها، فأسامة الذي كان يكتب سيرته عن طريق الاسترجاع بعد أن وافى التسعين قد أغفل قاصداً التواتر الزمني لأحداث سيرته تبعاً لهدف الكتاب وهو جمع قصص الاعتبار والاتعاظ المؤثرة.

فقد استطعت تأكيد الرأي الذي يعد سيرة أسامة بن منقذ
أول سيرة ذاتية في العالم كله، إذ إن أسامة قد سبق بيبس الإنجليزي وريتز الفرنسي صاحبي أقدم مذكرات في الأدب الغربي بخمسة قرون.

وأما الفصل الرابع فقد خصصته للدراسة الفنية من حيث الألفاظ واستعمال الدخيل والمعرب والعامي، كما أحصيت المصطلحات الحربية الواردة في الكتاب بعد شرحها، ثم تناولت الحديث عن التراكيب من حيث بناء الجملة وعفوية اللغة، وأوضحت سمات الحوار الذي كان يميل إلى العامية، مما جعلني أتحدث عن لغة الحياة اليومية كما تبدو في الكتاب.

وقد جعلت الفصل الخامس والأخير للحديث عن منزلة الكتاب في نظر بعض الدارسين المستشرقين والعرب الذين أكدت آراؤهم مجتمعة الأهمية الكبيرة التي يحتفظ بها كتاب الاعتبار. فهو في نظرهم وثيقة تاريخية مهمة، وسيرة فنية فريدة تعالج كثيراً من النواحي الاجتماعية لأهل ذلك العصر، وتلقي الضوء على الحياة العامة في الشام ومصر في أسلوب قصصي جذاب ولغة سهلة دارجة، مع براعة في تقديم شخصيات إنسانية إيجابية، بالإضافة إلى تمثيل هذه السيرة للفروسية الفريدة، والرجولة الفذة لدى الجندي المسلم.

تم ألحقت بالكتاب خاتمة وسرداً للمصادر والمراجع التي أفاد منها هذا البحث.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكر كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأستاذي الدكتور عبدالقدوس أبو صالح المشرف على الرسالة الذي لم يأل جهداً في توجيهي ونصحي لما يخدم هذه الدراسة الأدبية.





الأقلام الواعدة

قـــراءة في بـريـد الأقلام الواعدة

إشراف : د. حسين علي محمد

*** هيثم السيد - الرياض:**

لم يستقم لك وزن الشعر بعد، وإن كنا نجد عندك بعض الأبيات القليلة الموزونة، ومنها في قصيدتك «الطائف» مطلعها الذي تقول فيه:

بوحُ المشاعر يُخفي صوتَهُ المطرُ
والغيثُ يُلهمُ قلباً ليس ينتظرُ

ومن قصيدتك «صوت الواقع»:

سمعتُ الناسَ تذكرني مرارا
وتُسهبُ إنْ رأتْ مني اصطبارا
وتفترُ سيرتي في كلّ درب
كأنّي قدْ غدوت لهم حوارا

فحاول يا صديقي أن تبتعد عن الأخطاء العروضية، وستنشر لك المجلة وقتها.

*** محمد أحمد فقيه - كلية الطب بجامعة صنعاء:**

أرسلت عدداً من «القصائد» منها «مصرع الحب»، و«الرجوع المر» و«غصة» وجئت أمشي».. وغيرها.

ومن قصيدتك «غصة».

يا سائلي
ماذا أجيب
فهذا العصر..
مهما بدا متباهياً
وجه كئيبْ
وهذي الذكريات
تموج كالليل العصيب...

وهي تفتقد الوزن، ولا نجد الإيقاع إلا في سطور ثلاثة، هي الأول والثاني والرابع!

وأرى أن تقرأ نماذج من شعرنا القديم لفحول الشعر العربي كحسان وجرير وأبي تمام والمتنبي والبحتري، مع نماذج من شعر التفعيلة لترى وتحدد طريقك، وإلى لقاء مع محاولات قادمة.

*** ابتسام القعيمي:**

قرأت «القصيدتين» اللتين أرسلتهما، وهما تفتقدان الوزن، وأرى أنهما من الخواطر النثرية الجيدة، إذا تخلصت من السجع المتكلف، وها هو أحد المقاطع، أنشره لك كقطعة من النثر الوجداني الجيد:

«في الخريف.. عندما طال طريق الضياع، عندما ارتقى بنا الأسى حتى شاع، ومزق فينا كل انكسارات الوداع، هناك فقط وُجد البريق، وُجد رغم التواءات الطريق، ورغم الصراخ ورغم الحريق هناك فقط.. برق النور كيوم عيد، ودبّت الحياة بنا من جديد».

وليتك تطالعين الكتب النثرية الجيدة، مثل كتب مصطفى صادق الرافعي وحسين عفيف ومي زيادة.

*** فاطمة... - الطائف :**

خاطرتك التي بعنوان «قراءة في وجه الأحداث: أبو بكر والصمود» جيدة، ومنها: «بنظرة فاحصة ثاقبة لسبر أغوار التاريخ نستطيع قراءة الأحداث وتحديد مجراها. وقليل هم الذين يقفون مواقف صارمة في وجه الأحداث لتغيير مجرى التاريخ».

لكن أخطاءك التحريرية والإملائية الكثيرة تجعلنا نطلب منك القراءة كثيراً، حتى تستقيم لغتك. وفي انتظار خواطرك الأخرى.

* **الأخت غادة عبدالله العمودي - جدة:**
«أدب الفكرة» توجه طيب ومسعى حميد، لكن هل هناك أدب بدون فكرة؟ أتصور أن هذا المشروع يمكن أن تحتويه خاطرة، أو مقالة وهما فنان موجودان في أدبنا الحديث، ولعلك تكتبين في هذين الفنين مستلهمة تعاليم ديننا الحنيف، وأنت تنظرين فيما حولك.

---

* **فيصل سعيد بالعمش - جدة**
مسرحيتك «بناء الصرح» خطوة على طريق الكتابة المسرحية الجادة التي تعبر عن هموم الأمة، كاد المشهد الأخير يمنعني من نشرها فهو زاعق وغير مبرر.
تحتاج كتابة المسرحية إلى قراءة وتأمل وصبر. وليتك تقرأ مسرحيات علي أحمد باكثير الطويلة والقصيرة، وعدداً من نماذج المسرح فيما تستقبله من أيام، وليتك أيضا تقرأ الكتب التي تتحدث عن فن المسرحية؛ لتتعرف على خصائصها الفنية قبل أن تكتب نصوصك القادمة، وتمنياتنا لك بالتوفيق.

---

* **عزاوي المصطفى آل الإمام - المغرب**
ما قلناه في الرد السابق ينطبق على قصيدتك «سفر قريتي» وهي من النثر الجيد الذي يتآزر فيه التصوير مع السرد، وهأنذا أنشر لك المقطع الثاني منها:
«في طريق غير معبدة،
أناخ بي هيكل الكلال،
يلفه السجاف الأحمر،
يغمره النور، وشعاع الظلال،
...
صخب الوادي عن بعد،
تحرّكت أحجاره المتوقدة،
فانطفأت شعلتها الطفولية،
وفي صدري..
غنى المحال أغنية بقيثارة القيل والقال».
وقصيدة «رب ارحم أبي» لا تختلف عن القصيدة السابقة.

---

* **دليّل الجويعد:**
قصتك «بائعة اللبن» تكشف عن موهبة قصصية جيدة ننشرها هذا العدد، وننتظر المزيد من التجارب الأخرى، والله موفقك.

بائعة اللبن

دليّل الجويعد - الرياض:

الأقدام تهرول.. والألسن تولول.. ضجيج أطفال وصرخات نساء.. شيء غريب، وسؤال حائر.. أين صمت وسكون القرية؟!
انقبضت لنفسي. فأسرعت لارتداء خماري، تاركة مخدعي متجهة إلى ما أحدث الضجة، وأثار دهشتي ودهشة أهل قريتي.
في وسط هذا الصخب.. رأيتهم مذعورين.. يغشاهم الصمت.. نظراتهم بلهاء، تتحرك دون أن تعي ما حولها.
حركت عينيّ فرأيت فتاة بلباس غريب، قد غطت جزءاً من شعرها الأصفر، ترتدي بنطالاً أسود ملطخاً ببقع بيضاء تمتطي ظهر حمار، يجر وراءه عربة مليئة بالقوارير.
الأطفال ينظرون إليها بكل براءة، والأمهات يخبئن الرضع تحت الخُمر خوفاً عليهم منها.
نظرات شاردة.. سكون خائف..
أيقظنا من ذلك، صوتها الرنّان الذي غطى على بكاء الأطفال.. فقد أخذت تتكلم بكلمات فيها لكنة، وهي توزع قواريرها الممتلئة باللبن.
راق لنا ذلك وكأننا لأول مرة نذوق فيها اللبن.. فها هو ذا الطفل يشرب متلذذاً ويمسح ما بقي من آثار بطرف كمه، وكهل تحت ظل شجرة يشربه جرعة واحدة، وها هي ذي الأم تشرب جرعة وتسقي طفلها جرعة..
تعطي هذا وذاك وهي تبتسم، وبعدما انتهت حملت سوطها ضاربة به قفا حمارها، فودعتنا بابتسامة واختفت عن الأنظار وغابت مع مغيب الشمس.
أخذتُ أفكر في هذه الزائرة ولبنها التي أحسست من أول وهلة أنها بائعة لبن فاشلة ومع ذلك طمعت في شربة أخرى.
ومع بزوغ فجر يوم جديد، أسدلت خماري وخرجت مع من خرج من أهل قريتي شوقاً إلى اللبن.. وكنا في ذلك الموقف بين رجل حيران وامرأة حيرى، ونحن نرتقب ظهورها بكل رجاء وتوسل.
ظهرت وسبق ذلك صوت ضربات سوطها، ونهيق حمارها.
ظهرت أمامنا بلباس جديد كاشفة عن شعرها وقد جعلته عقيصتين.
ضربت أوتادها وعرضت بضاعتها. ولكن هذه المرة تريد ثمناً فأعطيناها، وأخذنا البضاعة فشربنا حتى ارتوينا.. وعدنا قافلين إلى دورنا.
عدت أحمل ثقلاً وتركت عقلي هناك.. أفكر في ذات العقيصتين.
ظهرت لي في صورة الصياد عندما يلقي الطعم في شباكه، وخشيت أن يكون هذا اللبن طعماً لتصطاد به ضعاف العقول من بني قريتي، وفي غمرة من التساؤلات.. انسدل جفني معلنا عن قرب موعد نومي، ورحت في نوم المريض الخائف من قرب نهايته.. فلم أنم في تلك الليلة إلا لماماً.
وما إن ترجل النهار حتى عاودت بائعة اللبن الظهور، ولكن بوجه آخر فها هي ذي تكلف نفسها بطرق كل باب لتقديم الطعم.. عفواً اللبن.. إلى أن طرقت باب بيتي مقدمة لي القارورة ولكن بعد ماذا؟!.. بعد أن أبدت الرغوة عن الصريح.
بادلتها بابتسامة أهل القرية الصادقة.. ابتسامة صفاء خالية من الزيف ورددتها قائلة:
خذي طُعْمَكِ الممزوج بالماء وارحلي.

(بناء الصرح)

مسرحية من فصل واحد

بقلم: فيصل سعيد بالعمش

المشهد الأول

(جدار مكون من عدة لبنات وهي عبارة عن مكعبات كرتونية مكتوب عليها «الصرح»):

صوت من الخارج: (كان صرحاً عظيماً في يوم من الأيام يظل الناس تحته، يحتمون بحماه، ويصد عنهم أعداءهم، وقف ذلك الصرح شامخاً على مدى القرون... ولكن.. ولكن الأوغاد والخونة لم يرقهم ذلك.. وأرادوا هدم هذا الصرح فوق رؤوس الأبرياء.. وكان لهم ما أرادوا.. فقد مكثوا سنين ينخرون في قاعدة هذا الصرح العظيم، ويستبدلون بلبناته القوية الصلبة لبنات ضعيفة مهزوزة .. ثم .. ثم كانت القاضية.. استطاعوا أن يهدموا الصرح فوق رؤوس أهله.

أثناء هذا الكلام تظهر على المسرح مجموعة الأوغاد ترتدي ملابس سوداء... تتهامس.. تضع الخطط في صمت .. ثم يهدمون الصرح بدفع هذه اللبنات.

نشيد

(لما سقط الصرح بكينا

وبكى حتى الحزن علينا).

المشهد الثاني

(يفتح الستار)

مسعود: (محاولاً تضخيم صوته): .. أنا خالد بن الوليد.. سيف الله المسلول.. أيها الجنود.. أيها المسلمون إن الصرب يهجمون عليكم هجمة رجل واحد فاثبتوا لهم ولا تتزحزحوا.. الصبرَ الصبر! فإنما ينتصر اليوم أصبر الفريقين.. سنفتح سرايفو اليوم بإذن الله.. يا قيس بن هبيرة: أنجد الميمنة واكفها ما أمامها.. يا عمرو بن العاص اثبت.. (يدخل أبوه فيقاطعه).

الأب (منادياً): مسعود.

مسعود (يرتجف من الخوف): نعم.. نعم يا أبي.

الأب: هل أحضرت شهادتك من المدرسة.

مسعود: هاه.. آآ نعم لقد أحضرتها.. ولكن من الأفضل ألا تراها يا أبي.

الأب (ساخراً): لماذا..؟ لماذا وأنا متأكد من النتيجة..؟ آه.. آه يا بني لقد أفقدتني الأمل فيك.. أرني إياها.

(يناوله مسعود الشهادة مطأطئاً رأسه).

الأب: ماذا..؟ ألهذا الحد..؟ راسب في مادة القرآن الكريم! إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد أضعت عمري في تربيتك ثم تكون هذه هي النتيجة.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. يا أم مسعود.. يا أم مسعود (يخرج).

أنجديني قبل أن يفقدني ابنك عقلي.

مسعود: (يرمي الشهادة): أوه.. أبي آماله دوماً في الشهادة.. (مقلداً صوت أبيه في سخرية) كم درجتك؟ .. نجحت أم لم تنجح؟ أما أنا فطموحي أكبر من ذلك.. (يعود للتمثيل) يا حبيب بن مسلمة انطلق بخيلك والحق بخيل الصرب، يا قعقاع بن عمرو...

(يغلق الستار)

المشهد الثالث

(يفتح الستار يظهر محمود يمثل دور هارون الرشيد ودور حاجبه معاً)

محمود (الرشيد، ينظر إلى السماء): يا سحابة. أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك..

(الحاجب): سيدي الخليفة.. رسالة لك من ملك الروم..

(الرشيد): ناولنيها (يأخذها، يفتحها، يقرؤها، يبدو الغضب على وجهه) ماذا أيهددني..؟! أيها الكاتب..

(الكاتب): نعم نعم.. يا سيدي.

(الرشيد): اكتب.. اكتب عندك: من هارون أمير المؤمنين .. إلى .... كلب الروم.. (صوت من الخارج يقاطعه)

(من الخارج): محمود.. محمود.. الصلاة على وشك الانتهاء.. اذهب يا بني وصل مع الجماعة.

محمود: أوه يا أمي.. قطعت علي حبل أفكاري.. أتركيني الآن سأصلي فيما بعد.. فيما بعد.. أيها الحاجب أكمل الكتاب.. من هارون.. (يُغلق الستار).

المشهد الرابع

(يفتح الستار يرى محمود جالساً وسالم يدور ويتحدث)

سالم: لقد تخيلت بالأمس أنني صلاح الدين، وأنني قدت المسلمين في حرب ضد إسرائيل، واستطعنا أن نهزمهم في معركة حطين ثانية: (يمثل) أيها الجنود.. خذوا علي عهداً ألا أتبسم حتى نسترد المسجد الأقصى.. أيها الوزير.. أصدر الأوامر للجيش فليستعد.. فسنهاجم تل أبيب في الصباح الباكر.. (يقاطعه محمود).

محمود: ما هذا يا سالم أهذه كل طموحاتك.. ياله من طموح ضعيف.. تريد أن تكون صلاح الدين لتفتح القدس ثم تتوقف مكانك.. أما أنا فطموحاتي أكبر من ذلك.. لقد تخيلت أنني خليفة المسلمين العظيم هارون الرشيد.. كان كل العالم تحت يدي وملكي.. (يمثل) يا سحابة أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك .. (يدخل مسعود فيقاطعه).

مسعود: .. ها..ها.. ما هذا؟ ماذا أسمع..؟ صلاح الدين.. هارون الرشيد.. وأنتما فاشلان في دراستكما وفي حياتكما.
سالم: ما شاء الله عليك أيها الطالب المجتهد.. نجحت في مادة القرآن الكريم!!
مسعود: ماذا.. ماذا تقصد..
سالم: لا داعي لأن تخبئ عنا هذه الأخبار، ولتلزم حدودك، وإلا فضحتك بما هو أدهى من ذلك..
محمود: أوه.. ألن تكفوا عن هذا النزاع.. يا هارون الرشيد؟ عد.. عد فقد سئمنا الانتظار..
مسعود: ماذا نفعل بهارون الرشيد.. نحن اليوم نحتاج إلى سيف من سيوف الله .. نحتاج إلى خالد بن الوليد.. (يمثل) أيها المسلمون.. اهجموا على الصرب هجمة واحدة ولا تدعوا منهم أحدا..
سالم: أوه.. دعوكم من الرشيد وابن الوليد.. عد يا صلاح الدين وافتتح قدسنا السجين..

صلاح الدين يا شمسُ فداك الروح والنفسُ

مسعود: لا .. لا يا سالم نحن بحاجة إلى خالد بن الوليد.
سالم: بل صلاح الدين.
محمود: لا خالد ولا صلاح.. ولكن هارون الرشيد.
(يحدث شجار) لا، بل صلاح الدين.. لا، بل هارون الرشيد.. لا، بل خالد بن الوليد.. (يدخل همام)
همام: ماذا أسمع.. ما هذه التخاريف.. ما هذه المهزلة.. (يُطأطئون رؤوسهم)
سالم: أي تخاريف وأي مهزلة.. نحن يا همام نعيد أمجاد المسلمين ونعيد ذكرى القادة الأبطال وننتظر عودتهم.. أتسمي هذا مهزلة..
مسعود: نعم.. نعم صدق سالم نحن لا نخرف ولا نهزل.
محمود: نعم نحن صادقون في كلامنا.. آه.. أين أنت يا هارون الرشيد؟!
مسعود: لا.. بل أين أنت يا خالد بن الوليد؟
سالم: لا بل صلاح الدين.. (يعود الشجار)
همام: (صارخاً) كفى.. كفاكم صياحاً.. لو أن ابن الوليد أو الرشيد أو صلاح الدين عاد ورآكم لمات لتوه بالسكتة القلبية.
محمود: أتهزأ بنا يا همام، ونحن نبني مجد الأمة؟!.
همام: مجد الأمة.. أي مجد هذا الذي تتحدث عنه.. (يتلفت ثائراً) ثم أين تبنون مجد الأمة.. في الهواء.. على صفحات الخيال.. في عقولكم الفارغة؟؟
مسعود: أوه يا همام.. وماذا تريدنا أن نفعل.. إن الله تعالى يقول: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} وهذا ما بوسعنا..
همام: هذا ما بوسعكم.. أنت دوماً هكذا ليس لديكم إلا الأحلام.. أليس بوسعكم أن تجتهدوا في دراستكم فتخدموا أمتكم.. أليس بوسعكم أن تكونوا قدوة لغيركم فتحافظوا على صلاتكم.. أليس بوسعكم أن تتعلموا كتاب ربكم .. أليس بوسعكم؟؟ (يقاطعه مسعود).
مسعود: أوه يا همام.. دراستنا؟؟ صلاتنا؟؟ إلى متى تزعجنا بكلامك هذا..
همام: يا مسعود إن لله سننا كونية لا تتغير.. والله تعالى يقول: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}..
محمود (متأثراً): نعم.. نعم يا مسعود لقد صدق همام.. نحن غارقون في بحر من الأحلام ليس له آخر.. بعيدون عن واقعنا أشد البعد..
سالم: ولكن يا .. (يقاطعه محمود)
محمود: لا تخادع نفسك يا سالم.. لأن نعترف بخطئنا خير لنا من أن نسير مع الأوهام.
مسعود: ولكن أين المخرج.. أين المخرج يا جماعة؟!.
همام: أيها الأحبة.. لابد أن نعيش واقعنا.. لابد أن نبني الصرح على أرض الواقع من جديد.. لابد أن نتكاتف جميعاً.. كل منا يقف على ثغر من ثغور الإسلام.. حتى نصل إلى الأمل المنشود.. والآن هيا معي لنبدأ العمل.
الثلاثة: هيا هيا يا همام.. (يخرجون)

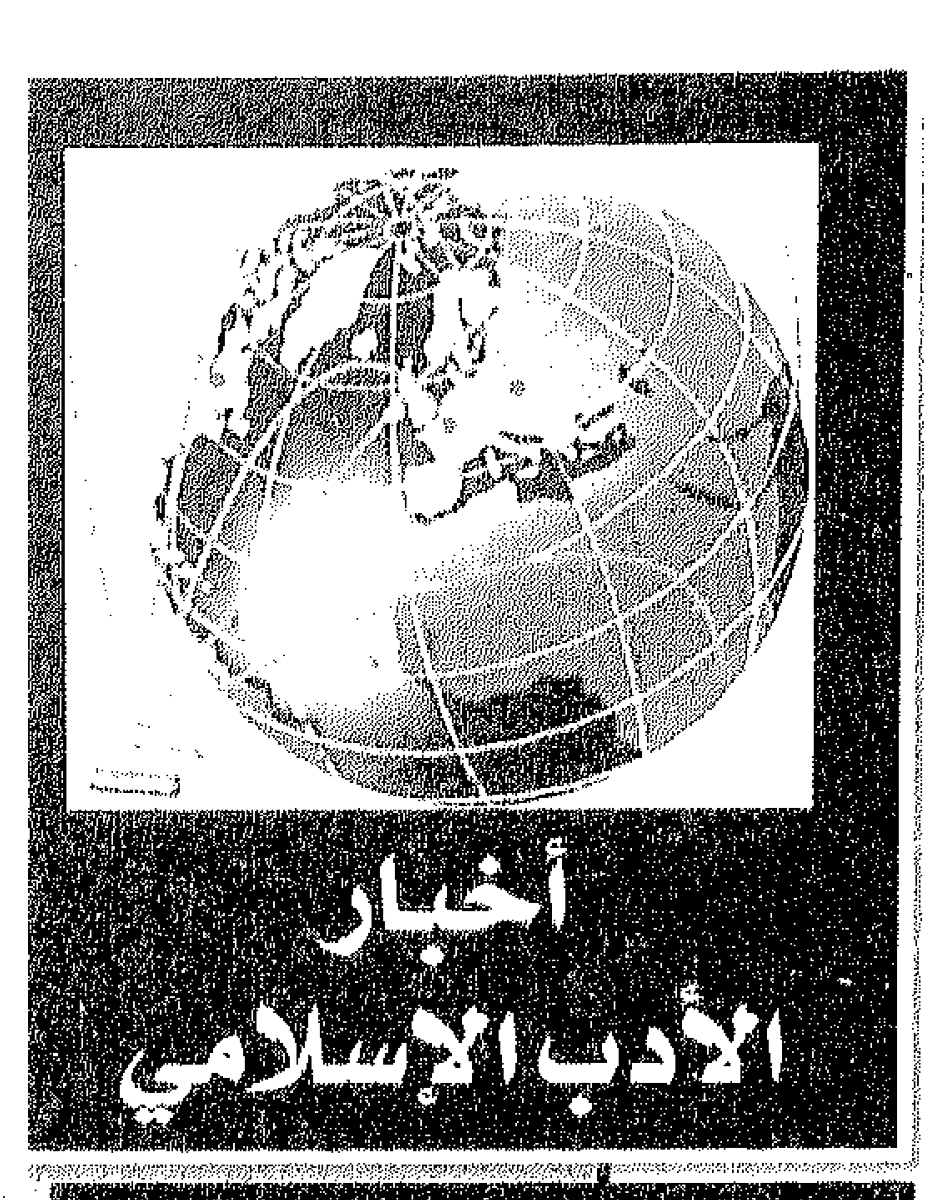
(يُغلق الستار)

المشهد الخامس

(يدخل الأربعة ومعهم ثلاثة آخرون، سالم: طبيب، مسعود: مدرس، محمود: صحفي، رابع: خطيب، خامس: مهندس، سادس: أديب)
سالم: آه.. لقد مضى من العمر سنوات.. ولكننا ولله الحمد استطعنا أن نعمل شيئا للإسلام.. والآن بعد أن تعلمت الطب.. أستطيع أن أساهم في بناء الصرح.. سأعالج المرضى وأداوي المحتاجين.. سأكون قدوة للأطباء وأزرع بذور الخير في كل من حولي.
مسعود: أما أنا وبعد أن قضيت سنوات في الجامعة.. سأعود لأبني جيلا جديداً.. سأكون لهم المدرس والأخ والقدوة.. وسأربيهم على منهج الإسلام ليكونوا جنوداً له ولو بعد حين.
المهندس: أما أنا فسأساهم في تطوير الصناعة في بلادنا.. سأساهم مع إخواني المهندسين في ذلك حتى نصنع في يوم من الأيام كل ما تحتاجه أمتنا.
همام: رائع.. رائع أيها الأحبة.. إذن فكل منا على ثغر من ثغور الإسلام.. أنت مهندس وذاك طبيب.. وأنت صحفي وذاك خطيب.. وأنت مدرس وذاك أديب.. وليكن كل منا بعد ذلك أنموذجا متحركا لهذا الدين.. والآن هيا لنبدأ بناء الصرح من جديد.
سالم: نعم هيا.. هيا
الجميع: لنبن.. الصرح من جديد، لنبن.. الصرح من جديد..
(تنخفض الإضاءة.. يتفرقون.. يحضر كل منهم لبنة.. يضعها ثم يأخذ مكانه للنشيد.. يظهر في بنائهم جزء من عبارة «مطلع الفجر»)

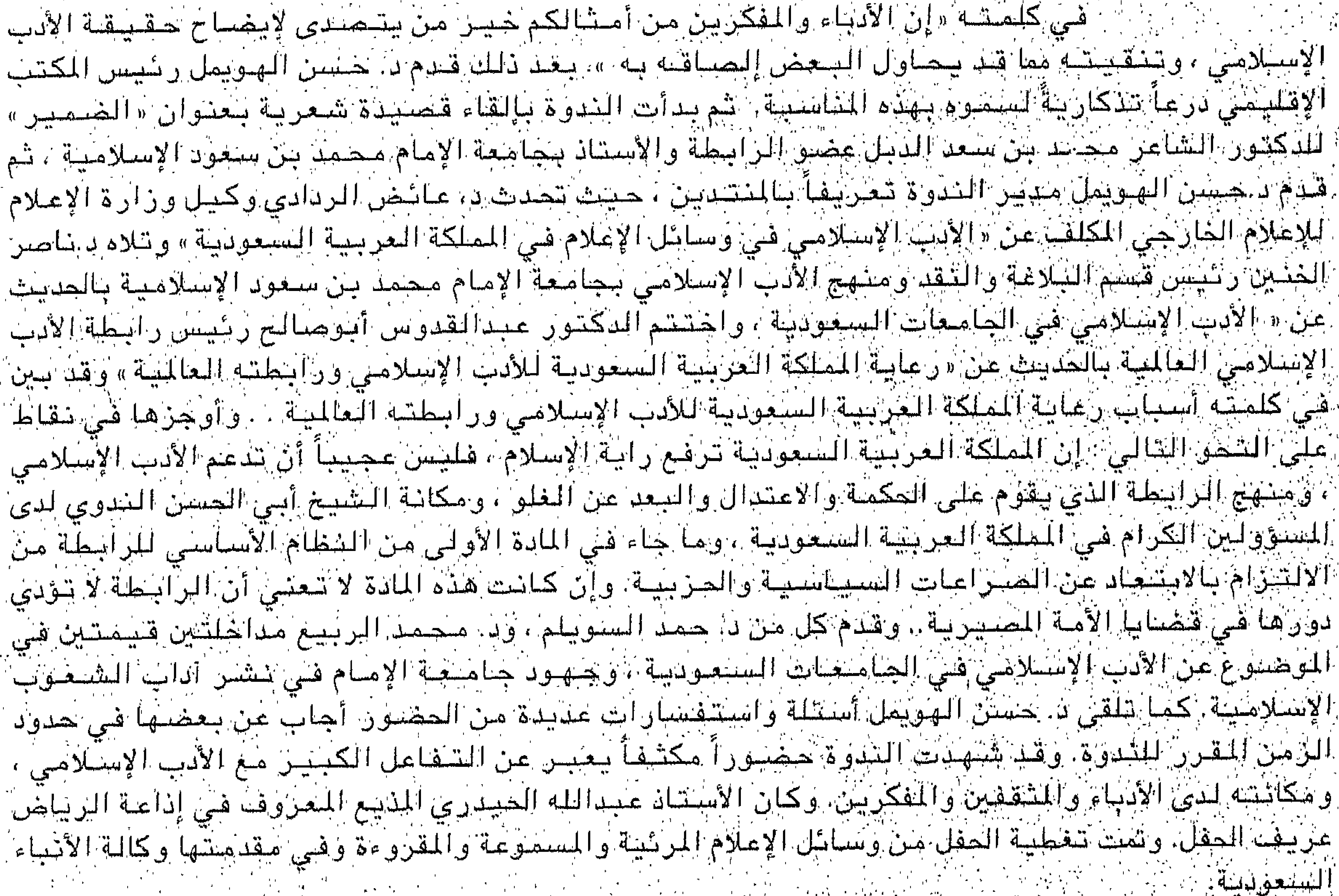
نشيد (مطلع الفجر)

==========



إعداد: شمس الدين درمش

ندوة
«الأدب الإسلامي في عهد خادم الحرمين الشريفين»



أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مركز الملك فهد الثقافي بالرياض ندوة بعنوان «الأدب الإسلامي في عهد خادم الحرمين الشريفين» وذلك في الساعة الثامنة من مساء يوم الأربعاء ١٤٢٢/١٢/١هـ الموافق ٢٠٠٢/٢/١٣م. تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير: نواف بن فيصل بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب، وقد ألقى سموه كلمة نوه فيها بعقد هذه الندوة، وقال في كلمته «إن الأدباء والمفكرين من أمثالكم خير من يتصدى لإيضاح حقيقة الأدب الإسلامي، وتنقيته مما قد يحاول البعض إلصاقه به». بعد ذلك قدم د. حسن الهويمل رئيس المكتب الإقليمي درعاً تذكارية لسموه بهذه المناسبة. ثم بدأت الندوة بإلقاء قصيدة شعرية بعنوان «الضمير» للدكتور الشاعر محمد بن سعد الدبل عضو الرابطة والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم قدم د. حسن الهويمل مدير الندوة تعريفاً بالمنتدين، حيث تحدث د. عائض الردادي وكيل وزارة الإعلام للإعلام الخارجي المكلف عن «الأدب الإسلامي في وسائل الإعلام في المملكة العربية السعودية» وتلاه د. ناصر الخنين رئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالحديث عن «الأدب الإسلامي في الجامعات السعودية»، واختتم الدكتور عبدالقدوس أبوصالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالحديث عن «رعاية المملكة العربية السعودية للأدب الإسلامي ورابطته العالمية» وقد بين في كلمته أسباب رعاية المملكة العربية السعودية للأدب الإسلامي ورابطته العالمية.. وأوجزها في نقاط على النحو التالي: إن المملكة العربية السعودية ترفع راية الإسلام، فليس عجيباً أن تدعم الأدب الإسلامي، ومنهج الرابطة الذي يقوم على الحكمة والاعتدال والبعد عن الغلو، ومكانة الشيخ أبي الحسن الندوي لدى المسؤولين الكرام في المملكة العربية السعودية، وما جاء في المادة الأولى من النظام الأساسي للرابطة من الالتزام بالابتعاد عن الصراعات السياسية والحزبية. وإن كانت هذه المادة لا تعني أن الرابطة لا تؤدي دورها في قضايا الأمة المصيرية.. وقدم كل من د. حمد السويلم، ود. محمد الربيع مداخلتين قيمتين في الموضوع عن الأدب الإسلامي في الجامعات السعودية، وجهود جامعة الإمام في نشر آداب الشعوب الإسلامية. كما تلقى د. حسن الهويمل أسئلة واستفسارات عديدة من الحضور أجاب عن بعضها في حدود الزمن المقرر للندوة. وقد شهدت الندوة حضوراً مكثفاً يعبر عن التفاعل الكبير مع الأدب الإسلامي، ومكانته لدى الأدباء والمثقفين والمفكرين. وكان الأستاذ عبدالله الخيدري المذيع المعروف في إذاعة الرياض عريف الحفل. وتمت تغطية الحفل من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وفي مقدمتها وكالة الأنباء السعودية.

■ كما أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض في اليوم التالي ١٤٢٢/١٢/٢هـ ملتقى أدبياً خاصاً لأعضاء الرابطة الضيوف الذين قدموا من الأحساء والدمام والخرج وجدة والمدينة المنورة والقصيم بالإضافة إلى رواد الملتقى في الرياض من أعضاء الرابطة وغيرهم. وقد ناقش الحضور شؤون الأدب الإسلامي ورابطته ومجلته، واستمع كل من رئيس الرابطة، ورئيس مكتب البلاد العربية، ونائب رئيس المكتب الإقليمي إلى آراء الحضور ومقترحاتهم.

■ وعقب صلاة العشاء انتقل الحضور إلى ندوة الوفاء الخميسية للشيخ أحمد محمد باجنيد في منزله بالرياض للاستماع إلى محاضرة د. عبدالباسط بدر نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب البلاد العربية عن تاريخ المدينة المنورة حيث يتولى إدارة مركز بحوث المدينة المنورة التاريخي، وقد تناول في حديثة جوانب مهمة من تاريخ المدينة الطويل، والجهود المبذولة للمحافظة عليه وإظهاره. وتلا ذلك أمسية شعرية شارك فيها د. محمد سعد الدبل، ود. محمد إياد العكاري، ود. حيدر الغدير، وأحمد شرف الدين و عبدالله العويد ومهدي الحكمي، ود. أحمد البراء الأميري. وكان المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض أقام ملتقاه الشهري الأول في ١٤٢٢/٩/١٣هـ وشارك فيه بقصائد كل من الشعراء: سلمان الجربوع، ومحمد قنبش، وعبدالعزيز العسكر، وفهد العبودي، وعبدالله المحسن، وعبدالله الحربي، وأحمد المجرش، كما شارك أحمد صنوان بقصة نثرية في أدب الأطفال. وتناول الإبداعات المقدمة بالنقد والتعليق كل من د. عبدالقدوس أبوصالح والأستاذ عبدالرحمن بن عقيل ومحمد شلال الحناحنة.



مكتب بنغلاديش - مشروع وقف السيد أبي الحسن علي الندوي

ومشروع إنشاء «معهد السيد أبي الحسن علي الندوي للبحوث والدراسات»

انطلاقاً من مبدأ إحياء خدمات العلامة السيد أبي الحسن علي الندوي - رحمه الله - في مجال التعليم والتربية والدعوة والإرشاد والأدب الإسلامي، وإشادة بمآثره القيمة، وتقديراً لما قام به الشيخ من إصلاح وتجديد في الفكرة الإسلامية العالمية اتخذ المجلس الإداري لمكتب بنغلاديش الإقليمي للرابطة قراراً بإنشاء «معهد السيد أبي الحسن علي الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية» في عاصمة بنغلاديش «داكا» وذلك بتاريخ ٢٠٠١/٧/٢٩م ويتم المشروع بالتعاون مع «جامعة دار المعارف الإسلامية بشيتاغونغ» و«وقف السيد أبي الحسن علي الندوي بدكا» بإذن الله تعالى.

وزار الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في بنغلاديش ومدير جامعة دار المعارف في شيتاجونج - زار مكتب الرابطة في الرياض، وقد استقبله د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس الرابطة، وتداولا الحديث حول أمور الرابطة عامة، والمكتب الإقليمي ببنغلاديش بخاصة، وسبل دعمه والأنشطة الأدبية التي يقوم بها المكتب.

مكتب الأردن، عمان - كمال عفانة:

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان عددا من الأنشطة الأدبية الأسبوعية في الفترة من ٢٠٠١/٧/١٧م إلى ٢٠٠١/١١/١٣م جاءت كالتالي:

التسلسل	التاريخ	النشاط الأسبوعي	المتحدث	تقديم
١	٧/١٧	أمسية شعرية	د. عبدالرزاق حسين	أ. إبراهيم العجلوني
٢	٧/٢٤	محاضرة: آراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأدب والنقد	أ. كمال مقابلة	د. عمر الساريسي
٣	٧/٣١	أمسية شعرية	أ. مصطفى أبو الرز	د. محمود شاكر سعيد
٤	٨/٧	محاضرة: تيسير علم العروض	أ. مصطفى زيد الكيلاني	د. عودة الله القيسي
٥	٨/٢١	أمسية شعرية	أ. ماجد المجالي	أ. علي زيد الكيلاني
٦	٨/٢٨	أمسية شعرية	أ. معروف رفيق	د. عبدالقادر رمزي
٧	٩/٤	لقاء عام حول المكتب	د. مأمون - د. عودة	
٨	٩/١١	أمسية شعرية	أ. خالد البيطار	أ. محمد الحسناوي
٩	٩/١٨	الانتفاضة في الشعر الإسلامي (قراءات)	شعراء الرابطة	د. مأمون جرار
١٠	٩/٢٥	أمسية شعرية	د. عبدالله منصور	د. مأمون جرار
١١	١٠/٢	يوم القدس: قراءات لشعراء الرابطة	شعراء الرابطة	د. مأمون جرار
١٢	١٠/٩	أمسية شعرية	عبدالله أبو شميس	د. عودة أبو عودة
١٣	١٠/١٦	أمسية شعرية	أ. نبيلة الخطيب	أ. هيام ضمرة
١٤	١٠/٢٣	أمسية شعرية	أ. علي فهيم زيد الكيلاني	أ. ماجد المجالي
١٥	١٠/٣٠	محاضرة: رؤية نقدية في كتاب الاعتبار	د. سعود عبدالجابر	د. ياسين عايش
١٦	١١/٦	أمسية شعرية	أ. عماد جبار	أ. ماجد المجالي
١٧	١١/١٣	أمسية قصصية	أ. جهاد الرجبي	أ. نبيلة الخطيب

■ والجدير بالذكر أن هذه الأمسيات تعقد في مقر المكتب في عمان كل يوم ثلاثاء.



مكتب المغرب – فرع الدار البيضاء
«جائزة السرد» للأدباء الشباب

على هامش الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي الذي احتضنته كلية الآداب بجامعة ابن زهر بأكادير أجرت اللجنة المنظمة مسابقة في الإبداع الأدبي في فن القصة القصيرة والرواية، وأعلنت عنها في كل من مجلة المشكاة، وجريدة التجديد.

وتلقت اللجنة المنظمة اثنتي عشرة مجموعة قصصية ورواية للمشاركة في المسابقة وتم تشكيل لجنة تقويم من عدد من النقاد المختصين في هذا الفن وهم الأساتذة أحمد رزيق، ورشيد ركيبي، وعبدالسلام أقلمون، وعبدالعزيز خموش.

وتوصلت اللجنة إلى النتائج الآتية:

١- الجائزة الأولى فاز بها القاص الحسين زروق عن مجموعته القصصية (مريم).

٢- الجائزة الثانية فازت بها القاصة مليكة الصوطي عن مجموعتها القصصية «الظلال الشاردة».

وتأتي هذه المسابقة ضمن خطة ثلاثية للمكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المغرب، والتي تهدف إلى:

١- تصحيح المفاهيم حول الأدب الإسلامي.

٢- توسيع دائرة المهتمين بالأدب الإسلامي.

٣- الاهتمام بالأدباء الشباب بتنظيم ملتقيات خاصة بهم، وإحداث جائزة خاصة بإبداعاتهم.

من أخبار أعضاء الرابطة

جائزة خدمة الإسلام لحاكم الشارقة

* حصل سمو الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة، عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية على جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام لعام ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

سمو الشيخ د. سلطان القاسمي

الأدب الإسلامي في إذاعة الرياض

أعدت إذاعة الرياض بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية برنامجاً رمضانياً في ثلاثين حلقة، باسم «في محيط الأدب» ومدته عشر دقائق.

وقدم البرنامج في كل حلقة تعريفاً بأديب أو أديبة من ذوي الاتجاه الإسلامي في أدبهم مع نموذج مختار من شعرهم أو نثرهم، وأذيع البرنامج الساعة السادسة والنصف صباحاً وأعيدت إذاعته السابعة مساءً. والجدير بالذكر أن البرنامج من إعداد المذيع المعروف الأستاذ عبدالله الحيدري عضو الرابطة، وإخراج سيف العتيبي.

د. الشنطي وقضايا نقدية

* ألقى د. محمد الشنطي ورقة تحت عنوان «قضايا نقدية قديمة من وجهة نظر معاصرة»، وذلك في بدء فعاليات الندوة السنوية الكبرى السابعة التي تقيمها كلية المعلمين بحائل بإشراف قسم اللغة العربية.

وقد تحدث د. الشنطي في ورقته عن اتجاهات قراءة النص النقدي القديم، وعن قضية الإبداع والقصة في كتاب المثل السائر لابن الأثير كنموذج، والرؤية المعاصرة لهذه القضية.

د. الماجي في مكتب الرياض

* زار مكتب الرابطة بالرياض د. عبدالرحمن عمر الماجي مدير جامعة الملك فيصل في تشاد وعضو الشرف في الرابطة، واستقبله د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس الرابطة، وجرى الحديث حول نشر الأدب الإسلامي في تشاد وخصوصاً في أوساط الشباب والطلبة في الجامعات، وحضر بعد ذلك ندوة الوفاء الخميسية للشيخ أحمد باجنيد، وتحدث فيها عن الوضع التعليمي والثقافي والأدبي في تشاد. والجدير بالذكر أنه سوف يعقد ندوة عن الأدب الإسلامي في تشاد بالتعاون بين جامعة الملك فيصل ورابطة الأدب الإسلامي العالمية.

د. عز الدين موسى.. في محاضرة

* ألقى د. عز الدين موسى محاضرة بعنوان «حركات الإصلاح الإسلامي في غرب أفريقيا» وذلك في قاعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في مدينة الرياض ضمن البرنامج السنوي للقاعة لعام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.



من أخبار أعضاء الرابطة

جائزة «المفتاحة» في النص المسرحي لجابر قميحة

* فاز الأديب والناقد د. جابر قميحة بجائزة «المفتاحة» في النص المسرحي عن مسرحية «السيف والأدب» وذلك ضمن الأنشطة الأدبية لمهرجان أبها السياحي لعام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. وقد قدم الجوائز صاحب السمو الملكي الأمير محمد العبدالله الفيصل في الحفل الختامي الذي أقيم بهذه المناسبة.

الشيخ المبارك في ضحوية حمد الجاسر

الشيخ/أحمد المبارك

* استضافت خميسية الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - في دارة العرب (منزل علامة الجزيرة الراحل) الشيخ أحمد بن علي المبارك - عضو الشرف في الرابطة - الذي تحدث عن بدايات التعليم بالمملكة ومقتطفات عن ذكرياته مع الشيخ الجاسر - رحمه الله -.

وشهدت الضحوية كعادتها حضوراً مميزاً من أهل العلم والثقافة والأدب واللغة والمهتمين بمسيرة التعليم بالمملكة.

والجدير بالذكر أن د. عائض الردادي - عضو الرابطة - يدير جلسات الضحوية، وقد تولى رئاسة تحرير مجلة العرب بعد مؤسسها الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله -.

نبيلة الخطيب تفوز بالجائزة الأولى في مسابقة البابطين الشعرية في الكويت

* فازت أردنية ومصريان بجوائز الشعر لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين الكويتية هذا العام، وقال عبدالعزيز السريع الأمين العام للمؤسسة: إن الأردنية نبيلة الخطيب فازت بالجائزة الأولى وقدرها عشرة آلاف دولار عن قصيدتها «صهوة الضاد».

وأضاف أن المصري مدحت علام جاء في المركز الثاني عن قصيدة بعنوان ورقاء تبحث عن قصيدتها وحصل على خمسة آلاف دولار، وفي المركز الثالث جاء حسن شهاب الدين وهو من مصر عن قصيدته الفارس الأخير وحصل على ثلاثة آلاف دولار، وكانت لجنة المسابقة قد تلقت ٤٨٧ قصيدة في المسابقة التي استمرت طوال النصف الأول من العام الحالي استبعدت منها ١٠٢ قصيدة لعدم مطابقة الشروط وشاركت ١٤ شاعرة في المسابقة التي كان موضوعها الرئيسي دور الشعر في الماضي والحاضر والمستقبل ومعاناة الشاعر.

وقد فازت نبيلة الخطيب بالجائزة الأولى أيضاً في مسابقة الرابطة عن ديوانها عقد الروح.

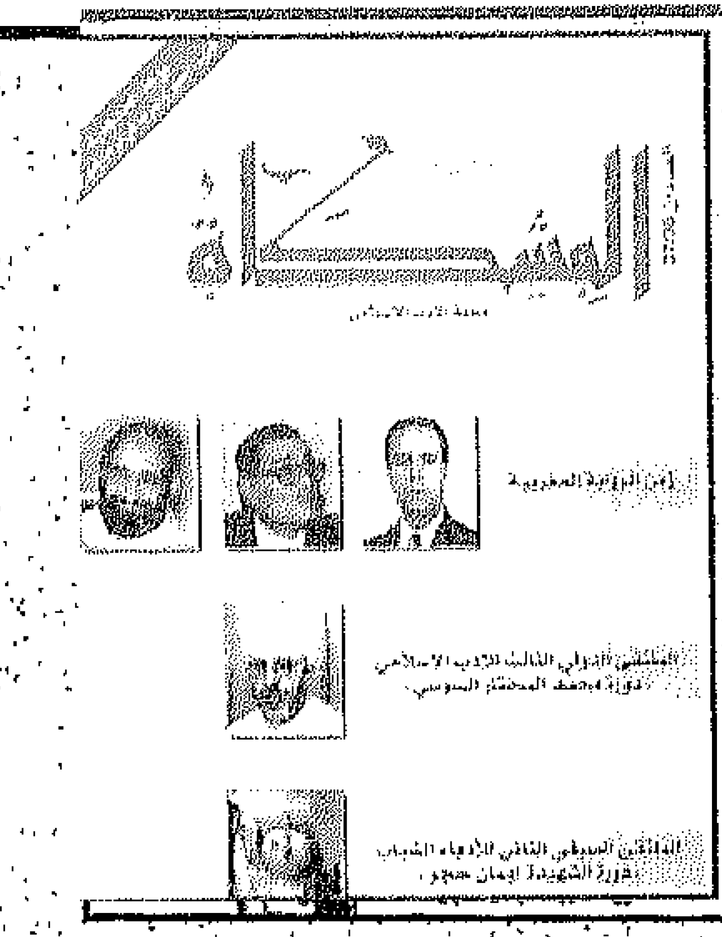
* تكريم الشاعر الكبير محمد التهامي - في الصالون الثقافي الثامن

* أكد د. غازي عوض الله أن صالونه الثقافي الثامن اختار في هذا العام تكريم ثلاثة من رموز الإبداع الأدبي والإعلامي وهم: الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي، والشاعر محمد التهامي، والإعلامي أمين بسيوني. وقد تحدث في التكريم الشاعر محمد التهامي عن أهمية الاتصال الثقافي بوصفه طوق النجاة الذي يمكنه أن يجمع العرب ويوحدهم في مواجهة محاولات طمس هوية الأمة، وقد رفض الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي حضور التكريم بمشاركة آخرين له مظهراً أنانية حادة في عالم الأدب في الوقت الذي تبحث فيه الأمم عن هويتها في إطار مقاومة العولمة.

جائزة علال الفاسي لعام ٢٠٠١م

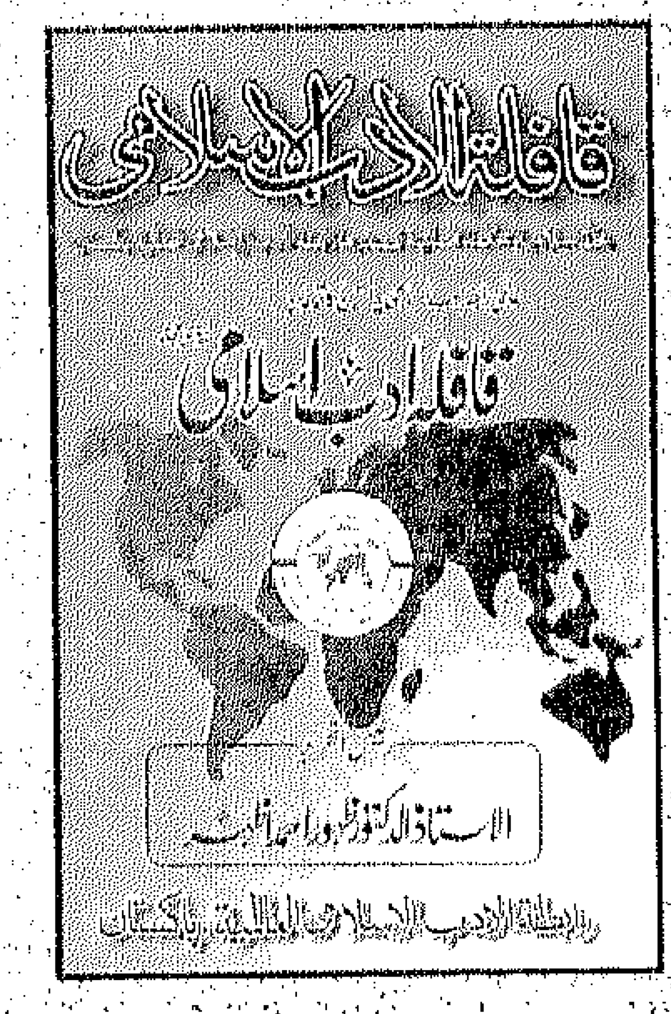
* نال الأديب الشاعر والناقد المغربي سعيد الكرواني جائزة علال الفاسي عن موضوع «التصال في شعر علال الفاسي» وقد جاء في تقرير اللجنة الذي تلاه الدكتور محمد بنشريفة أنها قدرت في هذا البحث جودة الأسلوب وجمال العبارة وعمق الفكرة وقدرة صاحبه على تذوق النصوص الشعرية وتحليلها.

من إصدارات المكاتب



*** مكتب المغرب:**

صدر العددان (٣٦، ٣٧) من مجلة المشكاة في ثوب جديد، واحتوى العدد المزدوج على ملف الرواية الذي شارك فيه عدد من كبار الكتّاب والنقاد أمثال: د. حلمي القاعود، ود. سميرة الجوالدة، والأستاذ أحمد بلحاج، ومحمد حسن بريغش، وياسر الزعاترة كما تضمن عدداً من النصوص الإبداعية في القصة والشعر ومن أبرز كتّاب القصة عبدالله الطنطاوي، وفي الشعر د. حيدر الغدير، وحسن الأمراني، وسعيدة درويش، وفي هذا العدد تغطية للملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي الذي عقد في جامعة ابن زهر في أغادير. وتغطية الملتقى الصيفي الثاني للأدباء الشباب الذي نظمه المكتب الإقليمي للرابطة في المغرب. ووزعت المشكاة هدية خاصة عبارة عن كتيب بعنوان: «الصور والمرايا في تراث النورسي» تأليف أ.د. [illegible] الدباغ.





*** مكتب الباكستان:**

صدر العدد الأول من المجلد الثاني من مجلة قافلة الأدب الإسلامي باللغات العربية والأوردية والإنكليزية ضم محتوى الموضوعات العربية مقالين عن الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله - لكل من د. ظهور أحمد أظهر ومرزا آصف رسول، وقصة قصيرة بعنوان: «الضياع» للدكتورة زينب بيره جكلي، ورؤية نقدية في شعر الصلحاء للأستاذ محمد محمود الشيخ وموضوعات أخرى.

*** مكتب بنغلاديش:**

صدر العدد الحادي عشر من مجلة «منار الشرق» باللغة العربية وتضمن مقالات للشيخ محمد الرابع الندوي، ومحمد سلطان ذوق، وطارق سعد شلبي، كما قدمت المجلة تغطية لمؤتمر الدعوة الإسلامية بشيتاجونج، المنعقد في جامعة دار المعارف الإسلامية، وتغطية للندوة التذكارية التي عقدت عن سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله -.

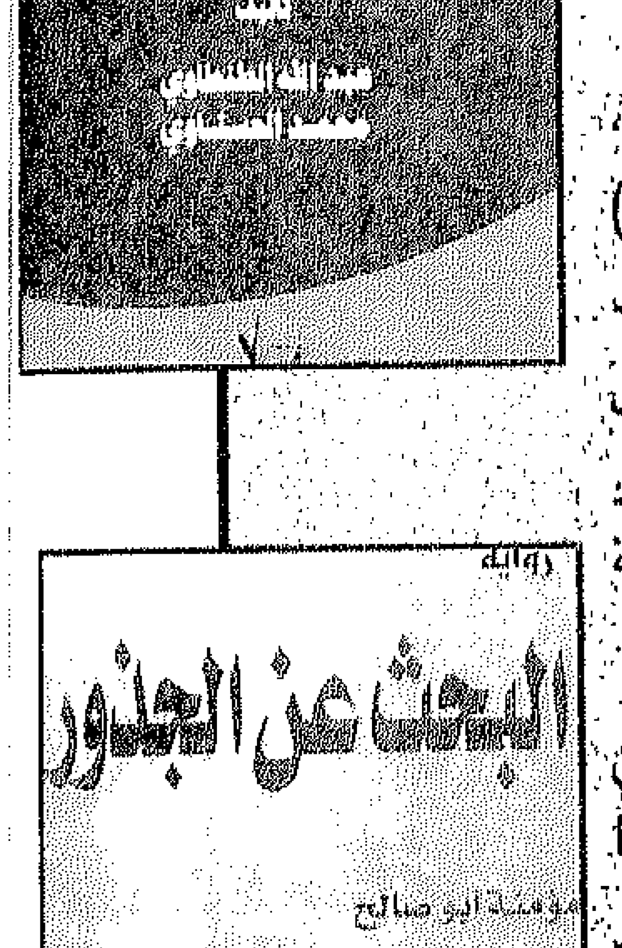
من إصدارات أعضاء الرابطة

* كتاب «شعراء فلسطين في القرن العشرين» تأليف الأستاذ راضي صدوق، يقع الكتاب في ٧٣٧ صفحة، ترجم فيه المؤلف لـ ٢٤٠ شاعراً وشاعرة للفترة من ١٩٠٠م حتى تاريخ صدور الكتاب، وهذا أول إصدار من هذا النوع. الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

* ديوان «الشعر ورد حدائقي» للشاعر عصام الغزالي يضم الديوان خمسين قصيدة من الشعر العمودي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار الوفاء، المنصورة - مصر.

ديوان «الماء لنا والورود» للشاعر أحمد فضل شبلول، الناشر: الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة.

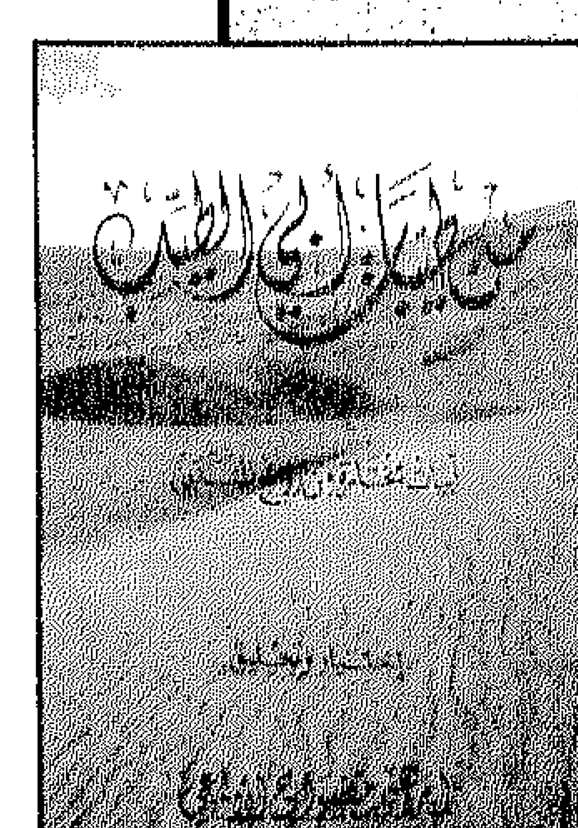
اشتمل على أربع وعشرين قصيدة متنوعة ومختلفة تصدرتها قصيدة (زحام الفراغ).



في الدراسة الأدبية - تذوق النص الأدبي

صدر عن دار البيضاء في عمان - الأردن كتاب: «في الدراسة الأدبية - تذوق النص الأدبي» (١٨٠ ص) للأديبين السوريين: عبدالله الطنطاوي، ومحمد الحسناوي.

وهو كتاب في النقد الأدبي التطبيقي يشتمل على المتطلبات المدرسية (الأكاديمية) التي لابد منها لطلاب الجامعات والكليات والتوجيهي، ويجمع بين حسن اختيار النصوص لعدد من الأدباء المعاصرين من جهة، ولفت النظر إلى جوانب غير متداولة في إبداعهم من جهة ثانية.



* البحث عن الجذور - الرواية الأولى للكاتبة مؤمنة أبو صالح، تحكي الكاتبة فيها بأسلوب أدبي مؤثر قصة الشاب يوسف المولود من أب عربي مسلم وأم أمريكية غير مسلمة، حيث يهتدي إلى جذوره فيجد عائلة أبيه في بلد عربي بعد صراع مرير، واهتدى في الوقت نفسه إلى الإسلام. الرواية تقع في ١٢٣ صفحة من القطع الصغير، تسلمك صفحتها الأولى إلى الأخيرة، وهي من إصدار دار العبيكان في الرياض ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

* الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته كتاب جديد عن سماحة الشيخ الندوي من تأليف د. يوسف القرضاوي، ضمنه المؤلف خلاصة لقاءاته بالشيخ - رحمه الله - صدر الكتاب عن دار القلم بدمشق - ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

* صدر عن مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون في صنعاء:

١- ديوان (الأمسية الشعرية) التي أقامها منتدى المثقف العربي وضم قصائد لخمسة وثلاثين شاعراً وشاعرة من مختلف الدول العربية شاركوا في الأمسية، ومنهم: عبدالولي الشميري صاحب المنتدى من اليمن، وسعد البواردي من السعودية، وهارون رشيد من فلسطين، وعلية الجعار من مصر.

من إصدارات أعضاء الرابطة

٢- وصدر ديوان «**درر النحور**» في ثلاثة أجزاء للشاعر القاسم بن علي هتيمل من شعراء القرن السابع الهجري، وعرض وتحليل د. عبدالولي الشميري.

---

* **قناديل على مآذن القدس**: ديوان جديد للشاعر صالح عبدالله الجيتاوي ضم ستاً وثلاثين قصيدة من الشعر العمودي وشعر التفعيلة، وهو من إصدار دار الفرقان في عمان/ الأردن - ط ١ - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

---

* **التطبيع بداية اختراق وتوسع صهيوني!**

صدر مؤخراً في الرباط للأستاذ المقرئ أبو زيد الإدريسي، كتاب جديد من الحجم الصغير يحمل عنوان «التطبيع.. إبادة حضارية». وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب القضية الفلسطينية من عدة زوايا، عالمية وإسلامية ومغربية أيضاً، مركزاً على أهم الأنشطة والفعاليات التي برزت خلال العقد الأخير، انتصاراً لقضية المسلمين الأولى.

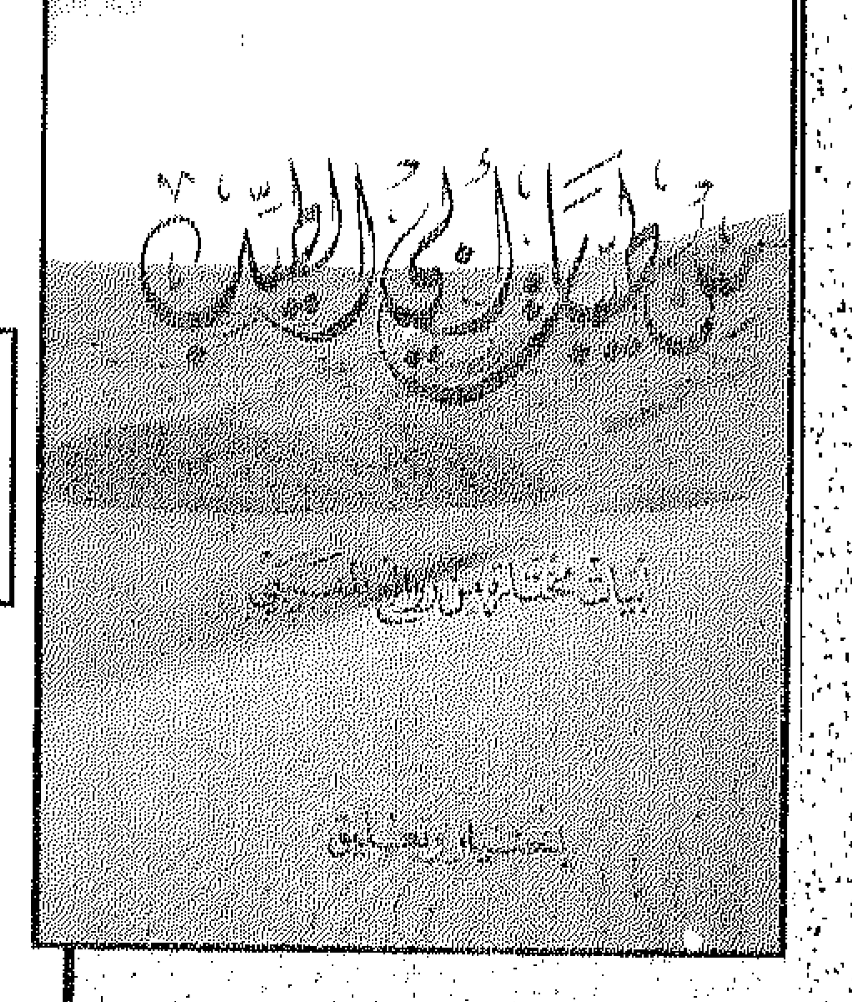
---

* **من طيبات أبي الطيب**، أبيات مختارة من روائع المتنبي، اختيار وتعليق إبراهيم مضواح الألمعي، دار المنارة، جدة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* قطف الأشواك، مجموعة قصصية، تأليف إبراهيم مضواح الألمعي ضمت خمس عشرة قصة قصيرة، من إصدار دار المنارة في جدة، ط ١ - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

---

* **مهما غلا الثمن** - الرواية الثانية للدكتور عبدالله صالح العريني، صدرت في الرياض، ط ١ - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، وتدور أحداث الرواية في أندونيسيا و السعودية، وتلقي الضوء على الحياة الاجتماعية في المملكة من خلال الفتاة «نور» التي تعمل لدى إحدى الأسر.



---

* **عالم من ضباب** - ديوان للشاعر عبدالغني القرمي صدر في صنعاء - اليمن، يضم الديوان خمساً وعشرين قصيدة متنوعة.

---

* **الدعوة الإسلامية في أفريقيا - الواقع والمستقبل**، تأليف د. عبدالرحمن عمر الماحي مدير جامعة الملك فيصل في تشاد، وهو من منشورات دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة - الإمارات العربية المتحدة ضمن سلسلة الرسائل الجامعية.

---

* **كتاب على بوابة المستقبل الإسلامي**، تأليف د. عماد الدين خليل، ود. عبدالحليم عويس، ط ١، إصدار دار الصحوة للنشر، القاهرة.

---

* **الإسلام وتحديات العصر**، تأليف د. عبدالحليم عويس، إصدار دار الجمهور بالقاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.



---

* **حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام**، تأليف د. صالح العايد، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض.

---

* **كما صدر الجزء الثامن عشر من كتاب الاثنينية** للأديب المعروف عبدالمقصود محمد سعيد خوجه - وتضمن وقائع تكريم شخصيات أدبية وثقافية، بالإضافة إلى حفل تكريم (جريدة الوطن) السعودية. صدر في جدة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

---

* **المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي الراحل: محمد سعيد عبدالمقصود خوجه** من إعداد وتقديم حسين عاتق الغريبي، يقع الكتاب في ٥٨١ صفحة، الناشر عبدالمقصود محمد سعيد خوجه، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، جدة، السعودية.

كتب وصلت إلى المجلة

من إصدارات نادي أبها الأدبي

١- بيادر، العدد ٣٣ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. تضمن العدد مجموعة من المقالات النقدية، والإبداعات الأدبية النثرية والشعرية، ومن أهم موضوعاتها: الترجمات القديمة والحديثة لكتاب الشعر للدكتور عبدالبديع عبدالله. ومن القصص (قذى) لأحمد علي آل مريع، ومن الشعر «وصرخت يا قدساه» لكي علي حداد.

٢- (من نبع الحياة) ديوان للشاعر علي حسن الشهراني ضم قصائد متنوعة من الشعر العمودي وشعر التفعيلة إصدار ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣- الشعر في رحاب الفهد - ديوان خاص بمناسبة احتفالات المملكة بمرور عشرين سنة على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم في المملكة العربية السعودية.

* **أقوال مأثورة وكلمات جميلة**- تأليف د. محمد لطفي الصباغ جمع فيه المؤلف من أدب القدماء والمحدثين وحكمهم، شعراً ونثراً، يقع الكتاب في ٧٠٠ صفحة تقريباً. من إصدار المكتب الإسلامي في دمشق.

* **كشكول الكشكول**: صفحات من حياة الدكتور حسن ظاظا - رحمه الله - من إعداد الأستاذ راضي جوده، صدر في الإسكندرية - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

* **إلى العربية شامخاً** - ديوان للشاعر د. سعد عطية الغامدي، يضم ستاً وعشرين قصيدة متنوعة بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة. صدر في جدة ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

* **ابن خسين بين التراث والمعاصرة**:

صدر عن دار عبدالعزيز آل حسين كتاب «ابن خسين بين التراث والمعاصرة» من تأليف الأستاذ الدكتور طلعت صبح السيد.

ناقش الكتاب في الباب الثالث الأدب الإسلامي والأدب السعودي والاتجاهات الفنية، وناقش أيضاً الالتزام الإسلامي في الأدب وشعر المناسبات، وفي الفصل الثالث عرض رأيه في شعراء العصر كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم والرصافي وأحمد محرم والرافعي والغزاوي وابن خميس والسنوسي والعقاد وباكثير ومحمد حسن عواد وعبدالله الفيصل وحسن القرشي وحمد الحجي، وناقش محمد سعيد عبدالمقصود خوجه حياته وآثاره والالتزام الإسلامي في الأدب وبحوثاً أدبية أخرى وحافظ إبراهيم ونظرات في شعره.

* **شعراء السعودية والجزائر وسوريا في الجزء الثاني لمختارات الشعر العربي**

أصدرت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الكويت الجزء الثاني من سلسلة «مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين» الذي يشمل مختارات لشعراء من السعودية، والجزائر، وسوريا.

وقام باختيار قصائد شعراء المملكة العربية السعودية الدكتور منصور الحازمي والدكتور عبدالله المعيقل، أما شعراء الجزائر فقام باختيار قصائدهم الدكتور عبدالله حمادي والدكتور العربي دحو، أما اختيار قصائد الشعراء السوريين فقام به الدكتور محمد رضوان الداية والدكتور علي أبو زيد.

* **الصحابي الشاعر: عبدالله بن الزبعرى**، تأليف محمد علي كاتبي يقع الكتاب في ٢٥٤ صفحة، ط ١، دار القلم، دمشق.

إصدارات صوتية



* **(إبداع) مجلة صوتية أدبية**

صدرت أول مجلة صوتية أدبية باسم (إبداع)، واشتمل العدد الأول على أربعة أشرطة تضمنت مقالات وتحقيقات وقصائد مختارة من عيون الشعر الإسلامي القديم والحديث.

ومن أبرز المشاركين في العدد الأول: د. عبدالله السعود، ود. عبدالله الرشيد، والأستاذ حسن الحازمي، والأستاذ منذر الأسعد. يرأس تحرير مجلة (إبداع) الصوتية د. حبيب بن معلا اللويحق عضو مكتب البلاد الكويت في رابطة الأدب الإسلامي، وفي إدارة التحرير سهيل اللويحق وصالح المحمود، وتصدر المجلة عن التقوى للإنتاج والتوزيع بالرياض.

* **سدرة الحرف**

إصدار صوتي جديد للشاعر حفيظ الدوسري، تضمن قراءة وإنشاء ديوانه «سدرة الحرف» وصدر عن مؤسسة أضواء الرباط للإنتاج الإعلامي بالرياض.





* نتائج الاستفتاء السنوي لمجلة الدعوة في فرع الأدب الإسلامي

أعلنت لجنة التحكيم الأعمال الفائزة في مجال الأدب الإسلامي على النحو التالي:

* أفضل قصيدة نشرت عام ١٤٢١هـ قصيدة «وهج» للشاعر د. عبدالله بن سليم الرشيد. المنشورة في مجلة «الحرس الوطني، صفر».

* أفضل قصة نشرت عام ١٤٢١هـ قصة «تلك التفاصيل» للقاص: أ. حسن بن حجاب الحازمي، المنشورة في «مرافئ» شوال، العدد الثالث، نادي جازان.

* أفضل مقالة نشرت عام ١٤٢١هـ مقالة «قصيدة النثر بوصفها إشكالية المشهد النقدي»، للدكتور حسن بن فهد الهويمل، المنشورة في صحيفة «الجزيرة» الثلاثاء، ٥ ذي القعدة ١٤٢١هـ الجزء الثالث. صدر هذا القرار من اللجنة التحكيمية المكونة من كل من:

١- د. عبدالله المسعود، وكيل قسم البلاغة والنقد، منهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢- د. حبيب بن معلا اللويحق المطيري، الأستاذ المساعد للنقد الأدبي في كلية اللغة العربية.

٣- أ. علي بن راشد الماجد، المحاضر للنقد الأدبي في كلية اللغة العربية.

وقد نشرت مجلة الدعوة نتائج الاستفتاء والنصوص الفائزة في عددها ١٨٠٧، ١١ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ الموافق ٣ آب/أغسطس ٢٠٠١م. وأشرفت على إعداد الاستفتاء في الأدب الإسلامي الأستاذة جواهر الحمادي.

محمد إقبال في أبو ظبي

* نظم المجمع الثقافي في أبو ظبي بالتعاون مع وزارة الثقافة الباكستانية وأكاديمية إقبال للبحث العلمي في الرابع من شهر نوفمبر/تشرين الثاني حتى العاشر من الشهر نفسه ٢٠٠١م أسبوعاً ثقافياً شاملاً عن الشاعر والمفكر الباكستاني محمد إقبال، واشتمل الأسبوع على نشاطات وفعاليات تناولت جميع أوجه حياة الشاعر وسلطت الضوء على أهم منجزاته على الصعيدين الفكري والفلسفي، وأقيم معرض احتوى على الكتب التي أصدرها الشاعر أو تلك التي تناولت إبداعاته، بالإضافة إلى معرض للوحات التشكيلية لبعض الرسامين الباكستانيين استمدت مادتها الفنية من وحي قصائده التي تمتاز بالبعدين الفلسفي والروحي، كما اشتمل الأسبوع على سلسلة من الندوات التي ناقشت الأفكار الفلسفية التي كانت تغلب على أشعاره.

وأقيمت على هامش فعاليات الأسبوع مسابقتان في الرسم والشعر شارك فيهما طلبة مدارس الإمارات، ودارت المسابقتان حول طائر «الشاهين» الذي استوحى الشاعر من قوته وعنفوانه معظم أشعاره، وعدّه رمزا للأجيال الإسلامية، التي سوف تعيد للإسلام بريقه وهيبته.

المعلمي في جمعية المنفلوطي

* تقيم جمعية المنفلوطي الأدبية في القاهرة ندوة أدبية عن الراحل يحيى المعلمي وجهوده في خدمة اللغة والأدب العربي بصفة عامة، وذلك أواخر سبتمبر الحالي، وأوضح محمد أبو حديد رئيس الجمعية أن دعوات المشاركة أرسلت إلى الأدباء والمثقفين في جميع الدول العربية، ولا سيما إلى أدباء المملكة أمثال د. حسن الهويمل وعمر خياط وفهد الحارثي ومحمد المفرجي.


يحيى المعلمي

«آراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأدب والنقد» في رسالة ماجستير للباحث كمال مقابلة

* نوقشت في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت في المفرق، الأردن، رسالة ماجستير بعنوان: «آراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأدب والنقد» مقدمة من الباحث كمال مقابلة.

وقد تألفت لجنة المناقشة من الأساتذة: د. ناصر الدين الأسد من الجامعة الأردنية، ود. عدنان العلي من جامعة آل البيت، ود. يوسف بكار من جامعة اليرموك، بالإضافة إلى المشرف على الرسالة د. شكري الماضي.



مسابقة القصة القصيرة الإسلامية بماليزيا كوالالمبور:

* بدأ الأدب الإسلامي في الظهور بقوة في ماليزيا هذه الأيام، كما ظهرت الأناشيد الدينية والقصائد الدينية للكبار والصغار، وتقام في ماليزيا مسابقات أدبية إسلامية سنويا، ففي مناسبة الاحتفالات باليوم الوطني لمدة شهر، أقيمت مسابقة لكتابة القصة القصيرة الإسلامية العاشرة.

وقد فازت قصة قصيرة هذا العام، تدور أحداثها حول العلاقة بين العلوم الحياتية البحتة وأحكام الدين الإسلامي الحنيف، وهي قصة «دنيا بادانج» وهذا اسم لشركة إعلانية كبيرة تمثل القوة المالية.

وقد أشارت القصة بأنه ليس هناك تعارض بين العلوم والدين الإسلامي الحنيف، بل إن الإسلام يساعد الإنسان على حياة سعيدة في الدنيا والآخرة.

أخبار متفرقة

وأما القصة الفائزة الثانية فهي تدور حول المعاصي الأخلاقية الكثيرة خلال الانترنت التي تؤدي إلى تدمير الأخلاق لدى الشبان ذكورا وإناثا، وفكرة القصة تدور حول اختلاف الرأي بين خبير الانترنت وأستاذ في علوم الدين يعارض الانترنت، لأن الانترنت في رأيه تحمل أسباب الفساد وتؤدي إلى تدهور أخلاق المجتمع، وفي النهاية اقتنع خبير الانترنت بهذا الرأي، وبخبرته وإيمانه بالله العلي القدير فقد اتخذ الخبير موقفا شجاعا وأرسل «الفايروسات» لتدمير الشر في الانترنت، وبهذا أنقذ المجتمع من أضرار الفساد الأخلاقي من خلال الانترنت.

ومما يشد الانتباه كما قال رئيس لجنة الحكام، إن هناك رغبة شديدة لدى الكتاب الشبان بأن ينشروا فكرة إنسانية المعرفة ويأخذوا تعاليم الإسلام كحل للمشاكل التي تواجهها الإنسانية في الحياة اليومية، وجعلوا العقيدة الإسلامية أساساً في نضالهم لرفع شأن الإسلام.

وقد تناولت الفكرة المشاكل التاريخية والسايكولوجية والانترونولوجية، وتغذيتها بالمعلومات الحديثة في العلوم والتكنولوجيا المعلوماتية.

الأقصى في قلوبنا

* نظمت الندوة العالمية للشباب الإسلامي في مدينة جدة مهرجان «الأقصى في قلوبنا» تضمن عرضا مسرحياً بعنوان «شعب لا يموت»، وقدمت فرقة نداء وحداء ملحمة إنشادية بعنوان «ويبقى الأذان» كما قدم لشاعر عبدالله الشهري ملحمة إنشادية أخرى بعنوان «الطريق إلى الأقصى» وقدم في المهرجان أعمال أدبية وفنية أخرى لاقت استحسان الحضور وخصوصاً «بانوراما القدس». وقام معالي أمين محافظة جدة عبدالله يحيى المعلمي بزيارة «تفقدية للمهرجان».

لمن الجائزة؟

* أكد عدد من كبار الأدباء والنقاد في مصر رفضهم تخصيص جائزة الدولة التقديرية لشاعر العامية المصري «عبدالرحمن الأبنودي» متخطية عدداً من كبار الأدباء أمثال د. حسين مجيب المصري رائد الأدب الإسلامي المقارن، ود. عبدالعزيز حمودة، ود. نعمات أحمد فؤاد. وقد أدلى عدد من الأدباء بتصريحات حول الموضوع مثل د. الطاهر أحمد مكي، ود. محمد عبدالمنعم خفاجي، ود. جابر قميحة، والأديب عبدالمنعم عواد.

ندوة (أعلام الأدب الإسلامي)

قرر مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية الرئيسي لشبه القارة الهندية والبلدان الشرقية عقد ندوته العلمية السنوية (الثامنة عشرة) حول موضوع «أعلام الأدب الإسلامي»، وذلك في مدينة رانتشي ولاية جهاركهند (الهند) بالتعاون مع جمعية العلامة السيد سليمان الندوي التعليمية بجهاركهند، وذلك بتاريخ ٦ من محرم ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠-٢٢ آذار/مارس ٢٠٠٢م، وستقوم الجمعية بضيافة المندوبين خلال إقامتهم للندوة غير بطاقة السفر.

وتشتمل الندوة على المحاور الآتية:

١- أعلام الأدب الإسلامي من فجر الإسلام حتى نهاية عهد الخلافة الراشدة.

٢- أبرز الشعراء والخطباء والوعاظ في العهد الأموي.

٣- أبرز الشعراء والكتاب والنقاد والخطباء في العهد العباسي.

٤- أبرز الكتاب والشعراء في الأندلس (الزجل والموشحات).

٥- أبرز الشعراء والكتاب والروائيين في العصر الحديث.

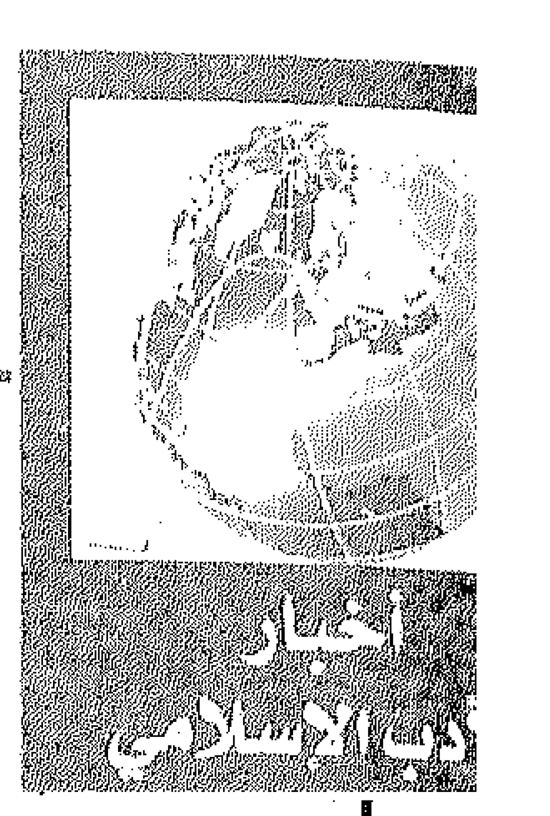
٦- أعلام الأدب الإسلامي:

* في شعر الدعوة والموضوعات الدينية.
* في شعر المديح.
* في فن القصة والرواية والمسرحية.
* في القصة القصيرة.
* في الآداب الشرقية غير العربية والأردية.

غوته مسلماً

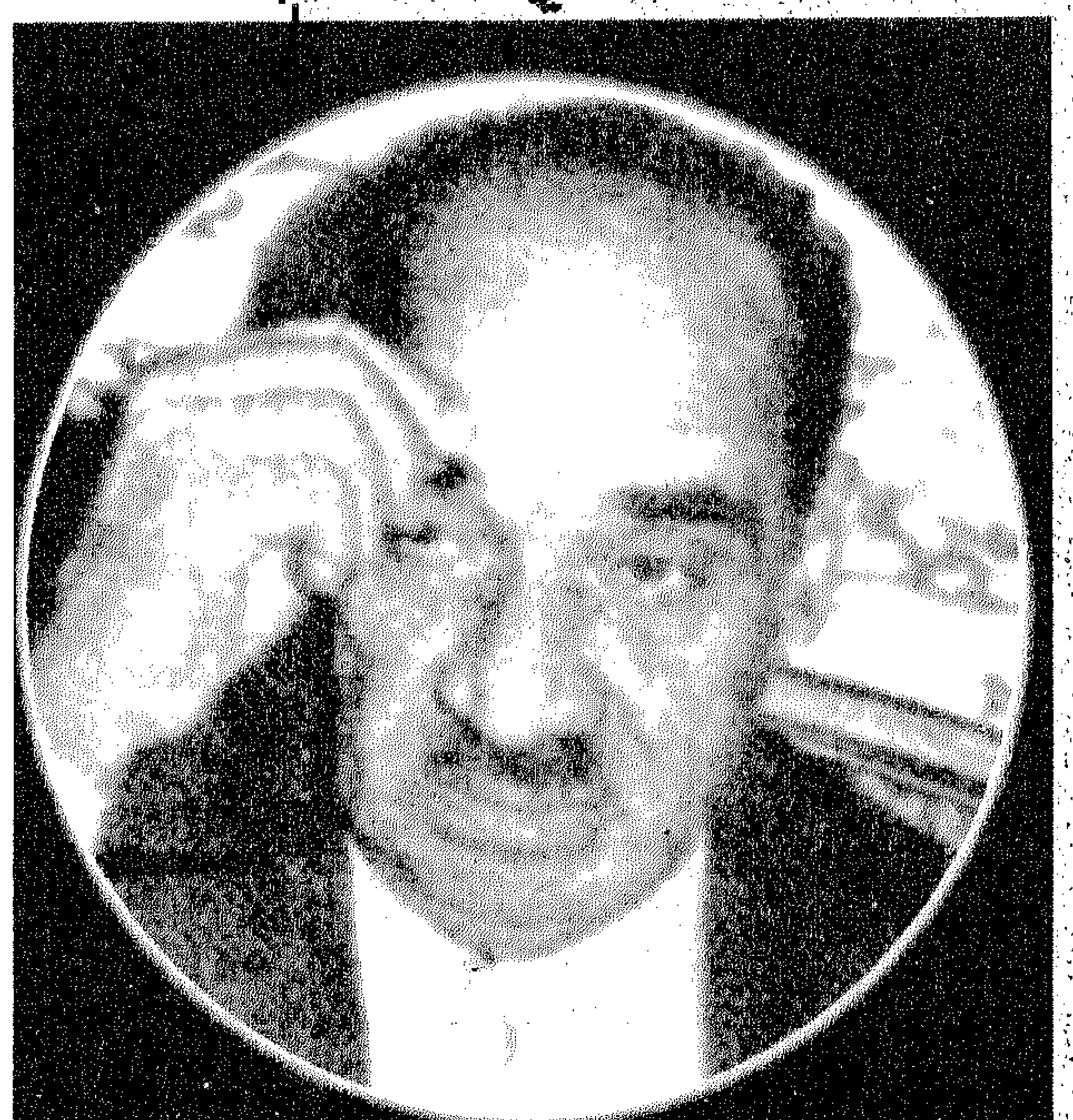


تسعى مجموعة «فايمار» الإسلامية في ألمانيا للتدليل على أن (غوته) الأديب الألماني المعروف مات مسلماً، ويقول رئيس المجموعة أبو بكر ريغر وهو مسلم ألماني أن غوته كتب مجموعة أعمال شعرية أوضح فيها إعجابه بالإسلام، وبشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة، وأنه كان ينظم جلسات لقراءة القرآن الكريم في أحد قصور الدوقات الألمان.



في ذمة الله

رحيل الكاتب الإسلامي الكبير أنور الجندي



فقد العالم العربي والإسلامي واحداً من أبرز الكتاب والمفكرين الإسلاميين في الوقت الحاضر،هو الأستاذ أنور الجندي عن عمر يناهز تسعين عاماً ، حيث ولد الأستاذ أنور الجندي عام ١٩١٤م. إبان فترة الاحتلال الأجنبي لمصر ، وأصدر آنذاك كتابه الأول (ارحلوا عن أرضنا) وهو في الثامنة عشرة من عمره . ثم توالت مؤلفاته تترى ، وقد تصدى فيها للغزو الفكري وطوفان المذاهب الفكرية الغربية مثل الماركسية ، والحداثة وتوابعها . وقد بلغت مؤلفاته ٢٥٠ كتاباً أهمها : الحرب على لغة القرآن ، رجال عرفتهم ، صفحات مجهولة من الأدب العربي ، حقائق وأباطيل ،أضواء على الأدب العربي المعاصر ، الشيخ المراغي في مرآة التاريخ ، محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين العلم والدين . معلمة الإسلام (١٤جزءاً) ورسائل إلى الشباب المسلم وكان الأستاذ أنور الجندي عضو شرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية . نسأل الله سبحانه للفقيد الرحمة والرضوان ، ولذويه الصبر والسلوان. وكانت وفاته يوم الثلاثاء ١٥/١١/١٤٢٢هـ الموافق ٢٩/١/٢٠٠٢م.

وتوفي بمصر أ. د. أحمد منصور نفادي العضو العامل في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، في شهر شعبان ١٤٢٢هـ الموافق تشرين الأول ٢٠٠١م.

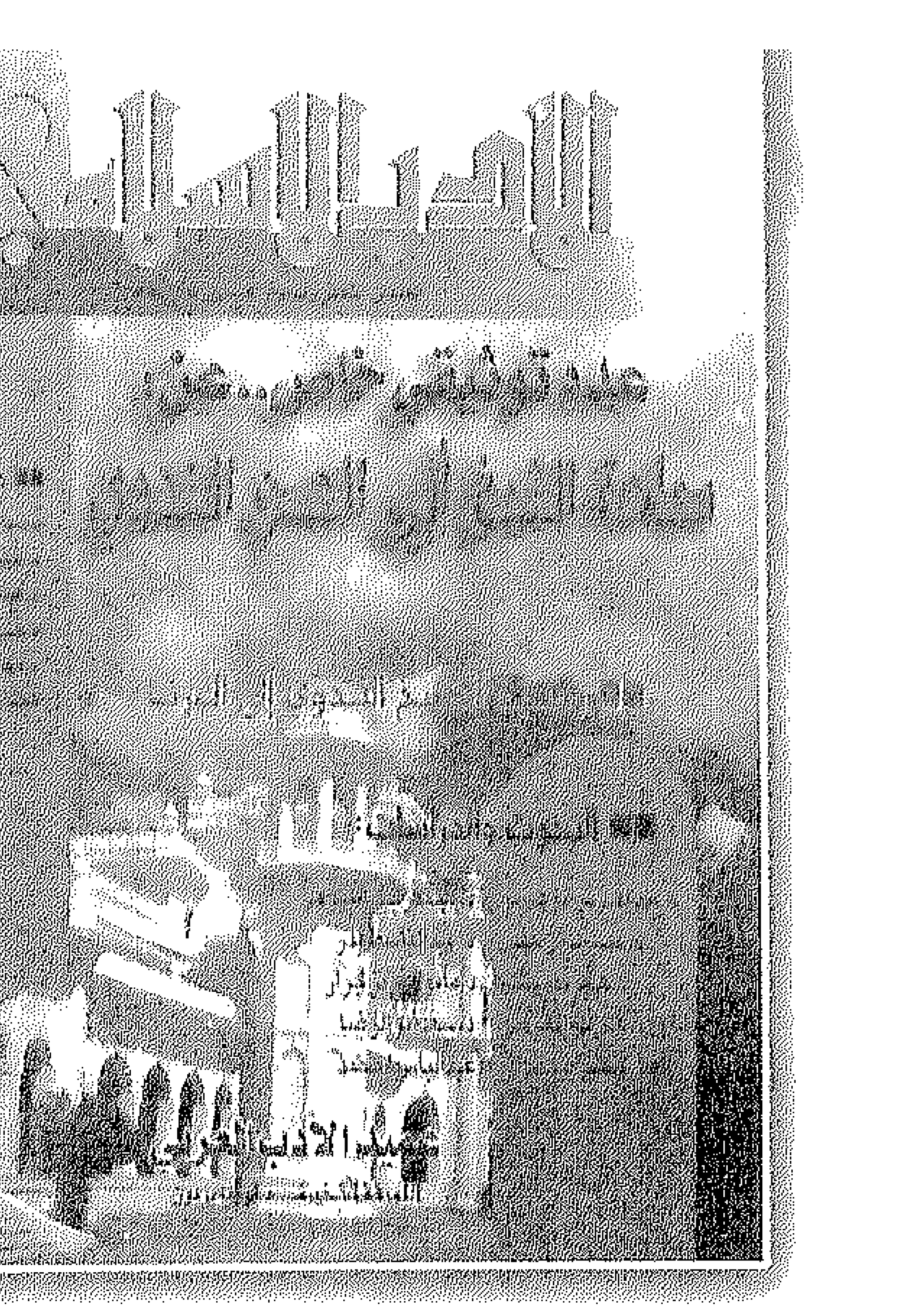
وهو من مواليد قرية الفيما في محافظة أسيوط سنة ١٩٤٠م. وقد تدرج في المراحل التعليمية بالأزهر الشريف ، وحصل على الإجازة العالية من كلية اللغة العربية بجامعة أسيوط سنة ١٩٦٥م. ثم درجة الماجستير سنة ١٩٧٠م ، ثم الدكتوراه سنة ١٩٧٧م.

وعمل مدرساً بالتربية والتعليم من ١٩٦٥م حتى عام ١٩٨٠م حيث انتقل إلى التدريس في كلية اللغة العربية بأسيوط ، ثم أستاذاً مساعداً ، ثم أستاذاً في قسم الأدب والنقد وترك عدداً من المؤلفات منها : ١) كتاب البخلاء للجاحظ وتصويره للمجتمع العباسي.

٢) الوقوف على الأطلال وتطوره في الأدب العربي وتأثيره في الأدب العباسي.

٣) الهمشري ورومانسية الهروب إلى الريف. وله ديوان شعري بعنوان : من وراء الشفق وديوان مخطوط بعنوان : قطوف من الإيمان. نسأل الله سبحانه للفقيد الرحمة والرضوان ولذويه الصبر والسلوان. **«إنا لله وإنا إليه راجعون»**

بريد الأدب الإسلامي



العدد (٢٦-٢٧)

جاء لائقاً بشخصية الندوي العظيمة

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي الغراء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أتمنى على الله تعالى أن تصلكم رسالتي وأنتم متمتعون بموفور الصحة والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه. وبعد: فقد استلمت بيد الشكر والتقدير، العددين ٢٦-٢٧ المزدوجين الصادرين ممتازين عن سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله وتعالى، والعدد حافل بمقالات وأبحاث وأشعار قيمة جدا تتناول شتى المزايا التي جعلته رحمه الله يفضل أقرانه من العلماء والكتاب، والمفكرين والأدباء لا في شبه القارة الهندية، ولكن في العالم كلّه. وامتاز العدد بجودة الورق، وأناقة الطباعة، وروعة الإخراج، وجمال التنسيق، وبكل ما يسر الناظرين ويروق القارئين، ويستخرج دعاء المحبين، وإعجاب المتصفحين.

ونظرة عابرة على صفحات المجلة بعددها هذا، يؤكد مدى الجهد الكبير الذي بذلتموه في سبيل إصداره لائقاً بشخصية الندوي العظيمة بكل المقاييس الدينية والثقافية. وذلك إنما يدلّ على مدى حبكم له حبا يخالط شغاف القلب ويسيطر على الوجدان، كما يدلّ على ذوقكم الأدبي الثقافي الرفيع، فجزاكم الله خيراً، وجميع من ساهموا في إصدار هذا العدد، وتعاونوا معكم مادياً أو معنوياً.

ولئن مات الندوي - وكُلُّنا وُلد للموت - فإن رسالته لن تموت؛ لأنها دعوة إلى العودة إلى الإسلام من جديد، والإسلام دين الله الخالد الباقي؛ فالدعوة إليه باقية إن شاء الله بقاء الدهر، والدعوة إلى الإسلام بأشمل معانيها تشمل الدعوة إلى الأدب الإسلامي، وإلى كل أسلوب لغوي أدبي ثقافي يرسخ الخير، ويعمق القيم، ويعمّم الفضيلة، ويدعو إلى الإنسانية، ويقبح الشر، ويشنّع على الرذيلة، ويفضح الإباحيّة، ويلاحق جنود إبليس على كل درب في الحياة.

وقد قيّض الله سعادتكم وأمثالكم ليكونوا خير خلف لخير سلف، من الندوي وأمثاله ومن قبلهم من العلماء والأئمة الذين كثروا في الإسلام، والاستنارة بهم تكفي لنجاة أمثالنا من كل كبوة مهلكة ونبوة قاتلة. عصمني الله وإياكم من كل مزلقة، وجعلنا من جنوده الأوفياء.

نور عالم خليل الأميني
رئيس تحرير مجلة الداعي العربية
وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية .
دار العلوم - ديوبند - الهند

مجلتكم واحة غناء

الأستاذ د. عبدالقدوس أبو صالح المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
يسعدني أن أكتب إليكم وأعبّر عن مشاعري وتقديري لكم، وما تقدمونه من جهود واضحة في إعداد وإخراج مجلة الأدب الإسلامي.
بادئ ذي بدء أعرب لكم عن شكري لتزويدي بهذه الواحة الغنّاء، وهذا تواضع وكرم منكم فجزاكم الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة.
كما أنتهز الفرصة لأبدي تقديري الفائق لمجلتكم الرائدة.
ولا أخفي عنكم محبّتي العظيمة لهذه المجلة الرائعة، المفعمة بالمواضيع القيمة المتميّزة عن كثير من المجلات.
وأقول بصراحة إن ما يشدني إلى هذه الشجرة اليانعة عدة أمور، منها:
١- الطرح الجميل، البسيط والعميق، مع الجدية في التفاول.
٢- دعمها بكل جهد، وحرصها على الثقافة الأصيلة.
٣- العطاءات العلمية والثقافية المطروحة بين صفحاتها.
٤- لباسها العاطر، المزين بأحسن زينة.
٥- المشرفون عليها والمسؤولون المثقفون المقدّرون لرسالة الكلمة ودورها في خدمة المبدأ، الذين جمعهم فكر واع مثقف.
وأخيراً ليس بوسعي إلا أن أبارك أقلام القائمين عليها بكل امتنان وعرفان، وأدامكم الله ذخراً لا يفنى، وسدد خطاكم.

ابنكم
يوسف طيبي
دمشق

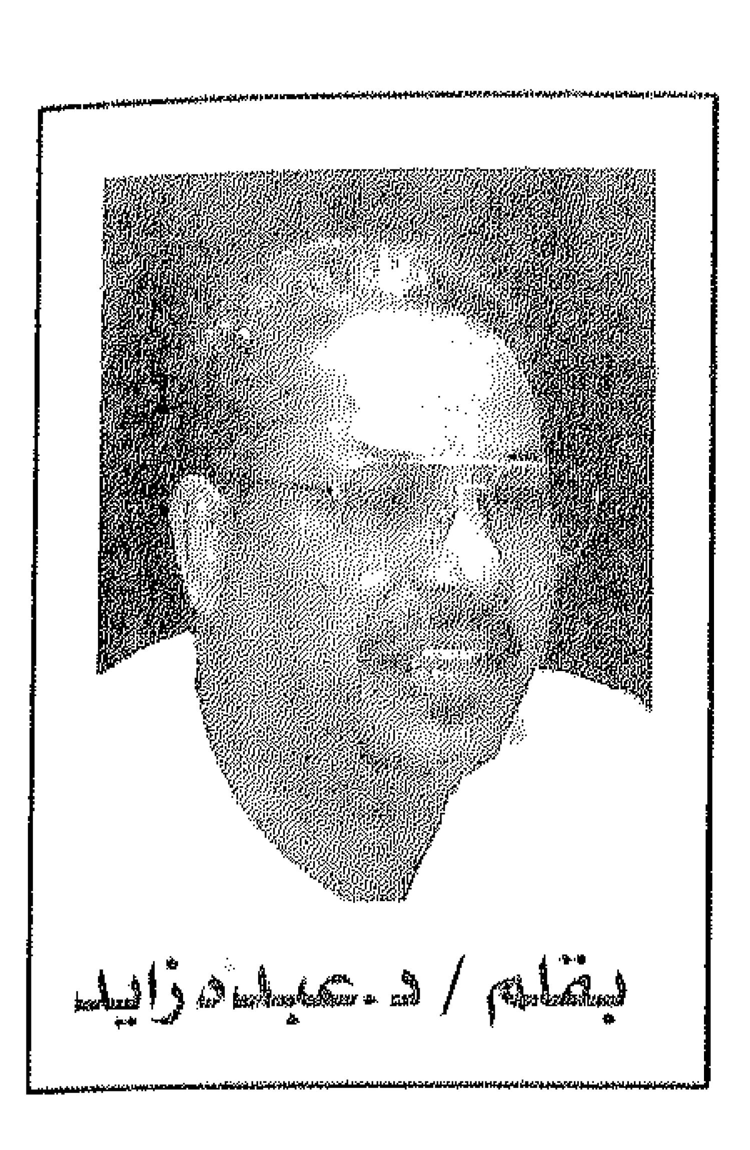
أشد على أيديكم

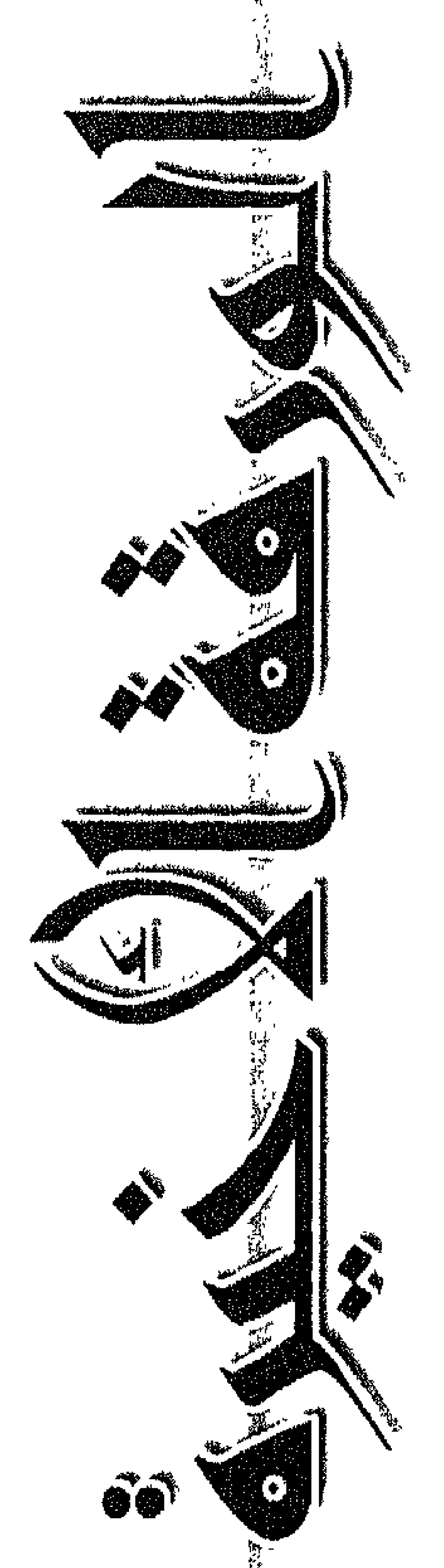
سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد، فأشد على أيديكم، وأبارك لكم جهودكم في تبني الأدب الإسلامي ونشره، خدمة للإسلام والذود عن حياضه، والدعوة إلى مبادئه، بل إنه جهاد بالكلمة، لا يقل شأناً وتأثيراً عن الجهاد بالسيف، جزاكم الله خير الجزاء.
وقد صدق عليكم قول الشاعر:
ولا تكتب يمينك غير خط
يسرك في القيامة أن تراه

المخلص
أ.د. بهجت عبدالغفور الحديثي
أستاذ الأدب العربي القديم
جامعة الشارقة /كلية الآداب والثقافة
قسم اللغة العربية

"عملكم أمانة ثقيلة"

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:
أستاذي الفاضل
اسمحوا لي أن أسجل لكم عظيم امتناني، وجل تقديري على ما تبذلونه من جهد «ليس بالهين» لإخراج مجلة الأدب الإسلامي بحلة جديدة مع كل إصدار.. إنه عمل ليس بالسهل، بل هو أشبه ما يكون بركوب الجبال الرواسي.
أن تتربع هذه المطبوعة على عرش المطبوعات «الغث والسمين» ليس بالأمر اليسير.. إنما هو أمانة ثقيلة يصعب حملها وحسبنا أنكم أهل لحمل هذه الأمانة.. والله أسأل أن يمدكم بعونه وتوفيقه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
عبدالعزيز بن عبدالله المشرف -
الدمام - السعودية


بقلم / د. عبده زايد



في النقد الإسلامي

لابد لكل مذهب نقدي من أساس فكري يستند إليه، ونصوص إبداعية رفيعة تُستمد منها مقاييسه الفنية، وإذا كان الأساس الفكري يلتمسّ عند الفلاسفة والمفكرين، فإن المقاييس الفنية تلتمس عند الأدباء والشعراء. فإذا أردت مثلا أن تبحث عن الأساس الفكري للكلاسيكية؛ فإن عليك أن ترجع إلى سقراط وأفلاطون وأرسطو، وإذا أردت أن ترجع إلى المقاييس الفنية لهذا المذهب؛ فإن عليك أن ترجع إلى آثار هوميروس وسوفوكليس وآرستوفان ومن على شاكلتهم. وهكذا بقية المذاهب النقدية.

وفي حالات نادرة جدا يمكنك أن تجد الأسس الفكرية والفنية مجسدة في شخص كالوجودية التي تجسدت في جان بول سارتر فكرا وفنا، ولكن مع هذا جسّد المقاييس الفنية في مسرحياته المتعددة، وجسد المقاييس الفكرية لهذا المذهب في أعماله الفلسفية.

فإذا جئنا إلى المذهب النقدي الإسلامي الذي ننشده؛ فإننا يمكن أن نستمد أصوله النظرية وأصوله الفنية معا من مصدر واحد، وهو القرآن الكريم. إن هذا الكتاب المعجز لا يمثل بالنسبة للمسلمين الأساس الفكري وحده، ولكن يمثل بالنسبة إليهم أيضاً الأساس البياني والبلاغي في قيمته العليا، ومن بدهيات الدرس البلاغي أن هذا الكتاب معجز بفصاحته وبلاغته.

فإن أردنا أن نقيم أساس مذهب النقد الإسلامي فلا يكفي أن نستمد من القرآن الكريم التصور الإسلامي وحده، ولكن علينا أيضاً أن نستمد منه مقاييس الأسلوب والتعبير والطريقة والنظم، فالقرآن الكريم ارتقى بلغة العرب إلى درجة لم تكن لتبلغها بدونه، وما ينبغي أن نهمل هذا الجانب ونعرض عنه اكتفاء بالأساس الفكري في الذكر الحكيم.

إن دعاة المذاهب النقدية الغربية من بني جلدتنا كانوا يبعثون أصول مذاهبهم الفكرية والفنية وييسرونها للناس، ولا يكتفون بالدعوة إليها وكيل المديح لها، والنفخ في الإبداعات التي تقتفي أثرها.

إن دعاة الكلاسيكية مثلا يسروا تعليم اللغتين اليونانية واللاتينية - وهما لغتا المصادر الأولى لهذا المذهب - في الجامعات وخارجها، وترجموا المصادر الفلسفية والأدبية وأذاعوها بين الناس، وأقاموا حولها دراسات متعددة حتى رسخت جذورها. وهكذا فعل دعاة كل مذهب نقدي، ولو لم يفعلوا هذا لما قامت لأي مذهب قائمة، ولا كان له وجود في حياتنا الأدبية والنقدية، وفي تصوري أنه لن يكون لمذهب النقد الإسلامي وجود إذا لم نبعث أصوله الأولى ونقربها للناس، ونقوي صلتهم بها؛ فالقرآن الكريم وما دار حوله من دراسات في التفسير والإعجاز والنقد والبلاغة ينبغي أن تكون الركيزة الأولى لمذهب النقد الإسلامي.

ولا يعني هذا أننا نوصد الباب بيننا وبين التجارب البشرية في مقاييس الفن والإبداع في مختلف العصور، ولكنه يعني قبل أن ننفتح على أي جهد بشري في هذا الميدان يجب أن تكون طريقنا واضحة، فنأخذ من هذه التجارب ما يدعم خبرتنا ووعينا وذوقنا ويزيدها ثراء. فإذا انفتحنا على هذه الخبرات البشرية الأخرى قبل أن نقوي صلتنا بمصادرنا الأولى اضطربت الرؤية وضللنا الطريق، وأصبحنا - من حيث لا ندري - دعاة لهذا المذهب أو ذاك بدلا من أن نكون دعاة لمذهب النقد الإسلامي.

قسيمة اشتراك

السيد /

رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي

لمدة ـــــ ومرفق طيه شيك باسم:

رابطة الأدب الإسلامي العالمية ـ حساب المجلة

بمبلغ: ....

بيانات المشترك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل: .... هاتف العمل ....

ملاحظات أخرى: ....

التوقيع

....

قيمة الاشتراك السنوي: الأفراد ما يعادل (١٥) دولاراً (البلاد العربية) و(٢٥) دولاراً خارج البلاد العربية

الهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوبا على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض فرع العليا العام (١٦٦) على عنوان المجلة ـ أو تودع حوالة لحساب المجلة رقم (٣/٨٠٠٨) وترسل إلى المجلة صورة الحوالة مع قسيمة الاشتراك

السعودية ـ الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ ـ ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

قسيمة اشتراك (هدية ـ تبرع)

السيد /

رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي

لمدة ـــــ برسل هدية إلى:

الاسم: ....

العنوان: ....

ومرفق طيه شيك باسم: رابطة الأدب الإسلامي العالمية ـ حساب المجلة

بمبلغ: ....

بيانات طالب الاشتراك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل: .... هاتف العمل ....

عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها: ....

المبلغ المدفوع: ....

التوقيع

....

قيمة الاشتراك السنوي: الأفراد ما يعادل (١٥) دولارا ـ **الهيئات والمؤسسات:** ما يعادل (٣٠) دولارا

خارج البلاد العربية (٢٥ دولارا)

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوبا على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض فرع العليا العام (١٦٦) على عنوان المجلة ـ أو تودع حوالة لحساب المجلة رقم (٣/٨٠٠٨) وترسل إلى المجلة صورة الحوالة مع قسيمة الاشتراك

السعودية ـ الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ ـ ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

أخي القارىء :

* قراءتك للمجلة تطلعك على مسيرة الأدب الإسلامي.

* اشتراكك في المجلة دعم للأدب الإسلامي ورابطته العالمية.

أخي القارىء :

* إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.

* إهداء المجلة إلى أحد المراكز الإسلامية يتيح لعدد كبير من القراء أن يطلعوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

رغبة في إشراك القارئ في مجلة (الأدب الإسلامي) والإفادة من آرائه لتظهر كما يريدها القارئ الكريم ، لذا نأمل التكرم بتعبئة هذه الاستبانة وإرسالها بالبريد أو الفاكس للإفادة منها في تطوير المجلة :

عرفت المجلة عن طريق : ☐ صديق ☐ إعلان ☐ مكتبة ☐ مكان عام

أبواب المجلة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
إخراج المجلة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
حجم المجلة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
نوعية المجلة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
موضوعات المجلة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
الملفات الخاصة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
سعر المجلة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
توزيع المجلة :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف
انتظام المجلة بالصدور :	☐ ممتاز	☐ جيد جداً	☐ جيد	☐ مقبول	☐ ضعيف


دورية المجلة : ☐ فصلية ☐ شهرية

اقتراحات ومرئيات أخرى لتطوير المجلة :

الاسم : (اختياري) :

(أرغب في التواصل مع المجلة) :

هاتف : (اختياري) فاكس : (اختياري) ص ب الرمز البريدي



طبعت بمطابع دار أخبار اليوم



تضع قضايا العالم بين يديك كل أسبوع من منظور إسلامي

ل أتعلم أن لدى المجتمع قوائم انتظار تضم أسماء
ـرات المراكز الإسلامية حول العالم والمئات من
بي الاشتراكات المجانية؟

ل تعلم أن هؤلاء يتلهفون للحصول على المجتمع
أسبوع ليطلعوا على أحوال العالم الإسلامي؟

ل ترغب في أن تساهم في نشر الوعي الإسلامي الصحيح؟
ل ترغب بأن ترى دوراً للإعلام الإسلامي في
جهة موجات التزييف؟

ـسيمة اشتراك هدية لأحد المراكز الإسلامية

ـيد/ مدير التوزيع .... المحترم

ـلام عليكم ورحمة الله وبركاته و بعـــد.....

، قبول مساهمتي في اشتراك مجاني لمدة عام كامل لإيصال المجتمع
ـد المراكز الإسلامية على مستوى العالم مع رجاء موافاتي باسم المركز
ـلامي الذي أساهم في وصول « المجتمع» إليه وتاريخ بداية ونهاية
ـتراك حتى أتمكن من تجديده.. سائلا الله أن يقدرني على ذلك.

ـسم: ....

ـنسية: ....الوظيفة: ....

ـنوان: ....

....

المنزل: .... ت العمل: ....

ـد النسخ المطلوب الاشتراك فيها ....

ـفق شيك بمبلغ: ....

التوقيع ....

ـيانات هذه القسيمة وارفقها بشيك باسم مجلة المجتمع بمبلغ مائة دولار امريكي أو ما
ـها مسحوبا على بيت التمويل الكويتي او أحد البنوك في الكويت وارسلها على العنوان
ـ: الكويت. الصفاة. ص.ب ٤٨٥٠ الرمز البريدي 13049

قسيمة الاشتراك

السيد/ مدير التوزيع .... المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد....

يرجى التكرم بقبول اشتراكنا في مجلة المجتمع لمدة سنة، ومرفق طية شيك بإسم مجلة المجتمع

بمبلغ: ....

بيانات الاشتراك

الاسم: ....

الجنسية: ....الوظيفة: ....

العنوان: ....

....

ت المنزل: .... ت العمل: ....

ملاحظات أخرى: ....

التوقيع ....

قيمة الاشتراك السنوي : الافراد: الدول العربية ٢٠ دينارا كويتيا او مايعادلها - الدول الأجنبية : ٣٠ دينارا كويتيا أو ١٠٠ دولار أمريكي او مايعادلها - المؤسسات والشركات : ٤٥ دينارا كويتيا او ١٥٠ دولارا امريكيا
ترسل هذه القسيمة مع الشيك على العنوان التالي : الكويت الصفاة ص.ب ٤٨٥٠ الرمز البريدي ١٣٠٤٩ مجلة المجتمع



طبع بمطابع أخبار اليوم – شارع الصحافة